



العتبة العباسية المقدسة

الإمامية

في الكتاب والسنة والتاريخ والأدب

بحث استدلالي في إمامة الأئمة الاثني عشر

الجزء الأول

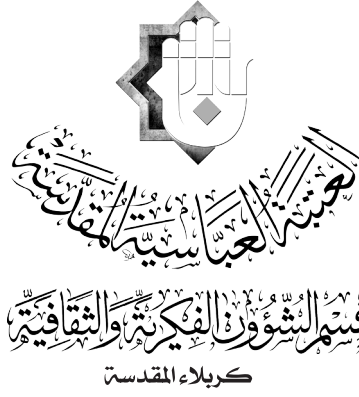
تأليف

السيد محمد باقر الحسيني الجلاي

مراجعة

مركز الدراسات والبحوث العلمية

قلم الشؤون الفكرية والثقافية



مركز الدراسات والبحوث الإسلامية



www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الحسيني الجلالى، محمد باقر، ١٣٨٩ هجرى- مؤلف.
الإمامة في الكتاب والسنة والتاريخ والأدب : بحث استدلالى في امامة الائمة الاثنى عشر
عليهم السلام / السيد محمد باقر الحسينى الجلالى ؛ مراجعه المركز الإسلامى للدراسات
الاستراتيجية قسم الشؤون الفكرية والثقافية-الطبعة الأولى-النجف، العراق : العتبة العباسية
المقدسة، المركز الإسلامى للدراسات الاستراتيجية، ١٤٤٥ هـ. = ٢٠٢٤.

٣ مجلد ؛ ٢٤ سم

يتضمن إرجاعات ببلوجرافية.

١. الإمامة (شيعة). ٢. الخلافة (شيعة). ٣. أهل بيت الرسول عليهم السلام. أ. العتبة العباسية
المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. المركز الإسلامى للدراسات الاستراتيجية، مصحح. ب
العنوان.

LCC : BP166.94 . H87 2024

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
فهرسة أثناء النشر

الكتاب: الإمامة في الكتاب والسنة والتاريخ والأدب / الجزء الأول.

تأليف: السيد محمد باقر الحسينى الجلالى.

الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.

مراجعة: مركز الدراسات والمراجعة العلمية.

المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ١٠٠٠.

رجب الأصب ١٤٤٥ هـ-كانون الثاني ٢٠٢٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى مَنْ غَذَّاني معرفة الحقِّ والصواب، وألهمني محبة قرناء الكتاب .
إلى مَنْ علَّمَنِي ولَاءَ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، فاطمة وبعلمها وبنيتها عليها السلام .
إلى مَنْ حرَّضَنِي صغيراً على مدح مولى الإسلام وسيّد الأنام مولانا
أمير المؤمنين عليٍّ عليه أفضل الصلاة والسلام .
إلى الذي قضى شهيداً في سبيل الإمامة والولاية .
إلى الذي آثر عزَّ الإسلام على عزِّه، وحياته على حياته .
إلى المواسي جدّه الحسين عليه السلام في عطشه ومقتله، وتشيعه ودفنه .
إلى المعذَّب في زنانات الحكم الكافر، والمقطَّع في سبيل الله إرباً إرباً .
إلى والذي العلامة المجاهد الحجّة آية الله الشهيد السعيد المظلوم:

السَّيِّدُ مُحَمَّدُ التَّقِيُّ الْحُسَيْنِيُّ الْجَلَالِيُّ عليه السلام

أهدي هذا الكتاب ، راجياً من الله الثواب
وأن يتغمّده برحمته ورضوانه وعفوه وإحسانه
ولده المؤلّف

السَّيِّدُ مُحَمَّدُ باقر الْحُسَيْنِيُّ الْجَلَالِيُّ

دليل الكتاب للمجلدات الثلاثة

الفصلُ الأوّل : تعريفُ الإمامة .

الفصلُ الثاني : ضرورةُ الإمامة .

الفصلُ الثالث : مقاصدُ الإمامة .

الفصلُ الرابع : الإمامةُ في الدين الإسلامي .

الفصلُ الخامس : النصوصُ على عصمة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام

الفصلُ السادس : لأدلةُ الخاصّة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام .

القسمُ الأوّل : الآياتُ القرآنية .

القسمُ الثاني : الأحاديثُ الشريفة .

الفصلُ السابع : الأدلّةُ الخاصّة على إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام .

القسمُ الأوّل : الأحاديثُ الشريفة .

القسمُ الثاني : الآياتُ القرآنية .

الفصلُ الثامن : الإمامةُ في التراث والأدب الهادف .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله واهب العقل والكمال ، موجد الإنسان من العدم والزوال ، المتفرّد بالبقاء ، والمنفّصل على خلقه بالتّعماء ، الذي مَنَّ على عباده بأنبيائه ، وهداهم إليه بسفرائه ، واستنقذهم بصفوة أوليائه .

والصّلاة والسّلام على البشير النّذير ، والسّراج المنير ، المنقذ من الجهالة ، والمنجي من العمى والضلالة ، سيّد الأنبياء المرسلين ، وأفضل السفراء المقرّبين ، أبي القاسم محمّد الصادق الأمين ، وعلى آله الغرّ الميامين ، الأئمّة المعصومين ، الهادين إلى الحقّ، والناطقين بالصدّق ، الذين أوجب الله إمامتهم في محكم الكتاب ، وقرنهم بالحقّ والصواب ، وأثنى عليهم بجميل الكلام ، وخصّهم بشرف الصّلاة والسّلام ، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

وبعد :

فإنّ من خصائص هذا الدّين الحنيف ، والشّرع الشّريف ، أنّ الله تعالى جعل نبينا ﷺ خاتم النبيّين ، وختم بشريعته شرائع المرسلين ، ثمّ قضى بعده بالأئمّة الأوصياء ، من آله التّجباء ، إثني عشر خليفةً إماماً ، بهم يهدي أُمّة الإسلام ، إلى

ساعة القيام.

ثم قضى أن لا يخلي الأرض من واحد منهم ، صوناً لدينه من عبث الجاهلين ، وكيد الكافرين ، فجعله سبباً لنزول رحمته ، ودفع نقمته ، وأماناً لخليفته .
وقد نصت آيات القرآن الكريم على اختصاص الخلافة والإمامة بأهل بيت الأنبياء كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ لِّيْ وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِى * هَٰؤُورَ أَخِي﴾ (١).
﴿إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى آدَمَ وَنُوْحًا وَآلَ إِبْرٰهِيْمَ وَآلَ عِمْرٰنَ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ (٢).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرٰهِيْمَ وَجَعَلْنَا فِيْ ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ (٣).
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِيْ ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ (٤).
وبهذا تكون الإمامة داخلة في قانون الإرث لأهل بيت الأنبياء ﷺ وعلى هذا جرت سنن المرسلين جميعاً.

وبه صرح رسول الله ﷺ في مواقف كثيرة منها: يوم الدار والإنذار ، لما جمع ثلاثين رجلاً من عشيرته ودعاهم إلى نصرته قائلاً: «أَيْكُمْ يَبَاعِنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ... وَارثِي» فلم يجبه أحد .

فقام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقال: «أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ» ف ضرب على يده قائلاً:
«أَنْتَ أَخِي وَصَاحِبِي وَوَارِثِي وَوَزِيْرِي» (٥).

(١) طه: ٢٩ - ٣٠.

(٢) سورة آل عمران: ٣٣ - ٣٤.

(٣) الحديد: ٢٦.

(٤) سورة العنكبوت: ٢٧.

(٥) السنن الكبرى: ٥/١٦٢، تاريخ الطبري: ٢/٦٤، السيرة الحلبية: ١/٤٦١.

ومنها: يوم المؤاخاة لما آخى ﷺ بين أصحابه فقال عليّ عليه السلام: «لقد ذهب روحي حين ما رأيته فعلت بأصحابك ما فعلت غيري».

فقال ﷺ: «والذي بعثني بالحق ما أخرجتك إلا لنفسي... أنت أخي ووارثي».

قال: «وما أرث منك؟»

قال ﷺ: «ما ورثت الأنبياء من قبلي كتاب ربهم وسنة نبيهم»^(١).

وبه صرح الإمام الحسن المجتبي عليه السلام فيما رواه شيخنا الكليني، حينما طلب أخاه محمد بن الحنفية ليعلمه بإمامة الحسين عليه السلام فقال له: «يا محمد بن عليّ أما علمت أنّ الحسين بن عليّ بعد وفاة نفسي ومفارقة روحي جسمي، إمام من بعدي وعند الله جلّ اسمه في الكتاب وراثته من النبي ﷺ أضافها الله عزّ وجلّ له في وراثته أبيه وأمه»^(٢).

وقد أكد رسول الله ﷺ ذلك في مواطن كثيرة، ومواقف شهيرة، رواها الفريقان، من بدء دعوته وإلى يوم رحلته، كحديث الدار الشهير، وحديث الثقلين الشريفين، وحديث الغدير، وحديث الأئمة الإثني عشر، وحديث الأمان، وحديث السفينة، وحديث الخلف، وأحاديث سورة براءة، وأحاديث أخرى استفاض بها تاريخ الإسلام، وسارت بها الركبان.

هذه الأحاديث الصحيحة التي جعلت التشيع مذهباً حياً خالداً بخلود الدين، بالرغم من الإضطهاد والمحن التي أحاطت بالشيعية منذ رحيل النبي ﷺ، فلم يكن يزداد هذا المذهب إلا قوة وصلابة ورسوخاً.

(١) سير أعلام النبلاء: ١/١٤٢.

(٢) الكافي: ٣٠١/١، حديث ٢.

وقد تميّز التشيع بأنه المذهب الوحيد الذي ظهر إسمه على لسان النبي الأكرم ﷺ حينما سمى أتباع عليّ ﷺ بالشيعه وبشّرهم بالجنة فيما رواه الفريقان من قوله ﷺ في عليّ ﷺ: «إِنَّ هَذَا وَشِيعَتَهُ هُمُ الْفَائِزُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

ولما نزل قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»^(٢) قال ﷺ لعليّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ هُمْ أَنْتَ وَشِيعَتُكَ تَأْتِي أَنْتَ وَشِيعَتُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَاضِينَ مَرْضِيَّينَ، وَيَأْتِي أَعْدَاؤُكَ غَضَاباً مَقْمَحِينَ»^(٣).

ولقد امتاز عليّ ﷺ بأنه الوحيد من الصحابة الذي أمر النبي ﷺ أمته بمشايعته في أوّل يومٍ من بزوغ رسالته، حينما جمع عشيرته وأمرهم باتّباع عليّ ﷺ بقوله في حديث الدّار «إِسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا» ودعا لمن شايعه «اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهِ وَانصِرْ مِنْ نَصْرِهِ» فكان إسم الشيعة لقب جماعة كبيرة من الصحابة.

بل صار هذا الإسم علماً لأهل الحقّ في جميع عهود الأنبياء، فهاهو القرآن الكريم قد سمى أتباع الأنبياء ﷺ بالشيعة، قال تعالى: «وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ»^(٤) «هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ»^(٥) «فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ»^(٦).

مما يدلّ أنّ إسم (الشيعة) قد اختاره الله تعالى للمؤمنين منذ بدء الخليقة وإلى

(١) شواهد التنزيل: ٤٦٧/٢، تاريخ مدينة دمشق: ٣٣٣/٤٢، المناقب للخوارزمي: ١١١.

(٢) سورة البينة: ٧.

(٣) تفسير الطبري: ٣٣٥/٣٠، شواهد التنزيل: ٤٦١/٢، الدر المنثور: ٣٧٩/٦.

(٤) سورة الصافات: ٨٣.

(٥) سورة القصص: ١٥.

(٦) سورة سورة القصص: ١٥.

هذه الأمة وهم: أتباع علي عليه السلام الذين دافعوا عن الإمامة كأصل من أصول الدين استناداً إلى الكتاب والسنة.

وبذلك تميّز هذا الدين الشريف عن باقي الأديان، حيث اعتنى بالإمامة عناية كبرى من أول يوم ظهر فيه الإسلام.

ففي أول موقف صدع فيه رسول الله ﷺ بدعوته أعلن عن خليفته ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام ودعا الأمة إلى السمع له والطاعة قائلاً: «إن هذا أخي ووصيي ووزيري وخلفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»^(١).

وذلك قبل فرض الصلاة والصيام وباقي الأحكام. فكانت الإمامة أول فريضة فرضها الله عز وجل على الأمة، مما يدل على أنها أساس الفرائض وعماد الدين والشريعة كالنبوة. ثم ختم دعوته بإعلان ولاية علي عليه السلام على كافة الأمة في غدير خم حينما قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

فكانت الإمامة تتمشى مع النبوة جنباً إلى جنب، في كل موطن وموقف، لأنّ بها استقرار نظام الدنيا والدين، والإبقاء على شريعة سيّد المرسلين، وحفظ الأحكام من التغيير والتبديل والتحريف وتلاعب الجاهلين.

ثم لم يزل موضوع (الإمامة) من أهمّ المواضيع الدينية بعد (النبوة) فقد تشتت فيه المسلمون كثيراً، وطال النزاع حوله، فكتبوا فيه الكثير، وعُقدت لأجله المناظرات، فاستدل كل فريق بما يوافق هواه ومعتقده.

ومهما طال النزاع بين الشيعة وغيرهم، فلا مناص من موافقة عقائد الشيعة

(١) تاريخ الطبري: ٢ / ٦٢ - ٦٣، السنن الكبرى: ٥ / ١٦٢.

للعقل والعرف والإنصاف فضلاً عن الكتاب والسنة المطهّرة ، فالاعتقاد بالتّصّ الذي يوحد الأمة أولى من القول بالشورى الموجب لتفرّق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة !

والاعتقاد بالعصمة الضامنة لبقاء الأحكام ودوامها ، أولى من عدمها الموجب لتغيّر الأحكام وزوالها ، بسبب الجهل والخطأ .

ومن قال شطر الأمة بعصمته أولى ممّن أجمعت الأمة على خطيئه .

وإذا كان ترك الاستخلاف قبيح من أدنى الناس ، فكيف بصاحب الشريعة والرّسالة ؟ !

كلّ ذلك يدلّ على أنّ التشيع هو المذهب الوحيد الذي بُنيت أُسُسُه على القرآن والسنة والعقل .

وممّا يؤكّد ذلك : أنّ رسول الله ﷺ هو الذي سمّى عليّاً وولده خلفاء وأئمّة وأوصياء ، كما في حديث الدّار ، والثّقليين الخليفين بلفظ أحمد بن حنبل (١) فكانت خلافتهم بتسمية النّبي ﷺ لهم ، لا بتسمية الناس كما حصل لغيرهم . ولا يخفى على القارئ الكريم :

أنّي لم أعرّض إلى مناقشة أهل السنة وإنكارهم للوصيّة والإمامة ، فإنّ هذا يتطلّب كتاباً مستقلاً .

ولأنّ إنكارهم لا ينهض أمام الأدلّة المتواترة الصحيحة على الإمامة ، فإنّ عمدة ردّهم هو : الإنكار والتشكيك ، كقولهم : كيف ، وأنّي ، ومتى ، ولماذا ، ولم كان كذلك .

(١) انظر : الفصل السابع الحديث الأوّل «إني تارك فيكم خليفين كتاب الله وعترتي أهل بيتي» .

وكقولهم: لو كانت الوصية ثابتة لعليّ عليه السلام لما عدل عنه بعض الصحابة.
وهذا أوهن من بيت العنكبوت، إذ كيف يُستدل على الدين بفعل من أجمعت
الأمة على خطأه وزلله.

وللشيعة أن يقولوا: إن إمتناع جُلّ الصحابة عن بيعة أبي بكر وتمسكهم بعليّ عليه السلام
دليل على أحقية عليّ عليه السلام «وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ
تَفْسِيرًا» (١).

وأين هذا من حُجج الشيعة الذين استدّلوا على الإمامة بمئات النصوص من
الكتاب والسنة.

هذه الأدلة التي رواها وصحّحها خصومهم في صحاحهم ومسانيدهم، كما
سيمرّ عليك إن شاء الله، فقد جعلت جُلّ الاحتجاج بما رواه الجمهور ليتأكّد
الإستدلال بها على أحقية آل محمد ﷺ خصوصاً تلك التي أقرّ بها خصوم
عليّ عليه السلام ممّا أظهره الله على لسانهم عناية من الله بأهل البيت عليه السلام.

فقد روى البيهقي إبراهيم في (المحاسن والمساوي) عن الزهري في حديث
طويل حول حرب الجمل:

قالت عائشة لرجل من ضبّة وهو آخذ بخطام جملها:

«أين ترى عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟»

قال: هاهو ذا واقف رافع يده إلى السماء.

فنظرت إليه فقالت: ما أشبهه بأخيه!

قال الضبّي: ومن أخوه؟؟؟

قالت: رسول الله ﷺ !
 قال: فلا أراني أقاتل رجلاً هو أخو رسول الله ﷺ .
 فنبت خطام جملها من يده ومال إلى عليّ عليه السلام (١).
 هذا موقف من مئات المواقف التي لو عُرض واحد منها على منصف لقال
 بأحقية عليّ عليه السلام .

لماذا هذا الكتاب

وكان سبب تأليف هذا الكتاب: أنني لما ألّفت كتاب (فدك والعوالي) عقدت فيه
 فصلاً للحديث عن الإمامة والخلافة بعد رسول الله ﷺ ، وبيّنتُ هناك أنّ أحد
 أسباب إيهاب النبي ﷺ فداً لابنته فاطمة عليها السلام هو: دعمها خلافة أمير المؤمنين
 الإمام علي عليه السلام ، كما دعمت أمّها خديجة عليها السلام نبوة رسول الله ﷺ - من قبل - .
 فرأيت أنّ الحديث قد خرج عن موضوع الكتاب ، فعقدتُ العزم على إفراده
 في كتاب مستقل يبحث عن (الإمامة) بأدلتها من: الكتاب العزيز، والسنة الشريفة
 المطهرة، وما يتبعهما من التاريخ والأدب .
 فجاء هذا الكتاب يبحث عن أمور:

- ١ - الغاية من وجوب الإمامة .
- ٢ - ضرورة الإمامة ، وكونها من الشّئن الإلهيّة والبشريّة والطبيعيّة .
- ٣ - مكانة الإمامة في الدّين الإسلامي الشريف .
- ٤ - بيان الأدلّة على إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وأولاده

الطيبين الطاهرين (عليهم السلام).

٥ - خلود الإمامة في الشعر والأدب منذ الصدر الأوّل.

وينبغي أن أُنَبِّه القراء الكرام:

بأنّ الأدلّة المذكورة في الكتاب لم نوردّها على سبيل الحصر، وإنّما اخترناها باعتبارها: إمّا لكونها نصّاً على الإمامة، أو لرواية الجمهور لها.

فقد بنينا أكثرها على مصادر الجمهور قدر الإمكان وطلباً للاختصار.

وأما ما سواها من الفضائل والآيات التي ورد تأويلها في إمامة عليّ عليه السلام، فهناك

الكثير ممّا رواه الفريقان في أهل البيت عليه السلام.

فإنّك لا تجد فضيلة ولا منقبة لعليّ عليه السلام إلّا وفيها دلالة على إمامته وعصمته.

بل لا تجد موقفاً لرسول الله ﷺ إلّا وفيه دلالة على إمامته من أوّل يوم أعلن

فيه رسول الله ﷺ رسالته (يوم الدار) وإلى ساعة احتضاره، حينما قال - فيما

رواه ابن حجر وغيره - وقد غصّت الحجرة بالصّحابة: «هذا عليّ مع القرآن

والقرآن مع عليّ...»^(١).

وهذه متروكة إلى كتب المناقب والفضائل التي اختصّت بذلك.

ولأنّ الحديث عن إمامنا عليّ عليه السلام لا ينتهي إلى حدّ، ولا يُحصر في كتاب،

ولكنّ أشجاء ما يتعلّق بخلافته وإمامته التي قلّده الله إيّاها، والنّصوص المتواترة

والمشهورة في كلّ موطنٍ وموقفٍ، والتي رواها المخالفون فضّعفوها وتركوها!

وعدّوها من المناكير، لا لشيءٍ سوى لأنّها تدلّ على إمامته وخلافته وعصمته

(١) الصواعق المحرقة: ٣٦٨/٢، مؤسسة «الرسالة»، المستدرك على الصحيحين: ١٢٥/٣،

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد وأبو سعيد هو عقيصاء ثقة مأمون ولم يخرجاه.

وأولويته وأفضليته .

حتى أنهم بنوا وثيقة الراوي على عدم روايته في إمامة عليّ عليه السلام ووصيته ، إلا أن التاريخ يأبى إلا إظهار ذلك .

فمواقفه المحموده ، ومقاماته المشهوده ، وسبقه إلى الدين ، وقربه من رسول رب العالمين ، شاهد صارخ على أحقيته وإمامته بعد رسول الله ﷺ بلا فصل .

جعلوك رابعهم أبا حسن ظلموك حق السبق والصرح
وإلى الخلافة سابقوك وما سبقوك في أحد ولا بدر

لهذا كان الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام ذا شجون ، عظيماً بعظمة شخصيته ، إذ لم يرد في أحد من الأدلة والبراهين في الكتاب والسنة كما ورد في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

لذا فقد أفردنا جزءاً مستقلاً لأدلة إمامته وخلافته ، فجاء الجزء الثاني كاملاً ، ثم شرحنا دلالاتها على الإمامة والخلافة .

وأحمد الله عز وجلّ حمداً كثيراً كما هو أهله ، وأشكره على توفيقه ولطفه ومنّه ، وأشكر - أيضاً - كلّ من سعى في إكمال هذا الكتاب ، وأسأل الله عز وجلّ أن يتقبل هذا منا ، وأن ينفعنا به في الدنيا والآخرة ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على رسوله محمد وآله الأئمة الأطهار .

الراجي رحمة ربه

السيد محمد باقر الحسيني الجليلي

٣ / جمادى الآخرة / ١٤٢٩ هـ .

الفصلُ الأوَّلُ

تَعْرِيفُ الإِمَامَةِ

- ١ - الإِمَامَةُ فِي اللُّغَةِ
- ٢ - الإِمَامَةُ فِي الإِصْطِلَاحِ
- ٣ - وَجُوبُ عَقْدِ الإِمَامَةِ

١ - الإمامة في اللغة

الإمامة في اللغة:

كلُّ ما تقدّم للإتمام به ، مِنْ إنسانٍ وغيره ، هادياً كان أم ضالّاً .

قال تعالى : « وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا »^(١).

وقال تعالى : « وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ »^(٢).

قال ابن منظور (ت: ٧١١هـ):

«الإمام: كلُّ مَنْ ائتمَّ به قومٌ، كانوا على الصُّراطِ المستقيم ، أو كانوا ضالِّين ، والجمع: أئمةٌ، وإمامٌ كلُّ شيءٍ قِيَمُهُ، والمصلحُ له ، والقرآنُ إمامُ المسلمين ، وسيدنا محمدٌ رسولُ الله ﷺ إمامُ الأئمةِ ، والخليفةُ إمامُ الرِّعيةِ ، وإمامُ الجندِ قائدُهُم . والإمامُ: المثالُ ، ما امْتَثَلَ عليه .

والإمام: الخيَطُ الذي يُعمَدُ عليه البناءُ فيُبنى عليه ويُسوَّى عليه سافُ البناءِ»^(٣).

(١) سورة الأنبياء: ٧٣ .

(٢) سورة القصص: ٤١ .

(٣) لسان العرب: ٢٤/١٢ - ٢٥ .

قال الزبيدي (ت: ١٢٠٥ هـ):

«الإمام: الطريق الواسع، وبه فُسر قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَهُمَا لِبَاسٍ مِّمَّنْ﴾^(١) أي: بطريق يوم أي يقصد فيتميز، يعني قوم لوط وأصحاب الأيكة - وهم قوم شعيب عليه السلام -».

وقال الفراء (ت: ٢٠٧ هـ): «أي: في طريق لهم يمرّون عليها في أسفارهم، فجعل الطريق إماماً لأنه يؤمّ ويتبع، والخليفة إمام الرعية، والدليل إمام السفر. والحادي إمام الإبل، وإن كان وراءها، لأنه الهادي لها، وتلقاؤها القبلة إمامها»^(٢).

وقال الجوهري (ت: ٣٩٣ هـ):

«الأمّ بالفتح: القصد، يقال: أمّه وأمّته وتأمّته، إذا قصده»^(٣).
ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾^(٤) أي اقصدا صعيد الأرض الطاهر، ثم كثر استعمال هذه الكلمة لهذا الفعل حتى صار علماً له.

(١) سورة الحجر: ٧٩.

(٢) تاج العروس: ١٩٣/٨.

(٣) صحاح الجوهري: ١٨٦٥/٥.

(٤) سورة النساء: ٤٣.

٢ - الإمامة في الإصطلاح

ويُراد بها في الشرع الشريف:

السُّلطة والرئاسة العامة في أمور الدين والدنيا، نيابةً عن صاحب الرسالة، على نحوٍ توجب الطاعة المطلقة، فمن كانت له هذه الرئاسة صار إماماً.

وقد تعددت تعاريف (الإمامة) عند علماء المسلمين في الإصطلاح الشرعي، وإن كانت كلها ترجع إلى معنى واحد، وهو ما ذكرناه، منها:

قال الشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ):

«الإمامة في التحقيق على موضوع الدين واللسان، هي: التقدّم في ما يقتضي طاعة صاحبه والإقتداء به في ما تقدّم»^(١).

وقال صاحب المواقف العلامة عضد الدين الإيجي (ت: ٧٥٦ هـ):

«خلافة الرسول ﷺ في إقامة الدين، بحيث يجب إتّباعه على كافة الأمة»^(٢).

وعرّفها المحقّق الحليّ (ت: ٦٧٦ هـ):

«هي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابةً عن

(١) الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام: ٢٧.

(٢) المواقف: ٥٧٤/٣، الموقف السادس، المرصد الرابع.

النبي ﷺ» (١).

وعرفها القاضي الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ):

«الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به» (٢).

وعرفها القاضي الآبي (ت: ٦٩٠ هـ):

«الإمامة: التقدم لأمر الجماعة» (٣).

وقال العلامة ابن خلدون (ت: ٨٠٨ هـ):

«هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة إليها، إذ أن أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة على صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا» (٤).

والحاصل:

الإمامة هي: خلافة رسول الله ﷺ في أداء أمور الدين، وشؤون الدنيا.

والإمام: من له تلك الخلافة، فتجب إطاعته والإقتداء به في كل ذلك.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (٥).

أي: حاكماً وزعيماً ورئيساً في تطبيق أمور الدين والدنيا وحمل الأمة عليهما، وليس معناها القدوة فقط، لأنها حاصلة في كل نبي ورسول، وإنما السلطة العامة

(١) الباب الحادي عشر: الأصل الرابع: ٦٦.

(٢) الأحكام السلطانية: ٥.

(٣) الحدود والحقائق: ١٥.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ١/١٩١.

(٥) سورة البقرة: ١٢٤.

على المجتمع في حملهم على تطبيق أمور الدين والدنيا، وهي معنى (الحكومة السياسية) أي القيادة السياسية .

وقد جاء التعريف الجامع لمعاني الإمامة وأثرها في المجتمع الإسلامي، في حديث الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، قال :

«إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء .

إنّ الإمامة خلافة الله، وخلافة الرسول ﷺ، ومقام أمير المؤمنين عليه السلام، وميراث الحسن والحسين عليهما السلام .

إنّ الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصالح الدنيا وعزّ المؤمنين .

إنّ الإمامة أسّ الإسلام النامي، وفرع السامي .

بالإمام تمام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحجّ، والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف .

الإمام يحلّ حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحنة البالغة .

الإمام كالشمس الطالعة للعالم، وهي بالأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار .

الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع والنجم الهادي في غياهب الدجى والبيد القفار ولجج البحار .

الإمام الماء العذب على الظماء، والدالّ على الهدى، والمنجي من الردى .

الإمام النار على اليفاع الحارّ لمن اصطلى به، والدليل في المهالك، من فارقه فهالك .

الإمام السحاب الماطر والغيث الهاطل والشمس المضيئة والأرض البسيطة

والعينُ الغزيرة والغديرُ والروضة .

الإمامُ الأمينُ الرفيقُ، والوالدُ الشفيقُ، والأخُ الشقيقُ، ومفزعُ العبادِ في الداهية .
الإمامُ أمينُ الله في أرضه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، الداعي إلى الله،
والذاب عن حرمِ الله .

الإمامُ المطهرُ من الذنوب ، المبرأ من العيوب ، مخصوصُ بالعلم ، موسومُ
بالحلم ، نظامُ الدين ، وعزُّ المسلمين ، وغيظُ المنافقين ، وبوازُ الكافرين .
الإمامُ واحدٌ دهره ، لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عالمٌ .
إلى أن قال عليه السلام :

فأينَ الاختيار من هذا؟ وأينَ العقولُ عن هذا؟ وأينَ يوجدُ مثل هذا؟ أظنُّوا أن
يوجد ذلك في غيرِ آلِ الرسولِ ﷺ ؟»^(١) .

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/١٩٧، الكافي: ١/٢٠٠ .

٣ - وَجُوبُ عَقْدِ الْإِمَامَةِ

أَجْمَعَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ عَلَى وَجُوبِ عَقْدِ الْإِمَامَةِ - بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِي كُلِّ زَمَنٍ مِنْ أَرْزَمَةِ الْإِسْلَامِ، إِذْ أَنَّ الدِّينَ وَالْدُنْيَا لَا يَسْتَقِيمَانِ إِلَّا بِهَا.

فَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قَالَ: «لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ إِمَامٍ»^(١).

قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ الْمَعْتَزَلِيُّ (ت : ٦٥٦ هـ):

« هَذَا نَصُّ صَرِيحٍ مِنْهُ عليه السلام بِأَنَّ الْإِمَامَةَ وَاجِبَةٌ »^(٢).

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ عليه السلام : « اللَّهُمَّ بَلِّ ، لَا تَخْلُو الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ ، إِمَامًا ظَاهِرًا

مَشْهُورًا أَوْ خَائِفًا مَغْمُورًا ، لئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ »^(٣).

قَالَتِ الْإِمَامِيَّةُ : « لَيْسَ فِي الْإِسْلَامِ أَمْرٌ أَهَمُّ مِنْ تَعْيِينِ الْإِمَامِ ، لِأَنَّ بِهِ إِقَامَةَ الدِّينِ ، وَقَوَامَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَبِدُونِهِ يَتَعَطَّلُ الدِّينُ ، وَتَنْدَرُسُ الْأَحْكَامُ ، وَيَنْتَفِي الْغَرَضُ مِنَ النَّبُوءَةِ ، الَّذِي هُوَ : هِدَايَةُ الْأُمَّةِ ، وَدَوَامُ الشَّرِيعَةِ ، وَتَطْبِيقُ أَحْكَامِهَا .

وَبِذَلِكَ عُدٌّ عِنْدَهُمْ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ ، وَأَنَّهُ : (لَطْفٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى يَجِبُ نَصْبُهُ

تَحْصِيلًا لِلْغَرَضِ »^(٤).

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٤٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٣٠٧/٢ .

(٣) نهج البلاغة : الحكمة ١٤٧ .

(٤) تجريد الاعتقاد : ٢٢١ .

قال النووي (ت: ٦٧٦هـ):

«أجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة»^(١).

وقال ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ):

«إعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب، بل جعلوه أهم الواجبات، حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله ﷺ»^(٢).

وقال القرطبي (ت: ٦٧١هـ):

«لا خلاف في وجوب ذلك بين الأئمة، ولا بين الأئمة، إلا ما روي عن الأصم، حيث كان عن الشريعة أصم، وكذلك كل من قال بقوله، واتبعه في رأيه ومذهبه»^(٣).

وقال القاضي الماوردي (ت: ٤٥٠هـ):

«عقد الإمامة لمن يقوم بها واجب بالاجماع، وإن شذ عنه الأصم»^(٤).

وقال أبو الحسن الأشعري:

(١) شرح مسلم (للنوي): ٢٠٥/١٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ٧/ ط ١٣٨٥، أقول: لا نخالفه في كون الإمامة أهم الواجبات، وأما كونها أهم من دفن النبي ﷺ فباطل، ويؤيده تخلف أمير المؤمنين علياً وسائر بني هاشم وجماعة من الصحابة عن السقيفة واشتغالهم بدفن رسول الله ﷺ، وليس قول ابن حجر هذا إلا تبريراً لموقف أولئك الذين تركوا جثمان النبي ﷺ وتقاتلوا على الإمامة، ولم يعلموا بدفن النبي ﷺ حتى سمعوا أصوات المساحي في جوف الليل عند قبر النبي ﷺ، كما رواه أحمد في (المسند: ٦ / ٦٣) وغيره عن عائشة.

(٣) تفسير القرطبي ١ / ٢٦٤.

(٤) الأحكام السلطانية: ٥.

«قال الناس كلهم -إلا الأصم- لا بُدَّ من إمام». والأصمُّ هو: عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم، من قُدامى المعتزلة، فإنه قال: «لو تكافَّ الناس عن التظالم لاستغنوا عن الإمام»^(١). وهذا ممَّا لا يقع أصلاً، فإنَّ التكافَّ لا يكون إلا بإمام. والحق: إنَّ الأصمَّ لم يشذَّ عن الإجماع، لأنَّه علَّق ذلك على تناصف الأُمَّة وترك التظالم، وحيث أنَّ الأُمَّة لم تتناصف، فهو يقول بوجوب الإمامة، لأنَّها إنما وضعت لذلك.

والحاصل: أجمع أهل الإسلام على وجوب الإمامة، وأنَّها من ضروريات الدِّين الذي لا يستقيم إلَّا بها، إذ لا يمكن تصوُّر حال الأُمَّة بدون إمامٍ ما دام الإنسان مزوداً بقوى شهوانية وغضبية من شأنها أن تبعث الإنسان على الفساد. والإمامة إنما وُضعت لدفع الفساد وحفظ الشريعة من الضياع، ولا يكفي في ذلك نصب الأنبياء، لأنَّه بانتقالهم إلى الدار الآخرة يحتاج الناس إلى شخص مثل ذلك النَّبيِّ في الهداية وحفظ الشريعة^(٢).

(١) أنظر: مقالات الإسلاميين : ١٣٣/٢.

(٢) نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية : ٧٠.

[أدلة الموجبين للإمامة]

وقد انقسموا في دليل وجوب الإمامة إلى قسمين :

القسم الأول

قالوا : إنّ العقل هو الذي يحكم بوجوب نصب وتعيين الإمام ، وهؤلاء على قسمين :

١ - الإمامية

قالوا : إنّ العقل يحكم بأنّ تعيين الإمام لا بد أن يكون من الله عزّ وجلّ ، لا من غيره ، فيجب على الله تعالى نصب الإمام ، وذلك :
لأنّ هذا التعيين إذا كان من الله تعالى دلّ على أنّ ذلك الإمام معصومٌ طاهرٌ ، لأنّ الله تعالى لا يختار غير المعصوم ، فيصير هذا التعيين (لِلإمام) سبباً لبقاء الهداية بعد النبي ﷺ وتركه سبباً للضلال والفرقة بعد الهداية .

وقد قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (١) .
وإذا كان هذا التعيين (الذي من الله تعالى) سبباً لبقاء الهداية فقد وجب صدوره من الله ، لأنه يكون حينئذٍ لطفٌ ورحمةٌ منه تعالى بعباده ، وقد ثبت : أنّ اللطف لا بدّ

من صدوره منه تعالى ، لكونه عين ذاته ونفس وجوده الذي لا ينفك عنه ، كما قال عز وجل: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١). ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾^(٢). ﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٣).

فاللطف والرأفة والرحمة وباقي الاسماء الحسنى هي نفس وجوده وكماله المطلق الفياض على خلقه ، وليس زائداً عليه^(٤).

بل صرح تعالى بأنه سبحانه أوجبها على نفسه فضلاً عن كونها عين ذاته ، قال عز وجل: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^(٥).

ثم: إن من أظهر معاني اللطف: نصب الخلفاء والأئمة الذين يهدون الناس إلى الله تعالى ، ويعرفونهم بطاعته.

وقد تحقق هذا اللطف من الله تعالى في القرآن الكريم والسنة المطهرة بعشرات الآيات والاحاديث التي نصّت على إمامة الأئمة الإثني عشر من عترة رسول الله ﷺ ، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى.

٢ - المعتزلة البغداديون والجاحظ - من معتزلة البصرة -

قالوا: إن العقل يحكم بأن تعيين الإمام لا بد أن يكون من الأئمة ، فيجب على

(١) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٢) سورة الشورى: ١٩.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٧.

(٤) وهذا هو معنى قولهم «اللطف واجب على الله عز وجل» فليس معنى الوجوب أن أحداً يأمره بذلك، وإنما هو إخبار عن أن اللطف والرحمة عين ذاته ووجوده عز وجل.

(٥) سورة الأنعام: ٥٤.

الأمة تنصيب وتعيين من يرويه أهلاً للإمامة^(١).
ويردّه ما سيأتي مفصلاً من أنّ ذلك من خصائص الله سبحانه وتعالى ،
وسنّته^(٢).

القسم الثاني

وهم العامة وباقي المعتزلة ، قالوا :
إنّ النصوص الشرعيّة من الآيات والروايات هي التي أوجبت على الأمة نصب
الإمام .
واستدلّوا على هذا بأدلة من الكتاب والسنة ، زعموا أنّها أوجبت على الأمة
نصب الإمام .
فمن الكتاب :

قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(٣) .
قالوا : أولى الأقوال في (أولي الأمر) هم : الأمراء والولاة .
قال الطبري (ت : ٣١٠ هـ) : « أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : هم
الأمراء والولاة »^(٤) .
قال ابن كثير (ت : ٧٧٤ هـ) :

(١) أنظر : العثمانية : ٢٦١ .

(٢) أنظر : الفصل الرابع : الإمامة من الخصائص الإلهية .

(٣) النساء : ٥٩ .

(٤) جامع البيان : ٢٠٧/٥ .

«الظاهر والله أعلم: إِنَّ الآيةَ عامّةٌ في كلّ أُولي الأمر من الأمراء والعلماء»^(١)، وبمثله قال الثعالبي^(٢).

قالوا: فَإِنَّ الأمرَ بإطاعتهم دليل على وجوب نصيبهم وإقامتهم للإمامة. وبطلانه واضح: لأنَّ وجوب الإطاعة لا يلزم منه وجوب التنصيب على الأمة، وإلّا لزم من وجوب إطاعة النَّبي ﷺ وجوب نصبه على الأمة، ولا يقول به أحد. وأيضاً: إِنَّ الأمرَ بإطاعة أُولي الأمر دالٌّ على أَنَّهُمْ منصوبون ومعيّنون من الله تعالى، كما أَنَّ النَّبي ﷺ منصوب منه تعالى، وذلك بمقتضى العطف على قوله تعالى: «وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ». ومن السُّنَّة:

استدلّوا بقول النَّبي ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(٣). قالوا: المراد من البيعة: بيعة الإمام، فنصبه واجبٌ على الأمة، لتحصيل بيعته الواجبة.

وبطلانه واضح: لأنَّ الحديث دالٌّ على وجوب البيعة، دون التنصيب، ولو كان التنصيب واجباً على الأمة لأَمَرَ النَّبي ﷺ أُمَّتَهُ به، ومعه لا حاجة إلى الأمر بالبيعة، لكونها من لوازمه.

بل: دلالته على كون التنصب من الله تعالى ورسوله أولى، وذلك: لأنَّ الله تعالى

(١) تفسير ابن كثير: ٥٣٠/١.

(٢) تفسير الثعالبي: ٢٥٥/٢.

(٣) صحيح مسلم: ٢٢/٦، ستأتي ألفاظ ومصادر هذا الحديث في القسم الأول، الفصل السابع.

ورسوله لا يأمران إلا بما هو مقدور ، وحيث أن الحديث أمر بالبيعة - في كل زمان - فإنه يدل على وجود إمام منصوب من الله سبحانه - في كل زمان - يمكن بيعته وإطاعته ، إذ لو لم يكن هناك إمام منصوب ، لم تكن البيعة مقدورة ، فيكون الأمر بها أمرٌ بغير المقدور .

فلا بد من كون الإمام متعيناً من الله تعالى ورسوله ﷺ في كل زمان ، حتى يتوجه الحث على بيعته وإطاعته .

وهذا لا يتم إلا على مذهب الشيعة الإمامية ، حيث قالوا بأن النبي ﷺ استخلف أهل بيته في حديث الثقلين وغيره ، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى . ومما استدلل به العامة : قول النبي ﷺ : « إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم » (١) .

ويردّه :

إنّ هذا إنما هو في أمور الشخصية العرفية ، فلا يدل على وجوب التنصيب في أمور الدين والشرع والخلافة والنيابة في التبليغ كما هو الحال في الإمامة ، فإنها نيابة عن الله ورسوله وليس لأحد فيها دخل إذ كانت راجعة إلى الله تبارك وتعالى . ولقد صرح الرسول الكريم ﷺ بذلك ، حينما طلب منه زعماء قريش الخلافة عوض إسلامهم ، فأبى ، وصرح بأنّ هذا الأمر مرجعه ومردّه إلى الله عز وجل ، وستأتي النصوص على ذلك من كتب العامة ، ممّا يدل على أنّ هذا الحديث « إذا خرج ... » إنّما هو في القضايا العرفية المختصة بالناس أنفسهم ، وأمّا القضايا الشرعية كالخلافة ، فإنها من مختصات الدين المتوقفة على النص من القرآن

(١) رواه التّووي في المجموع: ٤ / ٣٩٠ ، وأبو داوود في السنن: ١ / ٥٨٧ .

والسنة .

ويردّه - أيضاً - شاهد الحال في زمن رسول الله ﷺ : فلم تُعهد غزوة ولا سرية عيّن المسلمون فيها أميراً عليهم ، إنما كان رسول الله ﷺ هو الذي يعيّن لهم أميراً وقائداً ، وكانت هذه سيرة رسول الله ﷺ في جميع الحروب والغزوات (١) . ولنا أن نتساءل فنقول : كيف جاز لرسول الله ﷺ أن يعيّن الأمراء على الغزوات والسرايا - وهي واقعة حربية مؤقتة - ولم يدع المسلمين أن يتولّوا ذلك ، ثمّ هو ﷺ يترك أُمّته بلا إمام هادٍ ، ولا خليفة مرشد ، والأُمة أحوج إلى تعيين الإمام من أمراء السرايا والغزوات .

وكيف يكون النبي ﷺ وحدةً إسلاميّة حصينة ، ويؤلف بين قلوب المسلمين ، ثمّ يتركهم هملاً ، يقتل بعضهم بعضاً ، ويفرّق بعضهم بعضاً ؟ أيجوز أن يؤلف بينهم ثمّ يكون هو سبباً لفرقتهم وتناحرهم ؟!! حاشا رسول الله .

وهل إنّ ترك الاستخلاف من حرصه عليهم ؟ ورأفته ورحمته بهم ، وقد قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢) .

أم هل من رأفته ورحمته أن يبيّن لهم الأحكام ، ويُسّن لهم الحلال والحرام ، ويحنو عليهم من المكاره والآثام ، ثمّ يدعهم عرضةً للكفر والارتداد والانقلاب ؟!

إنّ هذا لو نُسب إلى أدنى الناس لكان قبيحاً ، فكيف بخاتم النبيين ، وأشرف

(١) أنظر : الفصل الرابع : القسم السادس .

(٢) سورة التوبة : ١٢٨ .

المرسلين .

واستدلّ العامّة أيضاً بالقاعدة الشرعية : «ما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب» .
قالوا: إنّ الصلاة والصيام والحجّ والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
 وإقامة الحدود ، وحفظ الثغور ونشر العدل... وغيرها من الواجبات لا تقام إلّا
بإمام عادل يحملهم على تطبيق الشريعة ، وقيم عليهم الحدود ، ويؤدّب العصاة
والجناة ، ويبين السنن والأحكام .

وحيث أنّ هذه الواجبات لا تتمّ إلّا بوجود الإمام ، فيجب على المسلمين -
أنفسهم - تعيين الإمام ونصبه ، ليقم هذه الواجبات ، ويدعوهم إلى طاعة الله
تعالى .

ويردّه :

إنّ هذه القاعدة تدلّ على عكس ما استدّلوا عليه ، فإنّها صريحة في كون
التعيين من الله تعالى ، وذلك : لأنّ الواجبات إن كانت لا تتعيّن إلّا من الله تعالى ،
فأولى بالذي لا تتمّ الواجبات إلّا به أن لا يتعيّن هو أيضاً إلّا من الله تعالى .
فإنّ الإمام أساس الأحكام ، لأنّ به إقامتها ، وإذا كانت الأحكام لا تتعيّن إلّا
من الله تعالى ، فأولى بالإمام أن لا يتعيّن إلّا من الله تعالى .

وأيضاً : كيف يوجب الله تعالى شيئاً ولا يعيّن له قيماً وإماماً ، يحرسه ويحميه ؟
فإنّ الله تعالى هو الذي فرض الواجبات ، وعيّن حدّها ووقتها ، ونهى عن التصرف
بالزيادة فيها والانتقاص منها ، بل جعل لمن فعل ذلك حداً وعقوبة ، وتطبيق كلّ هذه
الأُمور يحتاج إلى راعٍ وقيّم ، وذلك هو الإمام ، فالدليل ينقض ما أسسوه .

والحاصل :

إذا كانت الواجبات لا تتم إلا بالإمامة ، كانت الإمامة أهم من جميع الواجبات ، فكيف يُدعى أن الله تعالى أوكل الإمامة التي هي الأهم إلى الناس ، ولم يوكل الواجبات إليهم؟!!!

ومما تقدّم يظهر بطلان ما ذهب إليه العامة من وجوب نصب الإمام على الأمة ، لمخالفته للكتاب والسنة حيث نصّ الكتاب على الإمام ، وسمّاه رسول الله ﷺ في يوم الغدير ويوم الدار وغيرهما .

فالصحيح ما ذهب إليه الإمامية من وجوبها على الله تعالى عقلاً ، وهو الموافق للكتاب والسنة ، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى .

الفصل الثاني

ضرورة الإمامة

- ١ - الإمامةُ سُنَّةُ إلهيَّةُ
- ٢ - الإمامةُ سُنَّةُ طَبِيعِيَّةُ
- ٣ - الإمامةُ سُنَّةُ بَشَرِيَّةُ

١ - الإمامة سنة إلهية

لقد جرت سنة الله تبارك وتعالى في أنبيائه ﷺ على الاستخلاف والإمامة من بعدهم، من أول نبي في الأرض وهو آدم عليه السلام وحتى آخر الأنبياء رسول الله محمد ﷺ، كما جرت سنته في خلقه بأن يبعث إليهم نبياً يخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان.

فكما أنه لم يُعهد أمة إلا ولها نبي أو رسول لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(١)، كذلك لم يبعث الله تعالى نبياً إلا جعل له خليفة وإماماً ووصياً من بعده، يحفظ به الدين من الزيغ والأهواء، ويدفع به البدع والإفتراء، ويهدي المؤمنين من الضلال، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٢).

فلم يُعهد في تاريخ الأنبياء ﷺ أن نبياً خرج من الدنيا ولم يستخلف على أمته من يكون لهم هادياً، وللدن حامياً، إذ ليس من الحكمة والتدبير أن يبعث الله تعالى نبياً إلى قوم، فيشرع لهم ديناً قوياً، وصراطاً مستقيماً، ثم يقبضه إليه ويدع أمته بلا راع ولا إمام، فيختار الناس رجلاً لا يفقه معنى الكتاب^(٣)، ولا العمل

(١) الفاطر: ٢٤.

(٢) الرعد: ٧.

(٣) أنظر: فتح الباري: ٦/٢١٢، ١٣/٢٢٩، تفسير القرطبي: ١٩/٢٢٣.

بالصواب ، بل لا يفقه السنة والأحكام^(١) ، ولا القضاء بين الأنام ، فتصير الشريعة عرضة للزوال ، وغرضاً للتحريف والضلال ، كما يدع الراعي غنمه للسباع والذئاب .

إنَّ مَنْ له أدنى بصيرة يقطع بأنَّ ذلك قبيح من أدنى الناس ، فكيف بالله سبحانه وتعالى ، وهو العالم بعواقب الأمور ، ومكان الدهور .

فلا بدَّ لكلِّ نبيٍّ من وصيٍّ وإمام ، تكون مكانته كمكانة النبي في حفظ الدين ، وهداية المسلمين ، ودفع الشبهات ، وصيانة الحرمات ، وتوضيح الأحكام ، وتبيين الحلال والحرام ، وتفسير الكتاب ، وتبيين الحق والصواب .

شهادة الأحاديث الشريفة

وقد وردت بذلك روايات كثيرة ، صريحة بأنَّ الله سبحانه لم يُخل الأرض من إمام حجة منه على الخلق ، من لدن آدم ﷺ وإلى نبينا الخاتم ﷺ .

ففي حديث اللوح : « إني لم أبعث نبياً قط ، فأكملت أيامه وانقضت مدته ، إلا وجعلت له وصياً »^(٢) .

وعن أمير المؤمنين ﷺ قال : « إنا وجدنا في كتب الأنبياء ﷺ أن الله لم يبعث نبياً قط إلا وكان له وصي يقوم مقامه »^(٣) .

وأخرج القندوزي ، عن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن جدّه ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما قبض الله نبياً حتى أمره أن يوصي إلى أفضل عشيرته من عصبته ،

(١) أنظر : السنن الكبرى : ٢٣٣/٧ ، تفسير ابن كثير : ٤٧٨/١ ، فتح القدير : ٤٤٣/١ .

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ : ٤٩/٢ ، كمال الدّين وتمام النعمة : ٣١٠ ، الغيبة للطوسي : ١٤٥ .

(٣) بحار الأنوار : ٦١/٣٠ .

وأمرني أن: أوصي إلى ابن عمك علي بن أبي طالب»^(١).

وفي العلل و بحار الأنوار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما انقضت نبوة آدم، وانقطع أكله، أوحى الله تعالى إليه: يا آدم قد انقضت نبوتك، وانقطع أكلك، فانظر إلى ما عندك من العلم والإيمان وميراث النبوة وأثرة العلم والإسم الأعظم، فاجعله في العقب من ذريتك هبة الله، فإنني لم أدع الأرض بغير عالم يعرف طاعتي وديني ويكون نجاة لمن أطاعه»^(٢).

وعن ابن عباس، في تفسير قوله تعالى: «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ»^(٣) قال: «قضى إليه بالوصية إلى يوشع بن نون، وأعلمه أنه لم يبعث نبياً إلا وقد جعل له وصياً، وإنني باعث نبياً عربياً، وجاعل وصيه علياً».

قال ابن عباس: «من زعم أن رسول الله ﷺ لم يوص فقد كذب على الله وجهل نبه»^(٤).

فها هي النصوص، تؤكد بأن الإمامة والخلافة من سنن الله تعالى في أنبيائه، وأنها من مكمّلات النبوة، إذ لولاها لتسيت الأحكام، وعُبدت الأصنام، وعادت جاهلية الأنام.

وبهذا تُفسّر الأحاديث الدالة على عدم خلوّ الأرض من الحجّة والإمام:

(١) ينابيع المودة: ١/ ٢٤٤، أمالي الصدوق: ١٠٤.

(٢) علل الشرائع: ١/ ١٩٥، بحار الأنوار: ٢٣ / ٢٠.

(٣) سورة القصص: ٤٤.

(٤) تفسير فرات: ٣١٦، بحار الأنوار: ١٣/ ٣٦٢.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: « لا تخلو الأرض من قائم لله، إمّا ظاهر مشهور، وإمّا خائف مغمور، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته »^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام: « والله ما ترك الله أرضاً منذ أن قبض آدم عليه السلام إلا وفيها إمام يهتدى به إلى الله عزّ وجلّ، وهو حجة على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة لله على عباده »^(٢).

وقال عليه السلام أيضاً: « لو بقيت بغير إمام لساخت »^(٣).

وعنه عليه السلام أيضاً: « ما خلت الدنيا منذ أن خلق الله السماوات والأرض من إمامٍ عدل إلى أن تقوم الساعة حجة لله على خلقه »^(٤).

وإليه يشير قول الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، فيما رواه سليمان بن مهران الأعمش، عن أبي جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه عليّ بن الحسين عليه السلام قال: « نحن أئمة المسلمين وحجج الله على العالمين... ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولولا ذلك لم يُعبد الله ».

قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟

(١) نهج البلاغة، باب حكم أمير المؤمنين عليه السلام: ١٤٧، فتح الباري: ٣٥٩/٦، وبه قال ابن قدامة في المغني: ٤٩٥/١٢، كنز العمال: ٢٦٣/١، فيض القدير: ٥١٤/٦، تهذيب الكمال: ٢٤/٢٢١، تذكرة الحفاظ: ١٢/١.

(٢) بصائر الدرجات: ٥٠٥، الكافي: ١٧٩/١.

(٣) بحار الأنوار: ٢٣/٢٤.

(٤) بحار الأنوار: ٢٣/٢٤.

قال عليه السلام: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»^(١).

ويؤكدّه: ما رواه الخاصّ والعامّ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»^(٢) فإن معرفة الإمام فرع وجوده، ولازمه عدم خلوّ الأرض من إمام حجة، وقد ورد تعليل ذلك في الأخبار، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «آخر من يموت الإمام، لئلا يحتج أحد على الله عز وجلّ أنّه تركه بغير حجة لله عليه»^(٣) قال الشاعر أبو محمد العوني:

ولولا حجة في كلّ وقتٍ لأضحى الدين مجهول الرسوم
وصار الناس في طخياء منها نجونا بالأهلة والنجوم

النصوص على أسماء الأوصياء الماضين

وقد ذكرت مصادر الفريقين أسماء الأوصياء الماضين، وأنّ الأنبياء كلّهم قد عيّنوا الخليفة والإمام والوصيّ من بعدهم لأئمّهم، وذلك بأمر من الله سبحانه وتعالى، ونحن نبتدأ بما ذكره عليّ بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٥ هـ) وهو من أقدم المصادر:

(١) - ذكر المسعودي (ت: ٣٤٥ هـ): بعض سلسلة الحجج والأوصياء، من لدن آدم عليه السلام، وحتى نبينا الخاتم محمد ﷺ، منهم:

(١) كمال الدين: ٢٠٧، أمالي الصدوق: ٢٥٣.

(٢) ستأتي مصادر هذا الحديث الشريف ودلائله في الفصل السابع، القسم الاول إن شاء الله تعالى.

(٣) الغيبة للنعماني: ١٤٠، الكافي: ١/١٨٠.

إِنَّ وَصِيَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ هَبَّةُ اللَّهِ ، وَهُوَ شِيثُ .
 وَإِنَّ وَصِيَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
 وَإِنَّ وَصِيَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
 وَإِنَّ وَصِيَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ بْنِ إِفْرَائِيمَ بْنِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَرَجَتْ
 عَلَيْهِ صَفُورَاءُ زَوْجَةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .
 وَإِنَّ وَصِيَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ شَمْعُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
 وَإِنَّ وَصِيَّ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَحَدُ عَشَرَ
 مِنْ وَلَدِهِ (١) .
 (٢) - وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَّازُ الْقُمِّي (ت ٤٠٠ هـ) فِي كِفَايَةِ الْأَثَرِ ، بَعْدَهُ
 طَرَقَ ، سِلْسِلَةَ الْأَوْصِيَاءِ ، وَخُلَفَاءِ الْأَنْبِيَاءِ ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ :
 « كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ،
 مِنْهُمْ : سَلْمَانُ وَأَبُو ذَرٍّ وَالْمُقَدِّدُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ .
 فَقَالَ سَلْمَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيًّا ، وَسَبْطِينَ ، فَمَنْ وَصِيكَ
 وَسَبْطَاكَ ؟ ! » .
 فَأُطْرُقَ سَاعَةٌ ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : « يَا سَلْمَانُ : إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ أَرْبَعَةَ آلَافِ نَبِيٍّ (٢) ، وَكَانَ

(١) إثبات الوصية، وبمثله رواه ابن بابويه القمي في (الإمامة والتبصرة: ٢٢) باب الوصية من
 لدن آدم عليه السلام، وأورده المجلسي في البحار: ٢٣ / ٥٨.

(٢) لا يخفى أنّ هذا العدد ليس للحصر، لورود الأخبار الصحيحة في كون عدد الأنبياء عليهم السلام
 مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، كما سيأتي، ويدل عليه قول سلمان في ذيل الحديث: فهل
 بينهما أنبياء وأوصياء آخر؟ فقال ﷺ: نعم أكثر من أن تحصى، وكذلك لم يُسمَّ ﷺ منهم
 هنا إلاّ بضعاَ وعشرين.

لهم أربعة آلاف وصيّ وثمانية آلاف سبط ، فوالذي نفسي بيده لأنا خيرُ الأنبياء ،
ووصيّ خيرِ الأوصياء ، وسبطاي خيرُ الأسباط .» .

ثم قال : « يا سلمان أتعرف من كان وصيّ آدم عليه السلام ؟ » .

فقال : الله ورسوله أعلم .

فقال عليه السلام : « إِنِّي أَعْرَفُكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَأَنْتَ مَنْ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ آدَمَ أَوْصَى
إِلَى ابْنِهِ شِيث .

وأوصى شِيث إلى ابنه شبان .

وأوصى شبان إلى مخلب .

وأوصى مخلب إلى نحوق .

وأوصى نحوق إلى عثمثا .

وأوصى عثمثا إلى أخنوخ وهو إدريس النبي عليه السلام .

وأوصى إدريس إلى ناخورا .

وأوصى ناخورا إلى نوح عليه السلام .

وأوصى نوح إلى سام .

وأوصى سام إلى عثام .

وأوصى عثام إلى ترعشاثا .

وأوصى ترعشاثا إلى يافث .

وأوصى يافث إلى برة .

وأوصى برة إلى خفسية .

وأوصى خفسية إلى عمران .

- وأوصى عمران إلى إبراهيم .
- وأوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل .
- وأوصى إسماعيل إلى إسحاق .
- وأوصى إسحاق إلى يعقوب .
- وأوصى يعقوب إلى يوسف .
- وأوصى يوسف إلى برثيا .
- وأوصى برثيا إلى شعيب .
- وأوصى شعيب إلى موسى .
- وأوصى موسى إلى يوشع بن نون .
- وأوصى يوشع إلى داود .
- وأوصى داود إلى سليمان .
- وأوصى سليمان إلى آصف بن برخيا .
- وأوصى آصف إلى زكريا .
- وأوصى زكريا إلى عيسى بن مريم .
- وأوصى عيسى بن مريم إلى شمعون بن حمون الصفا .
- وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا .
- وأوصى يحيى إلى منذر .
- وأوصى منذر إلى سلمة .
- وأوصى سلمة إلى بردة .
- وأوصى بردة إلى .

وَأَنَا أَدْفَعُهَا إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) .
 فقال: « يا رسول الله فهل بينهم أنبياء وأوصياء آخر؟! » .
 قال ﷺ: « نعم أكثر من أن تحصى » .
 ثم قال ﷺ: « وَأَنَا أَدْفَعُهَا إِلَيْكَ يَا عَلِيُّ .
 وَأَنْتَ تَدْفَعُهَا إِلَى ابْنِكَ الْحَسَنِ .
 وَالْحَسَنُ يَدْفَعُهَا إِلَى أَخِيهِ الْحُسَيْنِ .
 وَالْحُسَيْنُ يَدْفَعُهَا إِلَى ابْنِهِ عَلِيٍّ .
 وَعَلِيٌّ يَدْفَعُهَا إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ .
 وَمُحَمَّدٌ يَدْفَعُهَا إِلَى ابْنِهِ جَعْفَرٍ .
 وَجَعْفَرٌ يَدْفَعُهَا إِلَى ابْنِهِ مُوسَى .
 وَمُوسَى يَدْفَعُهَا إِلَى ابْنِهِ عَلِيٍّ .
 وَعَلِيٌّ يَدْفَعُهَا إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ .
 وَمُحَمَّدٌ يَدْفَعُهَا إِلَى ابْنِهِ عَلِيٍّ .
 وَعَلِيٌّ يَدْفَعُهَا إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ .
 وَالْحَسَنُ يَدْفَعُهَا إِلَى ابْنِهِ الْقَائِمِ ، ثُمَّ يَغِيبُ عَنْهُمْ إِمَامُهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَتَكُونُ لَهُ
 غَيِّبَتَانِ أَحَدُهُمَا أَطْوَلُ مِنَ الْأُخْرَى » (١) .

(٣) - وذكر الطبري (ت : ٣١٠ هـ) قال: « هبةُ الله ، وبالعبرانية : شيث ، وإليه

(١) كفاية الأثر في النَّصِّ على الأئمة الاثني عشر : ١٤٧ - ١٥٠ ، ورواه الشيخ الصدوق في (من لا يحضره الفقيه) : ١٧٥ ، وفي (الأمال) : ٤٨٨ ، وفي (كمال الدين وتمام النعمة) : ٢١٣ ، ورواه العلامة المجلسي في (بحار الأنوار) : ٣٣٤٣٦ .

أوصى آدم ﷺ، لما حضرت آدم الوفاة فيما يذكرون والله أعلم، دعا ابنه شيثاً فعهد إليه عهده، وكتب وصيته، فكان شيث وصي أبيه آدم ﷺ، فصارت الرئاسة من بعد وفاة أبيه آدم ﷺ لشيث»^(١).

(٤) - وقال ابن كثير (ت : ٧٧٤ هـ):

«ومعنى شيث : هبة الله، ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث»^(٢).

(٥) - وروى ابن عساكر (ت : ٥٧١ هـ):

«قال : هبة الله... بالعربية شت، وبالسريانية شيث، وإليه أوصى آدم ﷺ»^(٣).

(٦) - وقال السيوطي (ت : ٩١١ هـ):

«إنَّ آدم ﷺ قال لابنه شيث : أَيُّ بُنَيَّ أَنْتَ خَلِيفَتِي»^(٤).

(٧) - وروى نصر بن مزاحم، والخطيب البغدادي واللفظ للأول وحاصله :

«أنَّ الإمام عليّ لما سار إلى صفّين، عطش جيشه وكانوا في وسط الصحراء، فكاد يهلكهم العطش، فانطلق بهم حتّى أتى على صخرة، فأعانهم عليها حتّى اقتلعوها، فخرج من تحتها ماء عذب، وشرب الجيش كلّهُ حتّى ارتووا، ثم سار الناس قليلاً، ورجع منهم رجال ركباناً ومشاة إلى مكان الماء فلم يروا شيئاً، وكان بالقرب منهم دير، فسألوا صاحب الدير، فقال: ما بُنِيَ هذا الدير إلّا بذلك الماء،

(١) تاريخ الطبري: ١/١٠٣، ١١٠.

(٢) البداية والنهاية: ١/١٠٩، قصص الأنبياء: ٦٧/١.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٢٣/٢٧١.

(٤) الدر المنثور: ٢/٢٤٧.

وما استخرجه إلَّا نبيُّ أو وصيُّ نبيٍّ» (١).

(٨) - وروى ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) هذا الخبر: «لَمَّا أَتَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي الرَّقَّةِ، نَزَلَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: الْبَلِيخُ عَلَى جَانِبِ الْفَرَاتِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ رَاهِبٌ مِنْ صَوْمَعَتِهِ، فَقَالَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ عِنْدَنَا كِتَابًا تَوَارَثْنَاهُ عَنْ آبَائِنَا، كَتَبَهُ أَصْحَابُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، أَعْرَضُهُ عَلَيْكَ؟

قال عليُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نعم، فقرأ الراهب الكتاب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«الَّذِي قَضَى فِيمَا قَضَى، وَسَطَّرَ فِيمَا سَطَّرَ، وَكَتَبَ فِيمَا كَتَبَ، أَنَّهُ بَاعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ، يَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ، وَيَدْلُهُمْ عَلَى سَبِيلِ اللَّهِ. لَا فُظٌّ وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا صَحَّابٌ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ. وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، أُمَّتُهُ الْحَمَادُونَ، الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ، وَفِي كُلِّ صُعُودٍ وَهَبُوطٍ، تَذِلُّ أَلْسِنَتُهُمْ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّنْسِيحِ، وَيَنْصُرُهُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ مَنْ نَاوَاهُ، فَإِذَا تَوَفَّاهُ اللَّهُ اخْتَلَفَتْ أُمَّتُهُ ثُمَّ اجْتَمَعَتْ، فَلَبِثَتْ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ اخْتَلَفَتْ، فَيَمُرُّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِهِ بِشَاطِئِهِ هَذَا الْفَرَاتِ، يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَقْضِي بِالْحَقِّ، وَلَا يَرْتَشِي فِي الْحُكْمِ.

الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظماء، يخاف الله في السرِّ، وينصح له في العلانية، ولا يخاف

(١) وقعة صفين: ١٤٥، تاريخ بغداد: ١٢ / ٣٠٢، قال العلامة السيد مرتضى العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وقد بُنِيَ مَكَانُ الدَّيْرِ مِنْذُ قُرُونٍ مَسْجِدَ (بَرَاتِنَا) وَتَغَيَّرَ مَجْرَى نَهْرِ دَجْلَةٍ فَأَصْبَحَ قَرِيبًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْمَذْكُورِ (مَعَالِمُ الْمَدْرَسَتَيْنِ: ١ / ٢١٨).

في الله لومة لائم.

مَنْ أدرك ذلك النَّبي ﷺ من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنة، وَمَنْ أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره، فَإِنَّ القتل معه شهادة».

ثم قال له: فأنا مصاحبك غير مفارقتك حتى يصيبني ما أصابك.

قال: فبكى عليٌّ عليه السلام ثم قال: «الحمد لله الذي لم يجعلني عنده منسياً، الحمد لله الذي ذكرني في كتب الأبرار».

ومضى الراهب معه، وأسلم، فكان مع عليٍّ حتى أُصيب يوم صفين، فلما خرج الناس يطلبون قتلاهم، قال عليٌّ عليه السلام: «أطلبوا الراهب».

فوجدوه قتيلاً، فلما وجدوه صلى عليه، ودفنه، واستغفر له^(١).

(٩) - وروى الطبراني (ت: ٣٦٠ هـ) بإسناده عن سلمان قال:

«قلت يا رسول الله إِنَّ لكلَّ نبيٍّ وصياً، فمن وصيِّك؟

فسكت عني، فلما كان بعد رأيي فقال: يا سلمان! فأسرعت إليه قلت لبنيك.

قال: تعلم مَنْ وصيُّ موسى عليه السلام؟

قال: نعم يوشع بن نون.

قال: لِمَ؟

قلت: لأنَّه كان أعلمهم يومئذ.

قال: فَإِنَّ وصيِّي وموضع سرِّي وخير من أتركه بعدي وينجز عدتي ويقضي

ديني علي بن أبي طالب»^(٢).

(١) البداية والنهاية: ٢٨٣/٧.

(٢) مجمع الزوائد: ١١٣/٩ - ١١٤، المعجم الكبير: ٢٢١/٦.

- (١٠) - قال ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ): قال الربيع:
«ذكر لنا والله أعلم: أنَّ موسى ﷺ لَمَّا حضرته الوفاة استخلف فتاه يوشع بن نون على بني إسرائيل... ثمَّ إنَّ يوشع بن نون توفِّي واستخلف فيهم آخر...»^(١).
- (١١) - وروى عن الربيع: «إنَّ موسى لَمَّا حضره الموت دعا سبعين حبراً من بني إسرائيل، فاستودعهم التوراة... واستخلف موسى يوشع بن نون»^(٢).
- (١٢) - وذكر ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ):
«أوحى الله تعالى إلى موسى: أنْ إختر من خيارهم سبعين، ثمَّ ارتق بهم على الجبل أنت وهارون، واستخلف عليهم يوشع بن نون، ففعل»^(٣).
- (١٣) - فتح القدير: قال الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ):
«آصف بن برخيا وهو من بني إسرائيل وكان وزيراً لسليمان»^(٤).
- (١٤) - قال أبو الليث السمرقندي (ت: ٣٨٣هـ):
«آصف بن برخيا كان معلِّم سليمان بن داود في صغره، وكان وزيره في حال كبره وملكه»^(٥).
- (١٥) - وقال الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾^(٦) المشهور: قول ابن عباس أنَّه آصف بن برخيا وزير

(١) جامع البيان: ٨٠٩/٢.

(٢) جامع البيان: ٢٨٩/٣، الدر المنثور: ١٣/٢.

(٣) زاد المسير: ١٨٢/٣.

(٤) فتح القدير: ١٣٩/٤.

(٥) تفسير السمرقندي: ١٠٤/١.

(٦) سورة النمل: ٤٠.

سليمان عليه السلام^(١).

(١٦) - وقريب منه في فتح القدير للشوكاني^(٢).

(١٧) - وقريب منه في تفسير أبي السعود (ت: ٩٥١ هـ)^(٣).

(١٨) - قال الآلوسي (ت: ١٢٧٠ هـ):

« آصف بن برخيا كان وزير سليمان على المشهور »^(٤).

(١٩) - وذكر اليعقوبي (ت: ٢٨٤ هـ):

« أن موسى عليه السلام لما حانت وفاته جمع بني إسرائيل وأوصاهم بوصاياه ثم قال لهم: هذا يوشع بن نون القيم فيكم بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ، فإنه يقضي بينكم بالحق ، وملعون من خالفه وعصاه »^(٥).

وما روي من أن الله تعالى بعث يوشع بن نون نبياً ، فإنما كان بعد وصيته بأربعين سنة ، كما صرح به الطبري في تاريخه^(٦) وغيره ، وذلك بعد خروج بني إسرائيل من التيه ، هذا إذا ثبت نبوته ، وإلا فوصيته وخلافته ثابتة .

(٢٠) - وذكر ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) في تفسير قوله تعالى : « وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا

(١) التفسير الكبير : ١٩٨/٢٤ .

(٢) فتح القدير : ١٣٩/٤ .

(٣) تفسير أبي السعود : ٢٨٧/٦ .

(٤) تفسير الآلوسي : ٢٠٣/١٩ .

(٥) تاريخ اليعقوبي : ٤٥/١ .

(٦) تاريخ الطبري : ٣١٠/١ قال : إن الله بعث يوشع نبياً بعد أن انقضت الأربعون سنة ، وهي التي تاه فيها بنو إسرائيل .

بِثَالِثٍ...»^(١) قال: «قال مقاتل: وإسم هذا الثالث شمعون وكان من الحواريين وهو وصي عيسى عليه السلام»^(٢).

(٢١) - وذكر الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ) في ترجمة سلمان الفارسي المحمّدي قال: «كان - سلمان - من المعمرين، قيل إنه أدرك وصي عيسى بن مريم عليه السلام»^(٣).

وقال في موضع آخر: «ذكر أن يوشع بن نون كان وصي موسى عليه السلام»^(٤).

(٢٢) - وكذا عن ابن عساكر وابن حجر، قالا:

«وكان - سلمان - قد أدرك وصي عيسى عليه السلام»^(٥).

وهذا تصريح بأن عيسى بن مريم عليه السلام كان له وصي وخليفة.

(٢٣) - وقال ابن كثير الشامي في ترجمة سلمان:

«الظاهر أنه قال لقد لقيت وصي عيسى عليه السلام، فهذا ممكن بالصواب»^(٦).

(٢٤) - روى الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) بالاسناد عن علي عليه السلام قال:

«افترقت اليهود على أحد وسبعين فرقة، سبعون منها في النار، وواحدة ناجية

في الجنة، وهي التي اتبعت يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام.

وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، إحدى وسبعين في النار، وواحدة

(١) سورة يس: ١٣ - ١٤.

(٢) زاد المسير: ٢٦٦/٦.

(٣) تاريخ بغداد: ١٧٦/١.

(٤) تاريخ بغداد: ٣٧٩/١٤.

(٥) تاريخ مدينة دمشق: ٣٧٨/٢١، تهذيب التهذيب: ١٢١/٤، الإصابة: ١١٩/٣.

(٦) البداية والنهاية: ٣٨٤/٢، السيرة النبوية: ٣٠٤/١.

في الجنة وهي التي أتبع شمعون وصي عيسى عليه السلام ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، اثنتان وسبعون فرقة في النار ، وفرقة في الجنة ، وهي التي أتبع وصي محمد ﷺ وضرب بيده على صدره» .

ثم قال : « ثلاث عشر فرقة من الثلاث والسبعين كلها تنتحل مودتي وحبّي ، واحدة فيها في الجنة وهم النمط الأوسط ، واثنتا عشرة في النار »^(١) .

(٢٥) - وقال زين الدين بن جبر (ت: ق / ٧هـ):

« يوم الغدير: يومُ نصبِ الأوصياء ، لأنّ موسى عليه السلام نصب فيه وصيّهُ يوشع بن نون ، ونصب عيسى عليه السلام وصيّهُ شمعون الصفا ، وسليمان بن داود عليه السلام نصب فيه وصيّهُ آصف ، وكذا نبينا محمد ﷺ نصب فيه وصيّهُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام »^(٢) .

(٢٦) - وقال العلامة الحلي (ت: ٧٣٦هـ):

« في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة... نصب موسى بن عمران عليه السلام وصيّهُ يوشع بن نون ، ونطق به على رؤوس الأشهاد ، وفيه أظهر عيسى وصيّهُ شمعون الصفا .

وفيه أشهد سليمان بن داود عليه السلام سائر رعيّته على استخلاف آصف عليه السلام »^(٣) .

(٢٧) - وروى الصفّار (ت: ٢٩٠هـ) بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام : « إن رسول

الله ﷺ ختم مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ ، وختمتُ أنا مائة ألف وصيّ

(١) أمالي الطوسي : ٥٢٤ ، بحار الأنوار : ٥/٢٨ ، مسند الإمام الرضا عليه السلام : ١/١٢٣ .

(٢) نهج الإيمان : ١٢٩ .

(٣) العدد القوية : ٢٠١ .

وأربعة وعشرين ألف وصي»^(١).

(٢٨) - وروى الشيخ الصدوق (ت: ٣٢٩ هـ) بسنده عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله عز وجل مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي أنا أكرمهم على الله ولا فخر، وخلق الله عز وجل مائة ألف وصي وأربعة وعشرين ألف وصي، فعلي أكرمهم على الله وأفضلهم»^(٢).

(٢٩) - وروى القاضي النعمان المغربي (ت: ٣٦٣ هـ)، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «لما أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾»^(٣) جمع رسول الله ﷺ بني عبدالمطلب على فخذ شاة وقدح من لبن، وإن فيهم يومئذ عشرة، ليس منهم رجل إلا أن يأكل الجذعة ويشرب الفرق، وهم بضع وأربعون رجلاً، فأكلوا حتى صدروا، وشربوا حتى ارتووا، وفيهم يومئذ أبو لهب.

فقال لهم رسول الله ﷺ: يا بني عبدالمطلب، أطيعوني تكونوا ملوك الأرض وحكامها، إن الله لم يبعث نبياً إلا وجعل له وصياً ووزيراً ووارثاً وأخاً وولياً.

فأيكم يكون وصي ووارثي ووليي وأخي ووزيري؟

فسكتوا...

فقلت: أنا يا رسول الله.

(١) بصائر الدرجات: ١٤١، ٣٣٠.

(٢) الخصال: ٦٤١، مناقب آل أبي طالب: ٢٤٧/٢.

(٣) سورة الشعراء: ٢١٤.

فقال: نعم أنت يا علي»^(١).

(٣٠) - وجاء في مادة (يوشع) من قاموس الكتاب المقدس ، عن التوراة: «إنّ يوشع بن نون كان مع موسى في جبل سيناء، ولم يتلوّث بعبادة العجل على عهد هارون».

(٣١) - وجاء في آخر الإصحاح السابع والعشرين من سفر العدد، خبر تعيين يوشع وصيّاً لموسى عليه السلام من قبل الله تعالى ، ونصّه: «فكلّم موسى الربّ قائلاً: ليؤكّل الربّ إله أرواح جميع البشر رجلاً على الجماعة، يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويخرجهم ويدخلهم لكيلا تكون جماعة الربّ كالغنم التي لا راعي لها، فقال الربّ لموسى خذ يشوع بن نون رجلاً فيه روحٌ وصنع يدك عليه، وأوقفه قدام إلعازار الكاهن وقدام كلّ الجماعة وأوصيه أمام أعينهم ، واجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كلّ جماعة بني إسرائيل - إلى قوله - ففعل موسى كما أمره الربّ أخذ يشوع وأوقفه قدام إلعازار الكاهن وقدام كلّ الجماعة ، ووضع يديه عليه وأوصاه كما تكلم الربّ عن يد موسى»^(٢).

وهناك شواهد أخرى ، نصّت على خصوص وصيّ موسى وعيسى عليه السلام ، ممّا يدلّ على أنّ الوصية والاستخلاف كانا سنة من السنن الإلهية التي قضاهما بين أنبيائه ، حفظاً للأحكام والشرائع، وصوناً للبشرية من الانحراف والضلال ، فهل كان محمدٌ ﷺ بدعاً من الرسل؟!

(١) دعائم الإسلام: ١/١٦، روضة الواعظين: ٥٣، مناقب آل أبي طالب: ١/٣٠٦، نهج الإيمان: ٢٣٩.

(٢) التوراة من الكتاب المقدس، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٠٧م.

استدلال العلامة الشَّيْخ الحرَّ العاملي (ت: ١١٠٤):

قال «ومِمَّا يُستدل على الإمامة الآيات الدالة على أنَّ أحوال هذه الأمة كأحوال الأمم السابقة، كقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٢)، ولَمَّا كانت سُنَّة الأنبياء الإِستخلاف والوصية دلَّ هذا على أنَّ الإمامة سُنَّة إلهية في جميع أنبياءه، بما فيهم نبيُّنا ﷺ»^(٣) ولقد أجاد فيما أفاد.

أمرُ الله تعالى نبيِّنا ﷺ بالإقتداء بالأنبياء السابقين

وقد أمر الله سبحانه نبيِّنا الكريم ﷺ أن يقتدي بسنن الأنبياء الماضين، وهديهم الذي فيها هداية البشرية، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾^(٤)، ومن هدى الأنبياء إِستخلاف الأوصياء على أممهم كما تقدَّم في إقرار كثير من العامة بذلك، فوجب على نبيِّنا ﷺ الإِستخلاف إقتداءً بالأنبياء ﷺ. ولعمري إنَّ هذا للدليل متين، وبرهان رزين، وحجة كافية، ودلالة شافية.

مع الفخر الرازي (ت: ٧٠٧هـ)

والعجيب من الفخر الرازي حيث استدللَّ على وجوب قراءة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في الصَّلَاة، وأنها جزء من سورة الفاتحة بقوله تعالى لنبيِّنا ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾^(٥) قال ما حاصله:

(١) سورة الإسراء: ٧٧.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٨.

(٣) اثبات الهداة: الجزء الثاني.

(٤) سورة الأنعام: ٩٠.

(٥) سورة الانعام: ٩٠.

«إِنَّ سَائِرَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا عِنْدَ الشَّرْعِ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ يَبْتَدِئُونَ بِذِكْرِ «بِسْمِ اللَّهِ» كَقَوْلِ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَرَادَ رُكُوبَ السَّفِينَةِ: (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) (١) وقوله تعالى عن كتاب سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى بَلْقِيسَ: «وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» (٢) فإذا ثبت هذا في حقِّ الأنبياء فقد وجب على رسولنا الكريم ﷺ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى لَهُ: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ» وإذا ثبت هذا في حقِّ النَّبِيِّ ﷺ وجب علينا أَنْ نَقْتَدِيَ بِهِ فِي قِرَائَتِهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَاتَّبِعُوهُ» (٣) وإذا وجب علينا قراءة البسملة دلَّ على أَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْفَاتِحَةِ وَالْقُرْآنِ» (٤).

أقول :

لازم استدلال الفخر أن يكون النَّبِيُّ ﷺ قد عَيَّنَ خَلِيفَتَهُ وَوَصِيَّهَ مِنْ بَعْدِهِ أَيْضاً، لما تقدَّم أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ اسْتَخْلَفُوا عَلَى أُمَّهَمُ ، ولقوله تعالى عن موسى بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي» «قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى» (٥) فوجب على رسولنا ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ وَزيراً مِنْ أَهْلِهِ اقْتِدَاءً بِالْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ» فثبتت أَحَقِّيَّةُ الْإِمَامِيَّةِ اعْتِقَادَهُمُ الْإِسْتِخْلَافَ ، وبطلت جميع المذاهب الأخرى .

وبعبارة أخرى: وجب على نبيِّنا ﷺ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ وَزيراً

(١) سورة هود: ٤١.

(٢) سورة النمل: ٣٠.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٨.

(٤) التفسير الكبير: الجزء الأول تفسير فاتحة الكتاب.

(٥) سورة طه: ٢٩ - ٣٦.

من أهله كما دعا موسى ﷺ وأنَّ الله تعالى استجاب له كما استجاب لموسى ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ وذلك بتعيين أمير المؤمنين ﷺ .

ويؤيد هذا الاستدلال : قوله تعالى لَنُبَيِّنَنَّ لَكَ ﷻ ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ حيث أمره تعالى أن يقتدي بصبر الأنبياء ﷺ الماضين ، فإذا وجب عليه أن يقتدي بصبرهم ، فأولى أن يقتدي بهم في تنصيب الإمام والوصي والخليفة ، الذي به بقاء الشريعة ، ودوام الهداية .

أولوية الوصية والخلافة في الدين الإسلامي

وإذا كان الأنبياء كلهم قد استخلفوا على أممهم ، وأوصوا لما بعدهم ، مع علمهم بانقطاع شريعتهم ، وعدم دوام رسالتهم ، فأولى بنبيينا الكريم ﷺ وهو خاتم النبيين ، أن يستخلف على أمته ، ويوصي لخليفته ، لعلمه بدوام شريعته ، وبقاء رسالته ، وخلود نبوته .

وقد قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (١) .
وقال ﷺ : « لا نبيَّ بعدي » .

وهذا يوجب أن يكون له أوصياء وخلفاء يحفظون دينه ، ويرعون أمته ، وينصرون رسالته ، في كل زمان إلى انقضاء الدنيا .

وإذا قيل : إن المسلمين هم الذين يحفظون الدين ويحامون عنه . قلنا : إنهم يتعدون عن الدين يوماً بعد يوم ، ويشذون عن أوامره ، ويخالفون أحكامه ، ويفترقون فرقة كثيرة ، وهذا يوجب هدم الدين وضياعه !!

وهل يجوز أن يقال: أن الشريعة - اليوم - باقية بدون إمام وخليفة يرعاها، ويهدي أهلها، ويرشد ضلالها، ويحمي أحكامها، ويبين سننها.

وهل يجوز أن يقال: إن رسول الله ﷺ الذي ما كان يغيب عن المدينة ساعة حتى يستخلف على أمته رجلاً، ثم هو غاب غيبة الموت ولم يستخلف عليهم أحداً؟!!!

وترك دينه وأمته غرضاً للتحريف والبدع والفرقة والتّيه؟! حاشا رسولنا الكريم.

هذا مع غضّ النظر عن ورود النصوص المتواترة في أنه ﷺ استخلف علياً عليه السلام في مواطن كثيرة، ومقامات شهيرة، رواها الفريقان، بألفاظ وصيغ متعددة مثل: خليفتي، وصيّ، وزيري، وليّ، مولاه، يبلغ عني، بمنزلة هارون من موسى، خير من أتركه بعدي، وغيرها من نصوص أخرى - ستأتي مفصلاً^(١) - من بدء الدعوة إلى ختامها، دلت على إمامته وخلافته.

بل إن النبي ﷺ استخلف علياً عليه السلام وعيّنه من أوّل يوم أعلن فيه دعوته، وصدّع برسالته، وحتى آخر يوم ودّع فيه أمته، ولحق بربه وآخرته، فصلّى الله عليه وآله من نبيّ هادٍ، ورسولٍ شفيق.

إختصاص الخلافة بأهل بيت الانبياء

ويظهر من آيات القرآن الكريم اختصاص الخلافة والإمامة بأهل بيت الأنبياء فقط، كقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِى * هَارُونَ

(١) سيأتي تفصيل كل هذه النصوص ودلالاتها في الفصل السادس إن شاء الله تعالى.

أَخِي»^(١)، حيث كشفت هذه الآية عن أن خلافة الأنبياء لا بد أن تكون في أهل بيته، أي ممن ينتسب إليهم في الرحم والقرابة القريبة.

وقوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾^(٢)، وهي ظاهرة في اختصاص الإمامة في ذرية الأنبياء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾^(٣) حيث جعل تعالى الاصطفاء خاص في ذرية الأنبياء.

ويظهر هذا بوضوح في أنبياء بني إسرائيل حيث تحدّروا من ذرية إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف (على نبينا وآله وعليهم أفضل الصلاة والسلام).

وقال تعالى في نوح وإبراهيم (عليهما السلام): ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾^(٤)، فإنها صريحة في اختصاص خلافة الأنبياء بذريتهم وأعقابهم.

وكذلك خاتم النبيين رسول الله ﷺ لما كان من حيث النبوة كالأنبياء الماضين ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٥) وجب أن تجري سنة الاستخلاف في أهل بيته وذريته وهم: عليّ والحسن والحسين والتسعة من ذريته عليهم السلام.

(١) سورة طه: ٢٩ - ٣٠.

(٢) سورة البقرة: ١٢٤.

(٣) سورة آل عمران: ٣٣ - ٣٤.

(٤) سورة الحديد: ٢٦.

(٥) سورة الأحقاف: ٩.

٢ - الإمامةُ سُنةٌ طبيعيةٌ

ولم تُقتصر الإمامة والزعامة على سُنة البشر فحسب ، وإنما تعدّت جميع أنواع المخلوقات .

فما من نوع خلقه الله سبحانه وتعالى إلا جعله خاضعاً للمتقدّم منه ، يأتّم به في سِير الحياة ونظم الطبيعة ، ولم يُستثن من ذلك شيء . فمثلاً :

في الأفلاك

إنّ لجريان الأفلاك والنجوم مساراً تسير نحوه ، لا تتعدّاه ولا تحيد عنه ، فجعل الله الشمس إماماً ومحوراً لتوابعها من الأرض وباقي المجموعة الشمسية ، كلّها تدور حول الشمس ، لا تحيد عنها قيد أنملة ، ولو حادت عنها لأختلّ سيرها ونظامها ، ولو انعدمت الشمس لانعدمت باقي توابعها ، بل لو اختلّ سير الشمس في مدارها لأختلّ جميع توابعها أيضاً .

وقال بعض الاعلام :

« جعل الله تعالى في الفلكيات الشمس إمامهم ، والقمر وزيره ، والأفلاك أقاليمها ، والبروج بلادها ، والعلوية والسفلية في حكمها وفي تدبيرها ، وجعل أنوار الكواكب منها ومن ضوئها ، وأسكنها وسط الأفلاك ، وجعلها كلّ شهر في بلد

من بلاد ملكها، وجميع الكواكب والبروج في قبضتها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (١).

في المعادن

وقال أيضاً: وفي المعادن جعل الذهب خلاصتها، وجعلها جوهر الأثمان، وجعلها في التراب، ثم اختار اللآلي الثمينة واحداً فواحداً دون مرتبة الذهب، وكذلك في الأشجار، والنبات، والمطعومات، والمشروبات، والملبوسات، إلى آخر الكائنات، فلا بد من كون الإنسان مثلها على سبيل الإستمرار ببقاء نوع الإنسان، ومنه قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٢)، (٣).

في الحيوانات

وهكذا لم يخلق سبحانه خلقاً إلا وجعل له إماماً وقائداً مطاعاً، حتى الحيوانات والبهائم والوحوش، فقد نصّ علماء الحيوان: أن لكل نوعاً منها رئيساً وقائداً، حتى الطيور في الهواء إذا طارت تقدّمها أحدها فتطير خلفه، يأتّمون به، ويذهبون حيثما ذهب، ويميلون حيثما مال، ولولا هذا القائد لما أمكنها أن تطير جماعات منتظمة. وللنمل قائد، إذا هاجرت أو مشّت تقدّمها أحدها فمشّت خلفه، فيكون

(١) سورة فصلت: ٥٣.

(٢) القيامة: ٣٦.

(٣) أسرار الإمامة: ٤٦ - ٤٧.

المتقدّم إمامهم وقائدهم يتبعونه حيث ما سار .
وقد فطر الله سبحانه الإبل على ذلك ، فإنّها مع وجود الراعي لها لا تسير إلّا
خلف قائدها المسمّى بـ (الجمل الفحل) تتبعه حيث سار .
ولذلك لا يهتمّ بها الرّاعي مع وجود هذا الفحل أمامها ، لعلمه بأنّها لا تحيد عن
قائدها الفحل .

ومن عجيب ما وقع للحيوانات

ما وقع للنحل : فإنّها تتخذ لها مَلِكاً وأميراً يدبّرها ويهديها ، ويرعى ذهابها
وإيابها ، ويتفقد صحيحها وسقيمها ، وبدونه لا يمكنها أن تنتج عسلها وتدير
خليّتها .

ومن عجيب ما وقع للنحل : إنّ مَلِكَ النحل لا يكون إلّا من سلالة معيّنة ، يتحدّر
منها الملك إلى الأبد ، لا يكون من غيرها ، ولا تجتمع على غيره قطّ ، ويسمّى ملكُ
النحل بـ (اليعسوب) .

ومنه قول رسول الله ﷺ - فيما رواه الخاصّ والعام عن أبي ذرٍّ وسلمان -
لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد أخذ بيده :

« هذا يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الكافرين والظلمة والمنافقين »^(١) .

(١) ميزان الاعتدال : ٣/٢ ، سير أعلام النبلاء : ٧٩/٢٣ ، المعجم الكبير : ٢٦٩/٦ ، الجامع
الصغير : ١٧٨٢ ، كنز العمال : ٦١٦/١١ ، فيض القدير : ٤٧٢/٤ ، أمالي الشيخ الصدوق :
٣٨٣ ، معاني الأخبار : ٣١٤ .

وتمام الحديث : عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو أخذ بيد عليّ عليه السلام :

أي: يلوذ المؤمنون بك ، ويلوذ الكافرون والظالمون والمنافقون بالمال ، كما تلوذ النحل ببيعسوبها وأميرها .
قلت : لا يخفى أن تشبيه النبي ﷺ علياً ﷺ باليعسوب دون غيره لأسباب منها:

إن ملوك النحل لا تتحدر إلا من سلالة اليعسوب دون غيره من النحل ، وكذلك أئمة هذه الأمة لا يكونون إلا من سلالة أمير المؤمنين علي ﷺ .
ومنه سمّي الإمام عليّ ﷺ ب: «أمير النحل» (١).

«هذا أول من آمن بي، وأول من يصفحني يوم القيامة، وهو فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظلمة، وهو الصديق الأكبر، وهو خيلتي من بعدي» ميزان الاعتدال: ٣/٢، ٤١٧.

ولما كان هذا النص الشريف دالاً على إمامة علي بن أبي طالب ﷺ طعنوا في رواته لكونهم شيعة لعلي ﷺ، كباقي الأحاديث الواردة في إمامته وخلافته، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .
(١) قال العلامة الدميري (ت: ٨٠٨ هـ) في حياة الحيوان الكبرى: ٢ / ٤٤١، مادة اليعسوب: «ومن هنا قيل لأمر المؤمنين عليّ كرم الله وجهه أمير النحل».

وقال العلامة سبط ابن الجوزي (ت: ٦٥٤ هـ) في (تذكرة الخواص: ١٦):
«اليعسوب ملك النحل، المؤمنون يتشبهون بالنحل لأن النحل تأكل طيباً وتضع طيباً، وعليّ ﷺ أمير المؤمنين».

وقد أخذ الشعراء هذا الاسم في قصائدهم ، فمنهم: ابن حمّاد قال في مدح أمير المؤمنين ﷺ:

أميرُ النحل مولى الخلق	غير الواحد الصمد
شبيهُ المصطفى في الفضل	لم ينقص ولم يزد

ومنهج: السروجي يقول:

وهكذا باقي أصناف البهائم والوحوش البرّية ، وحتّى البحريّة مثل الأسماك والحيتان وغيرها ، فإنّها لا تهاجر إلّا مجتمعة خلف قائدٍ لها، تتبعه وتسير خلفه . وإلى هذا يشير قول الشاعر :

وهل ترك الرحمن هذا الورى سُداً بلا حاكمٍ عدلٍ به يُجبرُ الكسّرُ
أُخلق للحيوان من كلّ فرقةٍ رئيسٌ مطاعٌ مانعٌ دافعٌ برُّ
فللنحل يعسوبٌ وللنمل قائدٌ وفي حمر الوحش الرئيس له ذكرٌ^(١)

فانظر كيف فطر الله سبحانه هذه الحيوانات على غريزة الإمامة ، وخضوعهم للمتقدّم منهم ، الذي لولاه لم ينتظم عملها ولا استقرّت حياتها .

فإذا كان الله تعالى قد جَبَلَ في نفوس هذه البهائم فطرة الإمامة ، وضرورة أن يكون لهم متقدّم ياتّمون به ، فكيف يخلي الإنسان وهو أشرف المخلوقات من إمامٍ وقائدٍ يُنظّم حياتهم ، ويحفظ دينهم ، ويهدي ضالّهم .

وهذا الصنف من المخلوقات -وهو الإنسان - أحوج إلى الإمام والقائد من غيره ، لأنّ الله تعالى إنّما خلقه للكمال ، والتقدّم نحو الأفضل ، فكان أولى بأن

﴿كَلَّا وَحَقُّ أَمِيرِ النِّحْلِ حَيْدَرُهُ
خَيْرِ الْبَرِيَةِ آبَاءً وَأَشْرَفُهَا
لَوْلَاهُ مَا قَامَ لِلْإِسْلَامِ قَائِمَةٌ

ومما قيل :

إمامي أميرُ النحل فارسُ خيبرٍ ويعسوبُ دينِ الله بالتبّ الفصيلِ
له بيعةٌ كالشمس لا ينكرونها بأمرِ التّبّي المصطفى خاتمِ الرُّسلِ

(١) الأبيات للسيد محسن الأمين العاملي رحمته الله اقتبسناها من كتابه : « البرهان في إثبات إمامة صاحب الزمان عليه السلام » .

يجعل الله لهم إماماً وقائداً وزعيماً في كلِّ جيل وزمان .
وكيف إنَّ الله سبحانه لم يترك بدن الإنسان حتَّى جعل لجوارحه إماماً وحاكماً
وهو قلبه الذي يأمر الجوارح وينهاها، ويميّز ما تلامسه وتراه من الأشياء
الخارجية ، ولولا القلب لما عملت هذه الجوارح، أفيجعل الله سبحانه لجوارح
الإنسان إماماً ومدبّراً ، ويترك خلقه بلا إمام ولا حاكم يصلحهم ويدبّرهم ؟
وفي بدن الإنسان قلبٌ مدبّرٌ جوارحه، والناس أمرُهُم هَدْرٌ؟!

مناظرة هشام بن الحكم (ت: ١٩٧ هـ)

وبهذا استدللَّ هشام بن الحكم^(١) على خصمه عمرو بن عبيد ، قال هشام :
« بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة ، فعظم ذلك عليَّ .
فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة ، فأتيت مسجد البصرة ، فإذا أنا بحلقة
كبيرة فيها عمرو بن عبيد ، وعليه شملة سوداء متّزر بها من صوف ، وشملة مرتدٍ
بها، والناس يسألونه ، فاستفرجتُ الناس فأفرجوا لي . ثمّ قعدت في آخر القوم
على ركبتي ، ثمّ قلت :

أيُّها العالم إنِّي رجل غريب ، تأذن لي في مسألة ؟

(١) هشام بن الحكم الكندي البغدادي (ت ١٩٧ هـ) من أبرز تلامذة الإمام جعفر الصادق عليه السلام ،
ومن متكلمي الشيعة، أكثر في مناظراته من الإمامة ودافع عنها، حتَّى قال هارون الرشيد: إنَّ
لسان هشام أوقع في نفوس الناس من ألف سيف، ألف الكثير من الكتب (أنظر: الفهرست
لابن النديم: ٢٢٣، والملل والنحل للشهرستاني: ١ / ١٨٥) كان شديد الخصومة مع
المعتزلة، حتَّى اتَّهموه بما لا يليق بشأنه، وكان أشدَّهم عليه الجاحظ، طلبه هارون الرشيد
حتَّى أدركه الموت بالكوفة مخفياً .

فقال لي: نعم .

فقلت: ألك عين؟

فقال: يا بُنَيَّ أَيُّ شَيْءٍ هَذَا مِنَ السُّؤَالِ؟! وشيءٌ تراه كيف تسأل عنه؟!!

فقلت: هكذا مسألتني!

فقال: يا بُنَيَّ سل وإن كانت مسألتك حمقاء!

قلت: أجبني فيها.

قال: سل؟

قلت: ألك عين؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع بها؟

قال: أرى بها الألوان والأشخاص.

قلت: فلك أنف؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أشمُّ به الرائحة.

قلت: ألك فم؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أذوق به الطعم.

قلت: فلك أُذُن؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع بها ؟

قال : أسمع بها الصوت .

قلت : ألك قلب ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع به ؟

قال : أُمَيِّزُ به كُلَّ ما ورد على هذه الجوارح والحواس !

قلت : أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟

فقال : لا .

قلت : وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة ؟

قال : يا بُنَيَّ إِنَّ الجوارح إذا شَكَت في شيء شَمَّتْهُ أو رَأَتْهُ أو ذَاقَتْهُ أو سَمِعَتْهُ ، رَدَّتْهُ إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك .

قال هشام : فقلت له : فإِنَّمَا أقام الله القلب لشك الجوارح ؟

قال : نعم .

قلت : لا بد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح ؟

قال : نعم .

فقلت : يا أبا مروان ! فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتَّى جعل لها إماماً يُصَحِّحُ لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه ، ويترك هذا الخلق كُلَّهُم في حيرتهم وشكهم واختلافهم ، لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم ، و يقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك ؟!

قال هشام: فسكت ولم يقل لي شيئاً، ثم التفت إليّ، فقال لي:
أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا.

قال: أَمِنْ جلسائه؟
قلت: لا.

قال: فمن أين أنت؟
قلت: من أهل الكوفة.

قال: فأنت إذّا هو! ثم ضمّني إليه وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه وما
نطق حتّى قمت»^(١).

وهذا استدلالٌ فطريّ، لا يحتاج إلى إعمال الفكر والنظر، فإنّ من حكمة الله
سبحانه أنّه إذا خلق شيئاً جعل له ما يصلحه ويدبّره ولا يدعه هملًا، وأي مخلوق
أعزّ على الله تعالى من الإنسان الذي كرّمه وفضّله على من سواهم وأخدمه بما في
البرّ والبحر، أفيدعه بلا إمامٍ مصلحٍ وحاكمٍ عادلٍ؟!
ومن هذا كلّ تعرّف:

أنّ الإمامة سنّةٌ طبيعيةٌ كونيةٌ، وضرورة عقليةٌ فطريةٌ، بها تتكامل الحياة،
ويسير نظامها، فكيف بمن خلق الله سبحانه الحياة لأجله؟ وسخر له ما في البرّ
والبحر؟

أفيجوز على الله سبحانه أن يجعل لسائر المخلوقات إماماً وقائداً، ولبدن
الإنسان حاكماً ومدبّراً، ويترك الناس بلا إمام ولا قائد ليكونوا عُرضةً للإرتداد
والضلال ويؤول دينه إلى الأفول والزوال؟! حاشا لله تعالى.

(١) علل الشرائع: ١/١٩٤، الاحتجاج: ٢/١٢٨.

٣ - الإمامةُ سُنَّةٌ بشريةٌ

ولم تكن الوصية بالإمامة والخلافة مختصة بالأنبياء فحسب ، بل جرت أيضاً لكل ملوك الأرض ، وسلاطين الدنيا ، فلم يُعهد في ملوك البشرية أن ملكاً كان بلا وزير يقوم مقامه ، ويؤدّي عنه ، ويحفظ مملكته من كيد الأعداء .

بل حتّى المتسمّين بالخلفاء ، الذين تربّعوا على سدة الشريعة ، لم يخرج أحدٌ منهم من الدنيا حتّى استخلف وأوصى إلى من يقوم مقامه .

بل حتّى أولئك الذين أنكروا الوصية بالخلافة والإمامة ، وادّعوا أنّها بالشورى أو الإجماع ، فإنّهم نقضوا كلّ ذلك واستخلفوا من يميل هواهم إليه .

فإنّ من سبّر تاريخ الإسلام ، وسيرة الخلفاء الذين قالوا بالشورى ، وأنكروا استخلاف الرسول ﷺ لأحد ، يجدهم قد أبطلوا الشورى وضربوها عرض الجدار !! وانتهجوا منهج الاستخلاف والوصية ، لمّا رأوا أنّ الزعامة ستخرج من أيديهم ، فأوصى كلّ واحد منهم إلى من يحبّ ، ونقضوا بذلك مبدأ الشورى .

ومن أظهر مصاديق ذلك : ما صنعه الشيخان :

أما أبو بكر

فقد أجمع أهل الإسلام قاطبة:

أنَّ أبا بكر أوصى بالخلافة إلى عمر بن الخطاب ، وضرب الشورى عرض الجدار ، ولم يستشر أحداً من الصحابة قط بل خالفهم في اعتراضهم على استخلافه عمر بن الخطاب ، فصارت خلافة عمر بن الخطاب بتعيين أبي بكر خاصة ؟

وقد ذكر ابن قتيبة ، وابن سعد ، قالوا :

« دعا أبو بكر عثمان بن عفَّان ، فقال له : أكتب عهدي ، فكتب عثمان وأملى عليه : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة ، آخر عهده من الدنيا نازحاً عنها ، وأوَّل عهده بالآخرة داخلاً فيها : إنِّي استخلفت عليكم عمر بن الخطَّاب » (١).

وقد رواها الطبري وابن سعد بكيفية أُخرى : قالوا :

« عن محمَّد بن إبراهيم ، قال : دعا أبو بكر عثمان خالياً ، فقال له : أكتب بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين ، أمَّا بعد .

قال محمَّد بن إبراهيم : ثمَّ أغمي عليه فذهب عنه ، فكتب عثمان :

أمَّا بعد فإنِّي قد استخلفت عليكم عمر بن الخطَّاب ولم آلكم خيراً منه .

ثمَّ أفاق أبو بكر فقال : اقرأ عليّ ، فقرأ عليه ، فكَبَّر أبو بكر وقال : أراك خفت أن

(١) الإمامة والسياسة : ٣٧/١ ، الطبقات الكبرى : ٢٠٠/٣ .

يختلف الناس إن افتلت نفسي في غشيتي ، وأقرّها أبو بكر»^(١).
فإن كانت الخلافة بالشورى ، فأين الشورى؟! ولماذا ضربها الخليفة عرض
الجدار؟!

وإن كانت بالإجماع فأين الإجماع؟!
بل : هذا دليل على ضرورة الاستخلاف والتعيين .
وهل كان أبو بكر أحرص على هذه الأمة من رسول الله ﷺ ، حينما استخلف
هو ولم يستخلف النبي ﷺ بزعمهم .
وقد وصف الله تعالى رسوله ﷺ بأنه : «حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ
رَحِيمٌ»^(٢).

وقد قال رسول الله ﷺ : «أنا لكم كالوالد لولده» .
فهل كان أحد لهذه الأمة كما كان رسول الله ﷺ لها؟!
وتم : كيف خاف أبو بكر على الأمة من الفتنة ، حينما قال : «اللهم إني خفت
عليهم الفتنة»^(٣) ولم يخف رسول الله ﷺ على الأمة من الفتنة؟! حينما تركهم
بلا خليفة كما يزعمون .
وكيف أشفق رسول الله ﷺ على أمته من الكفر والشرك ، ولم يشفق عليها من
الفتنة والضلال؟!
ومتى صار هؤلاء أشفق على الأمة من نبيها وهاديها؟!

(١) تاريخ الطبري : ٦١٨/٢ ، الطبقات الكبرى : ٢٠٠/٣ ، تاريخ مدينة دمشق : ٤١١/٣٠ .

(٢) سورة التوبة : ١٢٨ .

(٣) الطبقات الكبرى : ٢٠٠/٣ ، تاريخ مدينة دمشق : ٤١٢/٣٠ ، أسد الغابة : ٦٩/٤ .

وَأَيُّ فِتْنَةٍ خَافَ مِنْهَا الْخَلِيفَةُ بَعْدَ أَنْ سَطَعَتْ نَارُهَا يَوْمَ السَّقِيفَةِ؟! بل وَأَيُّ فِتْنَةٍ أَضَرَّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ تِلْكَ الَّتِي أَثَارَهَا فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ؟! وهل هَذَا إِلَّا اتِّهَامٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّهُ لَمْ يَخَفِ الْفِتْنَةَ عَلَى أُمَّتِهِ حِينَمَا تَرَكَهُمْ بِلا خَلِيفَةٍ ، يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَوْمَ السَّقِيفَةِ ، وَيَأْمُرُ بَعْضُهُمْ بِقَتْلِ بَعْضٍ (١)؟! وخَافَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ كَمَا يَزْعُمُونَ؟! ومِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ خِلَافَةَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ كَانَتْ بِاسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ فَقَطْ دُونَ الشُّوْرَى: عَدَمُ رِضَا الصَّحَابَةِ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَدْ رَوَوْا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا عَهِدَ إِلَى عُمَرَ قَالَ:

«إِنِّي وَلَّيْتُ أَمْرَكُمْ خَيْرَكُمْ فِي نَفْسِي فَكَلِّكُمْ وَرَمَ أَنْفَهُ مِنْ ذَلِكَ» (٢)؛
فَقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ «كَلِّكُمْ وَرَمَ أَنْفَهُ مِنْ ذَلِكَ» صَرِيحٌ فِي أَنَّ جَمِيعَ الصَّحَابَةِ لَمْ يَرْضَوْا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وَاسْتَنْكَرُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ اسْتِخْلَافَهُ .
وَفِي سَنَنِ الْبَيْهَقِيِّ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «لَمَّا ثَقُلَ أَبِي دَخَلَ عَلَيْهِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَقَالُوا: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ! مَاذَا تَقُولُ لِرَبِّكَ غَدًا إِذَا قَدِمْتَ عَلَيْهِ وَقَدْ اسْتَخْلَفْتَ عَلَيْنَا ابْنَ الْخَطَّابِ» (٣)؛
وَرَوَوْا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْكِتَابِ دَخَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فِيهِمْ

(١) أنظر: صحيح البخاري: ٢٧/٨ - ٢٨، سيرة ابن هشام: ١٠٧٤/٤، تاريخ اليعقوبي: ١٢٤/٢.

(٢) ميزان الاعتدال: ١٠٩/٣، تاريخ الطبري: ٦١٩/٢، الإمامة والسياسة: ٣٦/١، النهاية: ٧٧/١.

(٣) سنن البيهقي: ١٤٩/٨.

طلحة فقال له: «ما أنت قائل لربك غداً وقد وليت علينا فظاً غليظاً، تفرق منه النفوس، وتنفض عنه القلوب»^(١)؟

وروى ابن أبي شيبة الكوفي، وابن عساكر، وابن شبة النميري، قالوا: «لما حضرت أبا بكر الوفاة أرسل إلى عمر ليستخلفه، فقال الناس: أتستخلف علينا فظاً غليظاً، فلو ملكنا كان أفظ وأغلظ! ماذا تقول لربك إذا أتيتَه وقد استخلفته علينا»^(٢)؟!

وروى الحافظ ابن عساكر بسنده عن القاسم بن محمد بن أبي بكر أن أسماء بنت عميس وهي تحت أبي بكر أخبرته:

«أن رجلاً من المهاجرين دخل على أبي بكر حين اشتد وجعه الذي توفي فيه فقال: يا أبا بكر أذكرك الله واليوم الآخر فإنك قد استخلفت على الناس رجلاً فظاً غليظاً أعتى الناس ولا سلطان له وإن الله يسألك»^(٣)!!

قال ابن منظور (ت: ٧١١هـ) في لسان العرب:

«وفي الخبر أن عبد الملك بن مروان خطب يوماً فقال: وليكم عمر بن الخطاب، وكان فظاً غليظاً مضيئاً عليكم»^(٤).

وهذه شواهد صريحة على عدم رضا الأمة بعمر بن الخطاب، بل لم يرض به رجل واحد؟ فأين الشورى؟ وأين الإجماع؟

(١) شرح نهج البلاغة: ١/١٦٤، و: ١١/١٣، و: ١٧/١٧١.

(٢) المصنف: ٧/٤٨٥، ٨/٥٧٤، تاريخ مدينة دمشق: ٣٠/٤١٣، تاريخ المدينة المنورة: ٦٧١/٢.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٤٤/٢٤٩.

(٤) لسان العرب: ٨/١٦٦، الاوائل للباقلاني: ٥٠٤، الملل والنحل: ١/٢٥، ١٥٥.

وَأَمَّا عمر بن الخطاب

فإنَّه جعلها في سِتَّةِ وهم: أمير المؤمنين عليه السلام والزبير بن العوام وطلحة ابن عبد الله وعبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفَّان وسعد بن أبي وقَّاص .

فلم تدخل في الشورى ، لأنَّ بيعة الناس لعثمان كانت بعد تعيين عمر بن الخطَّاب له كواحد من السِتَّةِ ، فتعود البيعة إلى الاستخلاف والتعيين دون الشورى ، وبه أقرَّ جمع من علماء الجمهور منهم :

ابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ) في فتح الباري (ت: ٨٥٢ هـ)، قال :
«إنَّ عمر رأى الاستخلاف أضبط لأمر المسلمين ، فجعل الأمر معقوداً موقوفاً!» (١).

وبه أقرَّ القاضي الإيجي حينما قال :
«إنَّ خلافة عثمان إنَّما جاءت بعقد رجل واحد ، وهو عبدالرحمن ابن عوف ، ولم تكن بالإجماع ولا الشورى» (٢).
هذا :

مع مخالفة أمير المؤمنين عليه السلام وهو سيِّد أهل الحلِّ والعقد ، فإنَّه امتنع من البيعة ، ولم يرض بعثمان ، واعترض عليهم ، ودعا عليهم ، حتَّى أكره على البيعة .
فقد روى البلاذري (ت: ٢٧٩ هـ) :

«أنَّ علياً عليه السلام امتنع من بيعة عثمان يوم الشورى ، فقال له عبدالرحمن : بايع وإلاَّ

(١) فتح الباري: ١٣ / ١٧٨ .

(٢) المواقف: ٣ / ٥٩٣ - ٥٩٤ .

ضربت عنقك ، فخرج عليٌّ عليه السلام مغضباً فلحقه أصحاب الشورى وقالوا: بايع وإلاّ جاهدناك»^(١).

(١) الأنساب للبلاذري: ٢٢/٥، وفي تاريخ الطبري: ٣٠٢/٣: وتلكاً عليٌّ عليه السلام.

وذكر الجوهري، وابن أبي الحديد، وغيرهم: لمّا طعن عمر جعل الأمر بين الستّة وقال: لتختار الخمسة واحداً منهم، فإن اجتمع ثلاثة على واحد فكونوا مع الثلاثة، وإن اختلفوا فكونوا مع الجانب الذي فيه عبدالرحمن، فقال أمير المؤمنين عليه السلام لعمة العباس: «أما والله ليجتمعن هؤلاء القوم على أن يصرفوا هذا الأمر عنا، ولئن فعلوها - وليفعلن - ليروني حيث يكرهون، والله ما بي رغبة في السلطان، ولا حبّ الدنيا، ولكن لأظهر العدل والقيام بالكتاب والسنة».

فلمّا اجتمعوا قال لهم عبدالرحمن بن عوف: «من رجل منكم يخرج نفسه من هذا الأمر، ويختار لهذه الأمة رجلاً منكم، فإنّ طيبة نفسي أن أخرج منها، واختار لكم». قالوا: قد رضىنا إلاّ عليّ بن أبي طالب فإنّه اتّهمه، فقال له عليّ عليه السلام: «اعطني يا عبدالرحمن موثقاً من الله لتؤثرون الحقّ، ولا تتبع الهوى، ولا تمل إلى صهر ولا ذي قرابة».

قالوا: فحلف له عبدالرحمن بالله الذي لا إله إلاّ هو، لأجتهدنّ لنفسي وللأمة، ولا أميل إلى هوى ولا صهر ولا ذي قرابة، فمكثوا ثلاثة أيام، ثمّ أقبل عبدالرحمن على عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال له: عليك عهد الله وميثاقه وأشدّ ما أخذ الله على النبيين من عهدٍ وميثاق: إن بايعتكم لتعملنّ بكتاب الله وسنة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر، فقال عليّ عليه السلام: «طاقتي ومبلغ علمي وجهد رأيي».

فأقبل على عثمان. فقال له مثل ذلك، فقال: نعم، لا أزول عنه ولا أدع شيئاً منه، ثمّ أقبل على عليّ عليه السلام فقال له ذلك ثلاث مرّات، ولعثمان ثلاث مرّات، وعليّ يجيب على مثل ما كان أجاب به، ويجيب عثمان بمثل ما كان أجاب به، فقال لعثمان: ابسط يدك يا عثمان، فبسط يده فبايعه، وقام القوم وخرجوا وقد بايعوا إلاّ عليّ بن أبي طالب فإنّه لم يبايع. فخرج عليّ وهو يقول: «ليس هذا بأوّل يوم تظاهرتم علينا من دفعنا عن حقنا والاستئثار علينا، وإنّها لسنة علينا، وطريقة تركتموها».

بل وحتى أبو بكر؟

لم تكن خلافته بالشورى، فلو حقّقنا النظر في بيعة أبي بكر، وجدناها أوّل بيعةٍ نقضت مبدأ الشورى!

كيف وقد تخلّف عنها سيّد بني هاشم أمير المؤمنين (عليه السلام)، والعباس بن عبدالمطلب، وجميع بني هاشم، وجماعة من بني أمية منهم أبو سفيان بن

ثمّ قال لبني هاشم: «إنّ قومكم عادوكم بعد وفاة النّبي (صلى الله عليه وآله) كعداوتهم للنّبي (صلى الله عليه وآله) في حياته، وإنّ يُطع قومكم ولا تؤمّروا أبداً، والله لا ينيب هؤلاء إلى الحقّ إلا بالسيف». فسمعه عبدالله بن عمر، فقال: يا أبا الحسن أتريد أن تضرب بعضهم ببعض؟ فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): «اسكت ويحك فوالله لولا أبوك وما ركب منّي قديماً وحديثاً ما نازعني ابن عفّان ولا ابن عوف».

(السقيفة وفدك: ٨٤ - ٨٨).

وروى ابن أبي الحديد: «أنّ عليّاً (عليه السلام) قال لعبدالرحمن بن عوف: «والله ما وليّته الأمر إلا ليردّه عليك، والله كلّ يوم في شأن».

(شرح نهج البلاغة: ١/١٩٤).

قال الجوهري: فقاموا إلى عليّ (عليه السلام) فقالوا: قم فبايع عثمان؟ قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: نجاهدك، فمشى إلى عثمان فبايعه وهو يقول: صدق الله وصدق رسوله، فأتاه عبدالرحمن بن عوف فاعتذر إليه وقال: إنّ عثمان أعطانا يده ويمينه، ولم تفعل أنت، فأحببت أن أتوثّق للمسلمين فجعلتها فيه، فقال له عليّ (عليه السلام): «إيهأ عنك، إنّما أثرته بها لتنالها بعده، دقّ الله بينكما عطر منشم».

(السقيفة وفدك: ٨٩).

قالوا: ففسد بعد ذلك بين عثمان وعبدالرحمن بن عوف، فلم يكلم أحدهما صاحبه حتّى مات عبدالرحمن.

قال أبو هلال العسكري في كتاب (الأوائل): «استجيبت دعوة عليّ (عليه السلام) في عثمان وعبدالرحمن بن عوف فما ماتا إلا متهاجرين متعاديين».

حرب^(١).

وتخلف جميع الأنصار حتى قالوا: لا نبايع إلاً علياً^(٢)، فأين الشورى؟ وأين الإجماع؟ حتى قال عمر بن الخطاب: «كانت بيعة أبي بكر فلتة»^(٣).

وهو صريح في عدم تحققها بالشورى، لأن ما كان بالشورى لا يكون فلتة. ثم أجمعوا أن علياً^(٤) لم يبايع ستة أشهر^(٤) ثم بايع مكرهاً، فثبت إن خلافة أبي بكر أيضاً لم تحصل بالشورى ولا الإجماع.

وغيرهم أيضاً

ولم يؤمن بالشورى ولا الإجماع حتى غيرهم من الصحابة والتابعين، فكان المرتكر عندهم الاستخلاف والنص، لا غير.

فقد رووا: أن عمر بن الخطاب لما أحسّ بالموت قال لابنه عبدالله:

«إذهب إلى عائشة واستأذن منها أن أقبر في بيتها مع رسول الله ﷺ.

فأتاها عبدالله فأعلمها، فقالت: نعم وكرامة، ثم قالت له: يا بُني أبلغ عمر سلامي وقل له: لا تدع أمة محمد ﷺ بلا راعٍ، استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هملاً فإنني أخشى عليهم الفتنة»^(٥).

ونقل الحافظ أبو نعيم الأصفهاني:

«أنَّ عبدالله بن عمر دخل على أبيه، قُبيل وفاته، فقال: إني سمعت الناس

(١) تاريخ اليعقوبي: ١٢٦/٢.

(٢) مسند أحمد: ٥٥/١.

(٣) مسند أحمد: ٥٥/١، صحيح البخاري: ٢٦/٨.

(٤) صحيح البخاري: ٨٣/٥.

(٥) الإمامة والسياسة: ٤٢/١.

يقولون مقالةً فآليت أن أقولها لك ، زعموا أنك غير مستخلف وإنه لو كان لك راعي إبل ثم جاءك وتركها، رأيت أنه قد ضيّع ، فرعاية الناس أشدّ» (١).

فهاهي عائشة وابن عمر يحرضان الخليفة الثاني على الاستخلاف ولم يؤمنا بمبدأ الشورى ، بل صرّحاً بأن إيكال الأمة إلى الشورى يؤدّي إلى الفتنة والضياع . فكيف زعموا أن رسول الله ﷺ ترك الخلافة للشورى ولم يعملوا هم بالشورى ؟ وروى ابن قتيبة وغيره :

«لما قدم معاوية المدينة ليأخذ من أهلها البيعة ليزيد ، اجتمع مع عدّة من الصحابة ، فأرسل إلى ابن عمر فأتاه وخلا به ، فكلمه بكلام ، وقال : إنني كرهت أن أدع أمة محمد بعدي كالضأن لا راعي لها» (٢).

فيا لله وللإسلام ؟ هذا معاوية يزعم أنه يخاف أن يدع الناس كالضأن لا راعي لها ، وقد زعموا أن رسول الله ﷺ تركهم بلا راعي ؟ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، على نسبتهم لرسول الإنسانية ما لا يليق بأدنى رجلٍ من المسلمين .

وهاهم ملوك بني أمية وبني العباس ، فإنك لا تجد أحداً منهم إلّا وقد استخلف من يقوم مقامه من بعده ، ولم يؤثر عن أحدٍ منهم أنه ترك الأمر شورى للمسلمين ، ولا ادّعاه أحد من المؤرخين .

فإن كان رسول الله ﷺ لم يستخلف فقد وجب عليهم أن لا يستخلفوا هم أيضاً ، لأنّ عدم الاستخلاف صار سنة رسول الله ﷺ بزعمهم ، فيكونوا قد خالفوا

(١) حلية الأولياء : ٤٤/١ .

(٢) الإمامة والسياسة : ٢٠٦/١ ، تاريخ الطبري : ٢٢٦/٤ .

سُنة رسول الله ﷺ باستخلاصهم!

ولا أدري! هل وُلِّيَ أحدٌ قطّ - في الإسلام - بالشورى والإختيار؟! أم أنّ الشورى لم تكن إلاّ إسماً وشعاراً؟! لوقتٍ خاص؟! وما ربّ خاصّة؟! أم أنّ الشورى إنّما أدّعت لدفع عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن حقّه ، وإبطال النصوص الدالّة على إمامته ، وإزواء بني هاشم عن مقامهم الذي أحلّهم فيه الله ورسوله؟ وهذه منهم كدعوى عمر بن الخطّاب: «إنّ التّبوّة والإمامة لا تجتمعان في بيت واحد» (١).

وهذا لم يثبت لا في الكتاب ولا في السنة ولا قال به أحد عنه!

إحتجاج الشيخ الصدوق عليه السلام (ت: ٣٨١ هـ)

وممّا يحسن ذكره: مناظرة الشيخ الصدوق مع ركن الدولة (٢) - مختصراً -:
قال ركن الدولة:

«أيّها الشيخ قد اختلف الحاضرون في القوم الذين يطعن عليهم الشيعة ، فقال بعضهم: يجب الطعن ، وقال بعضهم: لا يجوز ، فما عندك في هذا؟» .
فقال الشيخ الصدوق: «أيّها الملك إنّ الله لم يقبل من عباده الإقرار بتوحيده

(١) شرح نهج البلاغة: ١ / ١٩٨ ، شرح الاخبار للقاضي النعمان: ٢ / ٢٥٩ ، الطرائف: ٢ / ٢٥٣ ، ونقل المعتزلى والسيد ابن طاووس عن قطب الدّين الراوندى قول أمير المؤمنين عليه السلام لما دخل في الشورى: إنّ عمر روى أنّ النّبى ﷺ قال: لا تجتمع التّبوّة والخلافة في بيت واحد، والآن قد استصلحني لها، فأنا أدخل في الشورى ليظهر أنه كذّب نفسه ، وناقض روايته.

(٢) هو أحد الملوك البويهيين (ت: ٣٦٦ هـ) الحسن بن بويه بن فنا خسرو الديلمي، ملك في إصفهان والري وهو والد عضد الدولة ومؤيّد الدولة (الأعلام للزركلي: ١٨٥/٢).

حتى ينفوا كل إله وكل صنم عبد من دونه ، ألا ترى أنه أمرهم أن يقولوا : لا إله إلا الله ، ف « لا إله » غيره ، وهو نفي كل إله عبد دون الله ، و « إلا الله » إثبات الله عز وجل ، وهكذا لم يقبل الإقرار من عباده بنبوّة محمد ﷺ حتى ينفوا كل من كان مثل مسيلمة وسجاح والأسود العنسي وأشباههم .

فقال الملك : هذا هو الحق . ثم سأله الملك سوالات كثيرة فأجابته ، إلى أن قال الشيخ الصدوق : « أيها الملك : زعم القائلون بإمامة سامري هذه الأمة : إن النبي ﷺ لا يستخلف ، واستخلفوا رجلاً وأقاموه .

فإن كان ما فعله النبي ﷺ على زعمهم من ترك الاستخلاف حقاً ، فالذي أتته الأمة من الاستخلاف باطل ، وإن كان الذي أتته الأمة صواباً ، فالذي فعله النبي ﷺ خطأ ، فبمن يُلصق الخطأ ، بهم أم به ؟ ! » .

فقال الملك : بل بهم . فقال رجل قائم على رأس الملك : « وكيف يجوز أن يخرج النبي ﷺ من الدنيا ولا يوصي بأمر الأمة ؟ ونحن لا نرضى من أكار - عامل - في قرية إذا مات وخلف مسحاة وفأساً لا يوصي بهما إلى من بعده ؟ » فاستحسنه الملك (١) .

فكل هذه المواقف تدلّ بوضوح وصراحة على بطلان القول بالشورى أو الإجماع ، فليس للشورى أصل ولا أساس بعد ما عرفت من سيرة الأنبياء ﷺ على الاستخلاف ، بل وعمل الصحابة والخلفاء بذلك ، حتى المنكرين له ، وارتكاز العقل على حسنه بل وجوبه وقبح تركه ، بل حكم العقل بذلك فيما هو دون الإمامة ، فكيف بالإمامة نفسها ؟ !

وهذا دليل على أنّ الأصل في الخلافة: النصّ والتعيين، إذ لم يعمل أحدٌ منهم بالشورى قطّ، ممّا يدلّ: أنّ القول بالشورى أمرٌ رُوِّج له أصحابه، لأغراض سياسية، وأطماع مادية، وللتغطية على ما ارتكبوا في السقيفة، بعد أن نصّ رسول الله ﷺ في بدء دعوته على أنّ أمر الخلافة إلى الله تعالى يضعه حيث يشاء.

إحتجاج المأمون العباسي (ت: ٢١٨ هـ ج)

وبهذا إحتجّ المأمون العباسي على المخالفين حينما جمع أربعين رجلاً من علمائهم وجعل يناظرهم في الإمامة، قال لهم:

«خبروني عن النبي ﷺ هل استخلف حين مضى أم لا؟
فقالوا: لم يستخلف.

قال: فتركه ذلك - الاستخلاف - هدى أم ضلال؟
قالوا: هدى.

قال: فعلى الناس أن يتبعوا الهدى ويتركوا الباطل ويتنكبوا الضلال؟
قالوا: قد فعلوا ذلك.

قال: فلم استخلف الناس بعده وقد تركه هو، فترك فعله ضلال، ومحال أن يكون خلاف الهدى هدى، وإذا كان ترك الاستخلاف هدى فلم استخلف أبو بكر ولم يفعله النبي ﷺ؟

ولم جعل عمر الأمر بعده شورى بين المسلمين خلافاً على صاحبه؟ لأنكم زعمتم أنّ النبي ﷺ لم يستخلف، وأنّ أبا بكر استخلف، وعمر لم يترك الاستخلاف كما تركه النبي ﷺ بزعمكم، ولم يستخلف كما فعل أبو بكر، وجاء بمعنى ثالث. فخبروني أي ذلك ترونه صواباً. فإن رأيتم أنّ فعل النبي ﷺ صواباً فقد خطأتم أبا بكر وكذلك القول في بقية الأقاويل.

وخبّرني أيّهما أفضل: ما فعله النبي ﷺ بزعيمكم من ترك الاستخلاف، أو ما صنعت طائفة من الاستخلاف، وخبّرني هل يجوز أن يكون تركه من الرسول ﷺ هدى وفعله من غيره هدى، فيكون هدى ضدّ هدى، فأين الضلال حينئذ؟! وخبّرني: هل ولي أحد بعد النبي ﷺ باختيار الصحابة منذ قبض النبي ﷺ إلى اليوم؟ فإن قلت: لا، فقد أوجبتم أن الناس كلّهم عملوا ضلالة بعد النبي ﷺ.

وإن قلت: نعم، كذبتم الأمة، وأبطل قولكم الوجود الذي لا يدفع.
وخبّرني عن قول الله عزّ وجلّ: «قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ» (١) أصدق هذا أم كذب؟
قالوا: صدق.

قال: أفليس ما سوى الله الله، إذ كان مُحدثه ومالكه؟
قالوا: نعم.

قال: ففي هذا بطلان ما أوجبتم اختياركم خليفة تفترون طاعته وتسمّونه خليفة رسول الله ﷺ، وأنتم استخلفتموه وهو معزول عنكم إذا غضبتم عليه وعمل بخلاف محبّبتكم، ومقتول إذا أبى الاعتزال، ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فتلقوا وبال ذلك غداً إذا قمتم بين يدي الله تعالى، وإذا وردتم على رسول الله ﷺ وقد كذبتم عليه متعمّدين وقد قال: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» (٢).

(١) سورة الأنعام: ١٢.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢١٣/١.

الفصل الثالث

مقاصد الإمامة

١ - الحفاظ على القرآن الكريم والسنة الشريفة

٢ - الدعوة إلى الله تعالى بالموعظة الحسنة

٣ - إقامة العدل ورفع الظلم

٤ - حمل الناس على الجهاد والدفاع

[مَقاصِدُ الإِمَامَةِ]

لا شكَّ أنَّ الله سبحانه وتعالى إنّما فرض الإمامة ، وجعلها من مختصّاته ، لكونها سبباً ووسيلةً إلى مقاصد دينية ودنيوية ، تنتهي إلى استقرار نظام البشر ، وهدايتهم ، وسعادتهم في الدارين ، من خلال إقامة أمر الله عزّ وجلّ ، واستقرار شريعته ، وتطبيق أحكامه وسننه ، كما قال تعالى : ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (١).

فجعل سبحانه وتعالى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غايةً للتمكين في الأرض وهو الامامة.

وقال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (٢) وهو صريحٌ بأنّ غاية الإمامة هي : هداية الأمم وإنارة الظُّلم.

وقد علم الله سبحانه أنّ هذه المقاصد الشريفة لا تتحقّق إلّا بوجود إمامٍ برٍّ صالحٍ عدلٍ معصومٍ من الزَّلَل ، تكون منزلته عند الله تعالى كمنزلة النّبيّ في التقوى والطهارة والأمانة ، يحمل الأُمّة على إقامة أمر الله تعالى ، كما حملهم عليها نبيّهم.

(١) سورة الحجّ: ٤١.

(٢) سورة الأنبياء: ٧٣.

وإلى هذا أشار أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبته، قال: «اللهم إنك تعلم إنه لم يكن الذي كان منافسةً في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنردّ المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»^(١).

وهذا تصريح منه عليه السلام بأن الغاية من الإمامة هي: إقامة حكم الله، ولازمه أن الإمامة إذا خرجت من محلّها، ووقعت في غير أهلها، فسوف تتعطل حدود الله، وتتغير أحكامه، وتتبدل سننه ومعالمه، وتُحرّف شعائره.

وقالت مولانا فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها في مسجد أبيها عليه السلام: «وجعل... طاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة»^(٢).

وهذا نص في أن أهمّ ثمرات الإمامة هي: استقرار نظام الإسلام، وتأليف قلوب المسلمين واتّحاد صفوفهم بعكس ما لو تخلّى المسلمون عن الإمام، فإنّهم سيقعون في مفاسد التّيه والتشتّت والانقلاب على الأعقاب، وهو الجاهلية الأولى.

وحاصل الغاية من الإمامة: إقامة الدّين الحنيف والشرع الشّريف. وهي أساس المقاصد، وأشرف الأغراض والمراتب، قال تعالى: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ»^(٣).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٣١.

(٢) أنظر: الاحتجاج: خطبة مولانا فاطمة الزهراء عليها السلام.

(٣) سورة الشورى: ١٣.

فَيَبَيِّنُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ الْغَايَةَ مِنَ الشَّرَائِعِ هِيَ: إِقَامَةُ دِينِ اللهِ، وَذَلِكَ بِإِقَامَةِ سُنَّتهِ وَأَحْكَامِهِ، وَالْإِلْتِزَامِ بِطَاعَتِهِ، وَالْإِنْتِهَاءِ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَبِهِ صَرَّحَ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام) فِي جَوَابِهِ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ، حِينَما سَأَلَهُ: مَا يَمْنَعُكَ حِينَ بُويعَ أَخُو تَيْمٍ بِنِ مَرَّةٍ، وَأَخُو عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَأَخُو بَنِي أُمَيَّةٍ بَعْدَهُمَا، أَنْ تَقَاتِلَ وَتَضْرِبَ...؟! فَأَجَابَهُ (عَلَيْهِ السَّلَام):

«... أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا الْأُمَّةُ صَانِعَةٌ بِي بَعْدَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا تَعْهَدُ إِلَيَّ إِذَا كَانَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَام):

إِنْ وَجَدْتُ أَعْوَانًا فَاذْبِذْ إِلَيْهِمْ وَجَاهِدْهُمْ، وَإِنْ لَمْ تَجِدْ أَعْوَانًا فَكَفِّ يَدَكَ، وَاحْقَنْ دَمَكَ، حَتَّى تَجِدَ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وَكِتَابِ اللهِ وَسُنَّتِي أَعْوَانًا»^(١).

وَمِثْلُهُ كِتَابُهُ (عَلَيْهِ السَّلَام) إِلَى مَالِكِ الْأَشْجَرِ، يَقُولُ لَهُ فِيهِ:

«إِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهَرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الْأَثِيمِ، وَأَسَدُّ بِهِ لِهَاقَةِ^(٢) الثَّغْرِ الْمَخُوفِ»^(٣).

وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةَ عَنْ عِيسَى (عَلَيْهِ السَّلَام): «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ»^(٤) أَي: مَنْ أَعْوَانِي عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ الْمُؤَدِّي إِلَى اللهِ^(٥).

وَمَعْنَى إِقَامَةِ الدِّينِ: تَطْبِيقُ أَحْكَامِهِ، وَإِحْلَالُ حِلَالِهِ وَتَحْرِيمُ حَرَامِهِ، وَحَمْلُ الْأُمَّةِ عَلَى ذَلِكَ، وَعَقُوبَةُ الْمُخَالِفِينَ لَهُ، وَالْمُتَجَاوِزِينَ عَلَيْهِ، بِالْحَدِّ وَالتَّعْزِيرِ

(١) مستدرک الوسائل: ٧٥/١١، کتاب سلیم بن قیس الہلالی: ٢١٥.

(٢) اللہاء: اللّحمة المشرفة على الحلق من أقصى الفم، والجمع لهوات.

(٣) نهج البلاغة، الكتاب: ٤٦، أنساب الأشراف (للبلاذري): ٣٩٨.

(٤) سورة آل عمران: ٥٢.

(٥) مجمع البيان: ٣٠٢/٢.

والتأديب.

وكلّ هذا لا يتمّ إلا بوجود إمام برّ تقيّ ، مأمون من الزلل ، معصوم من الخلل ، قويّ في ذات الله ، شديد في أحكام الله ، غيورٌ على دين الله ، لا تأخذه في الله لومة لائم.

وأما أسباب إقامة الدّين فأربعة :

الأول من أسباب إقامة الدين

[الحفاظ على القرآن الكريم والسنة الشريفة]

إنَّ أوَّل وأقوى أسباب إقامة الدين وبقاء الشريعة وخلود الإسلام هو : الحفاظ على القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وذلك بواسطة تدوينهما ونشرهما وإبلاغهما إلى أجيال الأمة الإسلامية في كلِّ زمان ومكان ، وصونهما من كلِّ زيادةٍ ونقصان . وقد قيَّض الله سبحانه لهذا الدين حفظةً وحملَةً ، كتبوا سُنَّته ، ودوَّنوا أحكامه ، وأودعوها الكتب ، لتبلغ إلى أجيال هذه الأمة الإسلامية .

أولئك هم أهل بيت رسول الله ﷺ ، أولهم : أمير المؤمنين ، ثمَّ أولاده الطاهرون عليهم السلام ، ثمَّ أصحابهم وشيعتهم جيلاً بعد جيل .

وكان لأمر المؤمنين عليهم السلام فضل السبق إلى ذلك ، إذ كان أوَّل من دوَّن وجمع القرآن الكريم والسنة الشريفة ثمَّ أولاده من بعده ، فصاروا هم السبب في بقاء هذا الدين .

[١]

جهود أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في الحفاظ على القرآن الكريم

إنَّ أوَّل ما سجَّله التاريخ لجهود أهل البيت عليه السلام للدين الإسلامي هو:
دور أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في حفظ أعظم مَعْلَم من معالم
الإسلام ، وأوَّل ركني التشريع الإسلامي ، وهو: القرآن الكريم ، من الضياع
والتحريف والتبديل ، فكان له فضلُ السَّبق إلى ذلك ، دون غيره .
وقد تحقَّق ذلك في أمورٍ ثلاثةٍ ، فيها حياة القرآن وخلوده وبقاؤه ، وهي :
قرائته ، وجمعه ، وتفسيره :

١ - قرائته وروايته للأُمَّة

فما هو موجودٌ - اليوم - في أيدي المسلمين يتلونه آناء الليل وأطراف النهار ،
إنَّما هو بفضل جهود وصيِّ رسول الله ﷺ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومساعيه
في: قرائته وروايته للأُمَّة الإسلامية .
ويشهدُ لهذا: إطباق الأُمَّة الإسلامية كافَّة - كما في « مصحف المدينة المنورة »
المطبوع في المملكة العربية السعودية ، والذي هو من أشهر المصاحف وأكثرها

انتشاراً ، على أنّ هذا القرآن الذي يقرأه المسلمون جميعاً ، إنّما هو برواية ثلاثية من رجال الشيعة الإمامية الكوفيين الذين رَوَوْه عن الإمام أمير المؤمنين وسيد الوصيين وأول المسلمين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وهم :

١ - حفص بن سليمان بن المغيرة الكوفي (ت: ١٨٠ هـ)

ذكره الشيخ أبو جعفر الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وقال: أسند عنه (١)، (٢) روى القرآن عن شيخه :

٢ - عاصم بن أبي النّجود الأسديّ الكوفيّ (ت: ١٢٧ هـ)، التابعيّ (٣).

أحد القراء السبعة ، وكان نحوياً فصيحاً ، إماماً في القراءة ، روى له البخاري ومسلم وأصحاب السنن .

قال الحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ): «عاصم بن أبي النجود ، الإمام الكبير مقرئ العصر ، كان ثبناً في القراءة ، صدوقاً للحديث ، وقد وثّقه أبو زرعة وجماعة (٤) . وقد صرح أعلام الجمهور بأنّه روى القرآن عن شيخه :

(١) رجال الشيخ الطوسي : ١٨٩ .

(٢) أقول : وظاهر قراءة حفص هذه أنّه كان شيعياً ، لأنّ قرائته هذه هي القراءة التي رواها شيخه عاصم عن أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد صرح عاصم بأنّ له قراءتان : إحداها عن أمير المؤمنين عليه السلام ، والأخرى عن عبد الله بن مسعود ، وله راويان : حفص ، وشعبة ، وأنّه خصّ راويه حفصاً بقراءة أمير المؤمنين عليه السلام وخصّ شعبة بقراءة ابن مسعود ، فكان حفص يفتخر بهذه القراءة ، أي قراءة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه .

(٣) قال صاحب الذريعة: ١ / ٥١٦: عاصم بن أبي النجود الكوفي الشيعي. وفي: ١ / ٤٦٨، عدّه أحد القراء الشّيعيّة الأربعة. وأنظر (تلخيص التمهيد) للشيخ محمد هادي معرفة: ١ /

٣- أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي (ت ٥٧٤هـ)، التابعي وكان من خواص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وممن حمل عنه الفقه والحديث، وكان مقراءً عمدة في القراءة» (١).

قال ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ):

قال أبو إسحاق السبيعي: أقرأ القرآن في المسجد أربعين سنة، وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة، وقال التستائي: ثقة (٢)، وقال ابن حجر: قال محمد بن عمر: كان ثقة كثير الحديث، وقال أيضاً: قال ابن عبد البر: هو عند جميعهم ثقة (٣)، وقال في (تقريب التهذيب): ثقة ثبت (٤).

روى عنه البخاري وأصحاب السنن، مما يدل على وثاقته عند الفريقين. وقد اتفق العلماء - كما سيأتي إن شاء الله - على أن أبا عبد الرحمن السلمي لم يقرأ القرآن إلا على شيخه:

٤- أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (٥)

كما صرح به أبو عبد الرحمن نفسه.

(١) وهو الذي علم أحد أولاد الحسين عليه السلام سورة الحمد فأعطاه ألف دينار وألف حلة وحشا فاه دراً (المناقب لابن شهر آشوب: ٢٢٢/٣).

(٢) تهذيب التهذيب: ١٦١/٥.

(٣) تهذيب التهذيب: ١٦١/٥.

(٤) تقريب التهذيب: ٤٨٦/١.

(٥) سيأتي: أن الإمام علياً عليه السلام كان أقرأ الصحابة للقرآن، كما صرح به جماعة، وبهذا وغيره

تستحق الخلافة والإمامة، كما روى عن النبي ﷺ قوله: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَاهُمْ».

وبه قال الجاحظ في رسالته التي ستأتي إن شاء الله تعالى.

ورواه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عن

أشرف المرسلين أبي القاسم المصطفى مُحَمَّد ﷺ

عن الله جلّ جلاله .

وبهذا الإسناد: صرح أكابر العامة وحفّاظهم وأساطينهم ، منهم :

الحافظ الذهبي (ت : ٧٤٨ هـ) ، قال : « وأعلى ما يقع لنا القرآن العظيم ، فهو من جهة عاصم - ثم ذكر إسناده متصلاً إلى : حفص عن عاصم عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعن زرّ ، عن عبد الله ، كلاهما عن النبي ﷺ ، عن جبرئيل عليه السلام عن الله عزّ وجلّ » (١) .

وقال أيضاً : عاصم بن أبي النجود : « الإمام الكبير مقرئ العصر ، قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي (٢) ، وكان ثباتاً في القراءة ، صدوقاً في الحديث ، وقد وثّقه أبو زرعة وجماعة » (٣) .

فالصحيح أنّ أبا عبد الرحمن السلمي أخذ القراءة عن شيخه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقط ، وما قيل أنّه قرأ على عثمان بن عفّان فباطل ، وبه أقرّ جمعٌ من السّنة ، منهم :

ابن سعد في (الطبقات) وابن حجر في (تهذيب التهذيب) قالوا :

« قال حجاج بن محمد : قال شعبة : لم يسمع أبو عبد الرحمن السلمي من ابن

(١) معرفة القراء الكبار : ٧٧/١ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٢٥٦/٥ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٢٦١/٥ .

مسعود ولا من عثمان ، ولكن سَمِعَ من عليّ بن أبي طالب عليه السلام «(١)». وبه أقرّ أبو عبدالرحمان نفسه : « فقد روى ابن سعد ، والذهبي ، عن أبان بن العطار ، عن عاصم ، عن أبي عبدالرحمان السُّلَميّ قال : أخذتُ القراءة عن عليّ عليه السلام »(٢).

وروى الحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، عن أبي عبدالرحمان السُّلَميّ قال : « لم أخالف عليّاً عليه السلام في شيءٍ من قراءته »(٣). وروى عن عاصم بن أبي النجود، أنّه قال : « لم أخالف أبا عبدالرحمان السُّلَميّ في شيءٍ من قراءته ، فإنّ أبا عبدالرحمان لم يخالف عليّاً عليه السلام في شيءٍ من قراءته »(٤).

ومنهجهم : ابن الجزري ، قال : « قال حفص : قال لي عاصم : ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها على أبي عبدالرحمان السُّلَميّ ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وما كان من القراءة التي أقرأتها أبا بكر بن عيّاش فهي القراءة التي كنت أعرضها على زرّ بن حبيش ، عن ابن مسعود »(٥).

وقال الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) : « قال ابن عيَّاش : قال لي عاصم : ما أقرأني أحدٌ حرفاً إلّا أبو عبدالرحمان السُّلَميّ ، وكان أبو عبدالرحمان قد قرأ على عليّ بن أبي

(١) الطبقات الكبرى : ١٧٢/٦ ، تهذيب التهذيب : ١٦١/٥ .

(٢) الطبقات الكبرى : ١٧٢/٦ ، سير أعلام النبلاء : ٢٦٩/٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٤٤١/٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ٢٥٩/٥ .

(٥) طبقات القراء الكبار : ٣٤٨/١ ، سير أعلام النبلاء : ٥٩٥/٥ .

طالب عليه السلام... فقلت لعاصم: لقد استوثقت» (١).

وهذا نصٌّ صريحٌ في أنّ أبا عبدالرحمان السُّلَميّ لم يأخذ القراءة إلّا من عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وبهذا يظهر كذب مَنْ ادّعى: أنّ أبا عبدالرحمان قرأ على عثمان، فإنّ أبا عبدالرحمان نفسه صرّح بأنّه لم يأخذ قراءته إلّا من عليّ بن أبي طالب عليه السلام، بل لم يروِ أحدٌ - قطّ - أنّ أبا عبدالرحمان أخذ القراءة عن عثمان، ولا ادّعاه أحدٌ من السَّلف!

هذا: مع إقرار أبي عبدالرحمان وغيره: بأنّ عليّاً عليه السلام كان أقرأ الصحابة للقرآن. فقد روى الحاكم الحسكاني (ت: ق / ٥) بسنده عن عاصم وعطاء، عن أبي عبدالرحمان السُّلَميّ قال: «ما رأيتُ أحداً كان أقرأ للقرآن من عليّ بن أبي طالب عليه السلام» (٢).

وروى عن ابن عباس قال: «دعا عبدالرحمان بن عوف نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ، فحضرت الصلاة فقدموا عليّ بن أبي طالب لأنّه كان أقرأهم» (٣). ومع إقراره بأنّ عليّاً عليه السلام أقرأ الصحابة، لا يسعه ترك قراءته، بل ظاهر كلامه أنّه أخذ القراءة من عليّ عليه السلام لأنّه أقرأهم، فضلاً عن تصريحه بذلك كما عرفت. بل أخذ القراءة عن عليّ عليه السلام جمع من الصحابة والتابعين أشهرهم:

(١) معرفة القراء الكبار: ٧٥/١، سير أعلام النبلاء: ٢٥٨/٥، شواهد التنزيل: ٣٢/١.

(٢) شواهد التنزيل: ٣٢/١ - ٣٣.

(٣) شواهد التنزيل: ٣٣/١.

١ - عبدالله بن عباس (ت ٦٨هـ).

٢ - سعيد بن جبير الكوفي (ت ٩٥هـ).

٣ - أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٧٤هـ) شيخ قراءة عاصم (أنظر: تفصيل ذلك في كتاب دراسة حول القرآن الكريم للسيد محمد حسين الجلاي).

وحاصل البحث: إن الكتاب العزيز تنتهي روايته وقراءته إلى وصي رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا من أعظم ما قدمه الإمام وجاد به للأمة الإسلامية وأجيالها إلى قيام الساعة، فصلوات الله وسلامه عليه وآله، هذا فضلاً عن جهوده الأخرى، كدفاعه عن القرآن ونهيه عن أن يُهاج بعد جمعه، وجهود أخرى سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

فالقراءة الحاضرة اليوم قراءة شيعية محضة، بفضل جهود أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته الأبرار الذين رووه عنه.

٢ - دور الإمام علي عليه السلام في جمع القرآن الكريم

ومما سجله التاريخ من جهود أمير المؤمنين عليه السلام للقرآن، إجماع الفريقين على أن علي بن أبي طالب عليه السلام أول من جمع القرآن بعد وفاة رسول الله ﷺ، لم يسبقه إليه أحد من هذه الأمة.

وكان ذلك بوصية من رسول الله ﷺ، وعهد عهده إليه، فجلس في بيته عاكفاً على كتاب ربه، حتى جمع سورته كما نزلت، فممن روى ذلك:

ابن حجر العسقلاني، قال:

«قد ورد عن علي عليه السلام أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقيب موت

النَّبِيِّ ﷺ» (١).

ورواه السيوطي في (الإتقان) وقال: أخرجه ابن أبي داود.
وأخرج أبو نعيم، والخطيب، من طريق السدي، عن عبد خير، عن عليّ ﷺ
قال: «لَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَضَعُ رِدَائِي عَلَى ظَهْرِي حَتَّى أَجْمَعَ
مَا بَيْنَ اللُّوْحَيْنِ، فَمَا وَضَعْتُ رِدَائِي حَتَّى جَمَعْتُ الْقُرْآنَ».

وأخرج ابن سعد وابن عبد البر، عن ابن سيرين، قال:
«نُبِّئْتُ أَنَّ عَلِيًّا ﷺ أَبْطَأَ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: أَكْرَهْتَ إِمَارَتِي؟ فَقَالَ: آلَيْتُ
بِيَمِينِي أَنْ لَا أُرْتَدِيَ بَرْدَاءٍ إِلَّا لِلصَّلَاةِ حَتَّى أَجْمَعَ الْقُرْآنَ، قَالَ: فَزَعَمُوا أَنَّهُ كَتَبَهُ
عَلَى تَنْزِيلِهِ، قَالَ مُحَمَّدٌ: فَلَوْ أَصَبْتَ ذَلِكَ الْكِتَابَ كَانَ فِيهِ عِلْمٌ» (٢).

وفي فهرست ابن النديم (ت: ٤٣٨هـ):
«أَنَّهُ رَأَى مِنَ النَّاسِ طَيْرَةً عِنْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَقْسَمَ أَنْ لَا يَضَعُ عَنْ ظَهْرِهِ
رِدَاءَهُ حَتَّى يَجْمَعَ الْقُرْآنَ، فَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَمَعَ الْقُرْآنَ، فَهُوَ أَوَّلُ
مَصْحَفٍ جُمِعَ فِيهِ الْقُرْآنُ مِنْ قَلْبِهِ» (٣) وكان هذا المصحف عند آل جعفر.

قال ابن شهر آشوب (ت: ٥٨٨هـ): وفي أخبار أبي رافع: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ
فِي مَرَضِهِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ لِعَلِيِّ ﷺ: «يَا عَلِيُّ هَذَا كِتَابُ اللَّهِ خُذْهُ إِلَيْكَ»، فَجَمَعَهُ
عَلِيٌّ ﷺ فِي ثَوْبٍ فَمَضَى بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَلَمَّا قَبِضَ النَّبِيُّ ﷺ جَلَسَ عَلِيُّ ﷺ فَالَّهَ كَمَا

(١) فتح الباري: ٤٢/٩.

(٢) الطبقات الكبرى: ٣٣٨/٢، تاريخ مدينة دمشق: ٣٩٩/٤٢، كنز العمال: ٣٧/١.

(٣) فهرست ابن النديم: ٣٠.

أنزله الله تعالى، وكان به عالماً»^(١).

وأخبار أخرى كثيرة دلّت على ذلك، ومما يدلّ على سبقه إلى جمعه، عدم وجود من يزعم سبق غيره إليه، وبه قال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

«ما من أحد من الناس يقول إنه جمع القرآن كلّ كما أنزل الله إلاّ كذاب، وما جمعه وما حفظه كما أنزل الله إلاّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام»^(٢).

قال ابن شهر آشوب: «ومن عجيب أمره - يعني عليّاً عليه السلام - في هذا الباب، أنّه لا شيء من العلوم إلاّ وأهله يجعلون عليّاً قدوةً، فصار قوله قبلّة في الشريعة، فمنه سُمع القرآن».

وذكر الشيرازي في نزول القرآن عن ابن عباس قال:

«ضمن الله محمداً ﷺ أن يجمع القرآن بعده عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فجمع الله القرآن في قلب عليّ عليه السلام وجمعه عليّ عليه السلام بعد موت رسول الله ﷺ بستّة أشهر»^(٣).

٣- دور أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم في تفسير القرآن الكريم

وهذا أيضاً ممّا سبق إليه أهل البيت عليهم السلام وتفردوا به، وهو من أعظم ما قدّموه إلى الأمّة إلى يوم القيامة.

فكان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أوّل من فسّر القرآن بعد رسول الله ﷺ، وذلك بعد جمعه له، وتبعه على ذلك أهل بيته وشيعته في كلّ عصرٍ وجيل، فكانوا

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ٣١٩/١.

(٢) بحار الأنوار: ٨٨/٨٩، بصائر الدرجات: ٢١٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٣١٩ / ١.

المرجع في تفسيره وتأويله ، وكلُّهم ينتهون إلى عليٍّ عليه السلام .

ونحن نكتفي بذكر ما أثبتته العلامة السيّد محسن الأمين العاملي (ت: ١٣٧١هـ) في موسوعته (أعيان الشيعة) تخليداً لما قام به من جهودٍ مضيئةٍ في جمع تراث أهل البيت عليه السلام وشيعتهم وما أسدوه إلى الدّين الإسلامي من جهدٍ وفضلٍ عظيمين ، ومنه : سبقهم إلى تفسير القرآن الكريم ، فكانوا أوّل من فتح باب التفسير ، وصار الجميع عيالاً عليهم ، قال : « مفسّروا الشيعة ومؤلفوهم في التفسير من الصحابة ، فأولّهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، سيّد الشيعة وإمامها ، فقد مرّ أنّ له جمع القرآن وتأويله ، أو جمعه على ترتيب النزول ، وأنّ له كتاباً أملى فيه ستّين نوعاً من أنواع علوم القرآن ، وذكر لكلّ نوعاً مثلاً يخصّه ، وأنّه عليه السلام الأصل لكلّ من كتب في أنواع علوم القرآن » .

ومرّ قول السيوطي :

«إنّه أكثر من رُوي عنه في التفسير من الصحابة» .

ومرّ قول ابن عباس :

«إنّ عليّ بن أبي طالب علّم من القرآن الظاهر والباطن» .

ورواية العكبري : « ما أحدٌ أعلم بكتاب الله بعد نبيّ الله من عليّ بن أبي طالب ،

وأنّ المفسّرين كلّهم على قوله في تفسير أوّل الذاريات » .

أقول : تقدّم أنّه عليه السلام أوّل من جمع القرآن بعد رسول الله ﷺ ، وأنّ مدّة جمعه قد

استغرقت ستّة أشهر ، وسببها : إنّ جمعه قد اشتمل على التفسير والتأويل وشرح

الآيات وبيان المتشابهات والمبهمات ، وبيان أسباب النزول ومواقع النزول

والحوادث بتفصيلها ، ولولا هذه لما استغرق تلك المدّة الطويلة .

ومما يؤيد ذلك: ما رواه المؤرخون: أنه ﷺ لما اشتغل بجمع القرآن، تأخر عن القوم فبعثوا إليه ليبياع، فاعتذر إليهم باشتغاله بجمع القرآن، فسكتوا عنه أياماً، حتى جمعه في ثوب واحد وختمه، ثم حمّله على جملٍ وأتى به القوم وهم مجتمعون حول أبي بكر في المسجد، فخاطبهم قائلاً: «إني لم أزل منذ قبض رسول الله ﷺ مشغولاً بغسله وتجهيزه، ثم بالقرآن حتى جمعته كله في هذا الثوب الواحد، ولم ينزل الله على نبيه آية من القرآن إلا وقد جمعتها، وليس منه آية إلا وقد أقرأنيها رسول الله ﷺ وعلمني تأويلها، أن تقولوا غداً إنّا كنّا عن هذا غافلين».

فقام إليه رجلٌ من كبار القوم فنظر فيه وإذا فيه أشياء، فقال: يا عليّ أردده فلا حاجة لنا فيه، ما أغنانا بما معنا من القرآن عمّا تدعونا إليه، فدخل عليّ ﷺ بيته^(١) قائلاً: «أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنّما كان عليّ أن أخبركم حين جمعته لتقرأوه»^(٢).

ومنهم: أبيّ بن كعب الأنصاري، عدّه السيوطي في (الإتقان) من جملة العشرة الذين اشتهروا بالتفسير من الصحابة، من الطبقة الأولى من المفسرين، وذكرنا دلائل تشييعه في بابهِ.

عبدالله بن عباس، أوّل من أملّى في تفسير القرآن، وينقل عنه جميع المفسرين، وعدّه السيوطي في (الإتقان) من الطبقة الأولى من المفسرين، قال: إنّ أعلم الناس بالتفسير بعد الصحابة من التابعين أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس،

(١) بحار الأنوار: ٢٨/٢٦٦. والمراد من: (الأشياء) هو شرح الآيات النازلة في فضل أهل

البيت ﷺ.

(٢) الكافي: ٢/٦٣٣.

وذكر أهل السَّير: أنَّ ابنَ عَبَّاسٍ أَجاب نافع بن الأزرق الخارجي عن مائتي سؤال في تفسير كتاب الله تعالى، وعدَّ ابن النديم في الفهرست من الكتب المصنَّفة في تفسير القرآن كتاب ابن عَبَّاسٍ، وتشيعه أشهر من أن يُبين.

ميثم بن يحيى التَّمَّار، خطيب الشيعة بالكوفة، ومتكلِّمهم، تابعيٌّ، روى الكشي في رجاله، أنَّه قال لابن عَبَّاسٍ: سلني ما شئت من تفسير القرآن، فإنِّي قرأت تنزيله على أمير المؤمنين عليه السلام وعلمني تأويله، فقال: يا جارية الدواة والقرطاس.

سعيد بن جبير تابعيٌّ، وله كتاب في تفسير القرآن، ينقل عنه المفسِّرون، وذكر تفسيره السيوطي في (الاتقان) وحكى عنه قتادة أنَّه كان أعلم التابعين بالتفسير، نصَّ على تشيعه العلامة في الخلاصة، والكشي في رجاله، وقال: ما كان سبب قتل الحجاج إِيَّاه إلا ذلك.

أبو صالح البصري، تلميذ ابن عَبَّاسٍ في التفسير، تابعيٌّ معدودٌ في أئمة علوم القرآن، وأكثر محمَّد بن السائب الكلبي من الرواية عنه في التفسير.

طاوس اليماني، تلميذ ابن عَبَّاسٍ، تابعيٌّ، عدَّه ابن تيمية فيما حكى عنه من أعلم الناس بالتفسير، وعدَّه ابن قتيبة في المعارف من الشيعة.

الإمام محمَّد الباقر عليه السلام، قال ابن النديم في الفهرست:

كتاب الباقر محمَّد بن عليِّ بن الحسين عليه السلام، رواه عنه أبو الجارود زيد بن المنذر، ورواه عن أبي الجارود ثقات الشيعة.

جابر بن يزيد الجعفي، له كتاب التفسير، ذكره النجاشي والشيخ في الفهرست. السدي الكبير إسماعيل بن عبد الرحمان، القرشي مولا هم الكوفي، تابعي، له

كتاب في التفسير مشهور ، ينقل عنه المفسرون كثيراً .

قال عنه السيوطي في (الإتقان): تفسيره أمثل التفاسير ، وفي أنساب السمعاني: أنه أدرك جماعة من الصحابة ، قال: وكان إسماعيل يقول: السدي أعلم بالقرآن من الشعبي .

محمد بن السائب بن بشر الكلبي ، الكوفي التابعي ، من علماء الكوفة بالتفسير ، له كتاب التفسير مشهور وينقل عنه المفسرون كثيراً ، وذكر تفسيره ابن قتيبة في المعارف ، وقال: كان عالماً بالتفسير .

أبو حمزة الثمالي تابعي قال ابن النديم في الفهرست: كتاب تفسير أبي حمزة الثمالي واسمه ثابت ابن دينار ، من أصحاب علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام من النجباء الثقات .

أبو جنادة الحصين بن مخارق السلولي ، من أصحاب الصادق والكاظم عليه السلام . أبو علي وهب بن حفص الحريري الأسدي وأبو علي الحسن بن علي بن فضال وأبو طالب عبدالله بن الصلت ومحمد بن خالد البرقي وهشام بن محمد بن السائب الكلبي والواقدي محمد بن عمر الأسلمي المؤرخ المشهور .

قال ابن النديم:

«كان يتشيع حسن المذهب له كتاب (الترغيب في علم القرآن) (ذكر القرآن) .
يونس بن عبدالرحمن وعلي بن أسباط الكوفي والحسن بن محبوب السراد وأبو عثمان المازني النحوي ومحمد بن مسعود العياشي وله تفسير القرآن المعروف بتفسير العياشي .

فرات بن إبراهيم الكوفي وعلي بن مهزيار الأهوازي والحسين بن سعيد بن

حمّاد الأهوازي والحسن بن خالد البرقي وإبراهيم بن محمّد بن سعيد الثقفى الكوفي، صاحب كتاب الغارات.

أبو عبدالله بن صبيح الأسدي وعليّ بن إبراهيم بن هاشم القمي، صاحب التفسير المعروف بتفسير عليّ ابن إبراهيم.

أبو عبدالله محمّد بن العبّاس المعروف بابن الجراح وعليّ بن الحسين بن بابويه والد الصدوق وعبد العزيز بن يحيى الجلودى البصري، قال النجاشي:

«له كتاب التفسير عن عليّ عليه السلام، كتاب التفسير عن ابن عبّاس، كتاب التفسير عن الصحابة.

أبو بكر الصولي، قال ابن النديم: «له كتاب الشامل في علم القرآن». محمّد بن الحسن بن أحمد القمي وأحمد بن محمّد بن الحسين بن الحسن ومحمّد بن عليّ بن عبدك الجرجاني والسيد الرّضي الموسوي محمّد بن الحسين، له تفسير القرآن، كبير اسمه (حقائق التنزيل ودقائق التأويل) أتى فيه بما لم يسبقه إليه.

الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان البغدادي، قال النجاشي: «له كتاب (البيان في تأليف القرآن)».

الشریف المرتضى عليّ بن الحسين الموسوي له (الأمالي). والشيخ الطوسي محمّد بن الحسن، له: (البيان في تفسير القرآن). محمّد بن إبراهيم بن جعفر أبو عبدالله الكاتب النعماني، له تفسير مشهور يُعرف بـ (تفسير النعماني).

أبو الفتوح الحسين بن عليّ بن محمّد بن أحمد الخزاعي الرازي النيسابوري

أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، له (مجمع البيان لعلوم القرآن).
 قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، تلميذ صاحب البيان، له (خلاصة
 التفسير) عشر مجلدات، وتفسير القرآن في مجلدين.
 محمد بن الحسن الفتال النيسابوري، أستاذ ابن شهر آشوب، له: (التنوير في
 معاني التفسير).

فضل الله بن علي الحسيني الراوندي.
 الأمير غياث الدين منصور الحسيني الشيرازي.
 المولى حسين الكاشفي.
 علي بن الحسن الراوندي.
 الشيخ بهاء الدين العاملي محمد بن الحسين، له (مشرق الشمسين).
 الميرزا محمد رضا بن عبدالحسين النصيري الطوسي.
 محمد حسين بن محمد القمي.
 الميرزا محمد المشهدي ابن محمد رضا القمي.
 الشيخ محمد رضا بن محمد أمين الهمداني.
 السيد هاشم بن سليمان البحراني، له (البرهان في تفسير القرآن).
 الشيخ جواد البلاغي النجفي، له (آلاء الرحمن في تفسير القرآن)^(١).
 السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، له (البيان في تفسير القرآن) مجلد.
 السيد محمد حسين الطباطبائي، له (الميزان في تفسير القرآن) في عشرين
 جزءاً، جمع فيه مختلف العلوم والفنون والمعارف الراجعة إلى القرآن الكريم.

(١) أنظر التفصيل في: أعيان الشيعة: ١، القسم الأول: ٤٠٩ - ٤٢٠.

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، له (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل) عشرون جزءاً.

السيد محمد حسين الحسيني الجلاي^(١)، له (أوضح البيان في تفسير القرآن) يقع في أكثر من أربع مجلدات، طبع جميعها ضمن موسوعة بإسم (موسوعة آية الله السيد محمد حسين الحسيني الجلاي) تقع في (٧٨) مجلد. وله أيضاً (دراسة حول القرآن الكريم)

وهؤلاء غير المصنّفين في باقي علوم القرآن: كآيات الأحكام، ومتشابه القرآن، وغريب القرآن، وأسباب النزول، ومعاني القرآن، والناسخ والمنسوخ، ومجازات القرآن وغيرها^(٢).

جهودٌ أخرى

وقد توالى على حفظ القرآن الكريم وتطويره أيدي الشيعة الأئمة، فقد تمّ تشكيل المصحف الشريف وتنقيطه على يد أبي الأسود الدؤلي (ت: ٦٩هـ)^(٣)

(١) هو سماحة العم آية الله المحقق السيد محمد حسين ابن السيد محسن الحسيني الجلاي، ولد في كربلاء (محرم ١٣٦٣هـ) حضر دروس الحوزة عند أعلامها. اهتم بالتراث الاسلامي. ألف العديد من الكتب القيمة، وافاه الاجل (١٤٤٣ هـ) في ولاية شيكاغو الامريكيه بعد سنوات طويلة من التأليف والتحقيق لخدمة المذهب الحنيف. طبعت آثاره في موسوعة شامله بإسم (موسوعة آية الله السيد محمد حسين الحسيني الجلاي) بلغت (٧٨) مجلداً في مختلف العلوم اهمها: التفسير وشرح نهج البلاغه والتراث رفع الله درجاته، واسكنه جنّاته.

(٢) أنظر: أعيان الشيعة : ١، القسم الأول : ٤٢٠ - ٤٣٢.

(٣) ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي، من أعيان الشيعة وفقهاؤها، قال ابن خلكان: كان من

للمسادات التابعين وأعيانهم، صحب علياً عليه السلام وشهد معه صفين وعلمه أصول النحو فنحا نحوه . قال الحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ): أبو الأسود الدؤلي: العلامة الفاضل، قاضي البصرة، وُلد في زمن النبوة (سير أعلام النبلاء: ٤ / ٨١).

قال أحمد العجلي: ثقة، كان أوّل مَنْ تكلم في النحو، قاتل يوم الجمل مع عليٍّ عليه السلام، وكان من وجوه الشيعة، ومن أكملهم عقلاً ورأياً، وقد أمره عليٌّ رضي الله عنه بوضع شيء من النحو لَمَّا سمع اللحن، فأراه أبو الأسود ما وضع، فقال عليٌّ عليه السلام: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت، فمن ثمّ سُمّي النحو نحواً (سير أعلام النبلاء: ٤ / ٨١ - ٨٢).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي وضع علم النحو وألقاه إليه بعد أن علّمه أقسام الكلمة . قال ابن أبي الحديد في أوّل شرح نهج البلاغة: « ومن العلوم علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافّة أنّه - يعني أمير المؤمنين عليه السلام - هو الذي ابتدعه وأنشأه وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله ».

وروى السيّد المرتضى في (الفصول المختارة) من كتاب (العيون والمحاسن) قال: « أخبرني الشيخ المفيد أدام الله عزّه، رسلاً عن محمّد بن سلام الجمحي: أنّ أبا الأسود الدؤلي دخل على أمير المؤمنين عليه السلام فرمى إليه رقعةً فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: الكلام ثلاثة أشياء: إسم، وفعل، وحرفٌ جاء لمعنى، فالإسم ما أنبأ عن المسمّى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمّى، والحرف ما أوجد معنىً في غيره، فقال أبو الأسود: يا أمير المؤمنين هذا كلام حسن فما تأمرني أن أضع به فإنّني لا أدري ما أردت ببايقافي عليه؟! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّي سمعت في بلدكم هذا لحنًا فاحشاً فأحببت أن أرسم كتاباً من نظر فيه ميّز بين كلام العرب وكلام هؤلاء، فابن على ذلك، فقال أبو الأسود: وفّقنا الله بك يا أمير المؤمنين للصواب .

قال السيوطي في (الأوائل): « أوّل مَنْ وضع النحو علي بن أبي طالب عليه السلام ».

ولأبي الأسود أشعارٌ في مدح أمير المؤمنين عليه السلام منها قوله:

وإنّ عليّاً لكم مفخرٌ يُشَبّهُ بالأسد الأسود

للهم

وكان شيعياً جلدًا، ومن خواصِّ أمير المؤمنين عليه السلام، وتلميذه: نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر وكان شيعياً، نصَّ على تشييعه ابن خلكان.

وكان أوَّل مَنْ تنوَّق في كتابة المصحف الشريف وتجويد خطِّه، خالد بن أبي الهياج (ت: ١٠٠هـ) صاحب أمير المؤمنين عليه السلام.

ثمَّ كان ضبط الحركات على الشكل الذي عليه اليوم على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠ هـج) ^(١) وكان من كبار الشيعة وأعلامها.

﴿مَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَابِدِينَ بِمَكَّةَ وَاللَّهُ لَمْ يُعْبَدِ

وقوله:

إِذَا اسْتَقْبَلْتُ وَجْهَ أَبِي تَرَابٍ رَأَيْتُ الْبَدْرَ حَارَ النَّاطِرِينَ

وقوله:

أَحَبُّ مُحَمَّدًا حَبًّا شَدِيدًا وَعَبَّاسًا وَحَمْزَةً وَالْوَصِيَّ

من رجال الصحاح السِّت، توفِّي بالبصرة وعمره خمس وثمانون سنة.

(١) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري الأزدي، شيخ النحاة، وإمام أهل اللغة والأدب، مؤسس علم العروض.

قال السيرافي: «كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه».

ولد سنة (١٠٠ هـ) وتوفِّي سنة (١٧٠ - أو - ١٧٥ هـ) أخذ عنه سيبويه والأصمعي وغيرهما، قال ابن النديم: أخذ سيبويه النحو عن الخليل، وهو أستاذه.

كان من الزهَّاد والمنقطعين إلى الله سبحانه وتعالى.

قيل له: ما الدليل على أنَّ الإمام عليَّ عليه السلام إمام الكل؟

فقال: «إحتياج الكلِّ إليه واستغناؤه عن الكلِّ».

له من الكتب: (العين) في اللغة.

قال ابن خلكان: قال حمزة بن الحسن الإصبهاني: صنع الخليل ما لم يصنعه أحدٌ منذ خلق

وبهذا يُعرف فضل الأئمة الأطهار، والشَّيعة الأبرار على الدِّين الإسلامي وأهله، في حفظ القرآن الكريم، وجمعه، وروايته، وتفسيره، وتنقيطه، وضبطه، وباقي علومه ومعارفه، وفي هذا دلالةٌ باهرة، وآيةٌ زاهرة، على صِلَة الشيعة الوثيقة بالكتاب العزيز، ودورهم وجهودهم في حفظه وخلوده وسلامته من التحريف، والمحاماة عنه، منذ الصدر الأوّل للإسلام وحتى زماننا الحاضر وما بعده إن شاء الله تعالى، فهل تجد لغيرهم فضلاً وجهداً؟ وماذا قدّم غيرهم ممّن يدّعون المحاماة عن الدِّين ودفاعهم عن القرآن العظيم، سوى قولهم: حسبنا كتاب الله!

ﷺ الله الدنيا من تأسيسه كتاب العين الذي يحصر لغة أُمَّةٍ من الأمم قاطبة.

وقال السيوطي في (الأوائل):

«أوّل مَنْ وضع اللغة على الحروف الخليل بن أحمد» أنظر أعيان الشيعة: ١ / ١٦٣.

وهذه من مفاخر الشيعة العظيمة وفضلها على الأدب العربي والتراث، سوى الجهود الأخرى في باقي العلوم والفنون.

[٢]

جهد أهل البيت عليهم السلام في حفظ السُّنة النبويّة الشريفة

لقد حثّ رسول الله ﷺ على تدوين سنّته من خلال بأمور :
الأول: أمره ﷺ بحفظ الحديث الشريف ، فعن ابن عباس قال: قال رسول
الله ﷺ : « من حفظ من أمتي أربعين حديثاً من السنّة كنت شافعياً له يوم
القيامة »^(١).

الثاني: أمره ﷺ برواية أحاديثه ونشرها، فقد تواتر الخبر بقوله ﷺ :
« ليلغ الشاهد الغائب »^(٢).

وقال ﷺ : « بلغوا عني ولو آية »^(٣).

الثالث: أمره ﷺ بكتابة الأحاديث، فقد حثّ أصحابه على كتابة كلامه
الشريف قائلاً: « قيّدوا العلم بالكتابة »^(٤).

(١) الخصال: ٥٤٢.

(٢) الكافي: ٢٨٩/١٠، مسند أحمد بن حنبل: ٢٣٠/١.

(٣) سنن الدارمي: ١٣٦/١.

(٤) السرائر: ٤٦/١.

وعن رافع بن خديج قال: قلنا: يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها؟ قال ﷺ: «أكتبوها ولا حرج»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو، قال للنبي ﷺ:

أكتب كل ما أسمع منك؟

قال ﷺ: «نعم»

قلت: في الغضب والرضا؟

قال ﷺ: «نعم، إنّي لا أقول في الغضب والرضا إلّا حق»^(٢).

أئمة أهل البيت عليه السلام أول من كتب الحديث في الإسلام

ولم تقتصر جهود أهل البيت عليه السلام على حفظ القرآن الكريم وروايته وتفسيره والتصنيف في باقي علومه فحسب، بل كان لهم الدور الأساسي الأول في حفظ السنة الشريفة من الضياع والتحريف والتبديل.

فكانوا أول من رواها، ودونها ونشرها، وكافح وناضل من أجل بقائها وصيانتها من التحريف والكتمان، وأول من حرص على روايتها وأوصى بتدوينها؛

بل كانوا أول من كتب الحديث وجمعه بعد رسول الله ﷺ في كتب وصحائف.

وقد احتفظ التاريخ بنماذج كثيرة من تراثهم الذي ورثوه من رسول الله ﷺ

(١) تقييد العلم: ٧٠.

(٢) سنن أبي داود: ١٧٦/٢.

وجادوا به للأمة في سبيل إقامة الدين، وحفظ معالمه، وإحياء سنن جدّهم رسول الله ﷺ، نذكر منها أهمّها:

١ - صحيفة عليّ عليه السلام

وهي صحيفة صغيرة، تشتمل على بعض الأحكام: كمقادير الديات، وأحكام فكاك الأسير، وهي بإملاء رسول الله ﷺ وخطّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام (١). وقد ورد ذكرها في مصادر العامة أيضاً، ونسبها إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وخرّجوا عنها عدّة أحاديث، كالبخاري، وابن ماجّة، وأحمد بن حنبل، وغيرهم. ففي البخاري ومسند أحمد، وسنن ابن ماجّة: عن أبي جحيفة قال: قلت لعليّ عليه السلام هل عندكم كتاب؟

قال عليه السلام: «لا، إلّا كتاب الله أو فهم أعطيه رجلٌ مسلم أو ما في هذه الصحيفة». قال: قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال عليه السلام: «العقل» (٢) وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر» (٣).

ومثله رواه الشافعي في (المسند) والدارمي وغيرهم (٤). وفي لفظ آخر: فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات (٥).

(١) أنظر: الاختصاص: ٢٨٤، بحار الأنوار: ٢٨٨/٧.

(٢) أي الدية، وإنّما سُمّيت به: لأنّهم كانوا يعطون فيها الإبل ويربطونها بفناء دار المقتول بالعقال وهو الحبال (فتح الباري: ١/١٨٣).

(٣) صحيح البخاري: ٣٦/١، مسند أحمد بن حنبل: ٧٩/١، سنن ابن ماجّة: ٨٨٧/٢.

(٤) كتاب المسند للشافعي: ١٩٠، سنن الدارمي: ١٩٠/٢.

(٥) صحيح البخاري: ٦٧/٤، مسند أحمد بن حنبل: ٨١/١.

وذكرها النووي في شرحه على صحيح مسلم^(١).

ورواها أبو الحسن المسعودي في (مروج الذهب) بسنده عن أبي دعامة قال :
أتيت عليّ [الهادي] بن محمد بن عليّ بن موسى عائداً في علته التي كانت وفاته
منها في هذه السنة ، فلما هممتُ بالانصراف ، قال لي :

« يا أبا دعامة قد وجب حقك ، أفلا أحدثك بحديث تُسرّ به ؟ » .

قال : فقلت له : ما أحوجني إلى ذلك يا بن رسول الله .

قال عليه السلام : « حدّثني أبي محمد بن عليّ ، قال : حدّثني أبي عليّ بن موسى ، قال :
حدّثني أبي موسى بن جعفر ، قال : حدّثني أبي جعفر بن محمد ، قال : حدّثني أبي
محمد بن عليّ ، قال : حدّثني أبي عليّ بن الحسين ، قال : حدّثني أبي الحسين بن
عليّ ، قال : حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام ! قال : قال رسول الله ﷺ : « أكتب يا
عليّ ، قال : قلت : وما أكتب ؟ قال لي : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الإيمان ما
وقرته القلوب وصدّفته الأعمال ، والإسلام ما جرى به اللسان وحلّت به المناكحة » .
قال أبو دعامة : فقلت : يا بن رسول الله ، ما أدري أيّهما أحسن : الحديث أم
الإسناد ؟

فقال عليه السلام : « إنّها لصحيفة بخط عليّ بن أبي طالب بأملاء رسول الله ﷺ تتوارثها
صاغراً عن كابرٍ »^(٢) .

وقد اختلفت الروايات عمّا في هذه الصحيفة المباركة ، فقد جمع ما فيها
الحافظ ابن حجر العسقلاني قال - بعد إيراده حديث البخاري - وللمصنّف ومسلم

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٨ / ١٣٠ .

(٢) مروج الذهب : ٤ / ١٨٤ .

من طريق يزيد التميمي عن عليٍّ عليه السلام قال: «ما عندنا شيء نقرأه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة، فإذا فيها: المدينة حرمٌ...» الحديث.

ولمسلم بسنده عن أبي الطفيل عن عليٍّ عليه السلام: «ما خَصَّنَا رسول الله ﷺ بشيء لم يعم به الناس كافة إلا ما في قراب سيفي هذا».

وأخرج صحيفة مكتوب فيها: «لعن الله من ذبح لغير الله...» الحديث.

وللنسائي من طريق الأشتري وغيره عن عليٍّ عليه السلام فإذا فيها:

«المؤمنون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم» الحديث.

ولأحمد من طريق طارق بن شهاب فيها فرائض الصدقة.

قال ابن حجر العسقلاني:

«والجمع بين هذه الأحاديث: أن الصحيفة كانت واحدة وكان جميع ذلك

مكتوباً فيها فنقل كل واحد من الرواة عنه ما حفظ» (١).

٢ - كتاب عليٍّ عليه السلام

وهو صحيفة كتب فيها عليه السلام جماع العلم والأحكام والفرائض.

وكان أوّل كتاب في الإسلام جُمع فيه العلم، أملاه عليه رسول الله ﷺ،

وتوارثه أولاده الأئمة الطاهرون، فصار من مصادر علومهم، يرجعون إليه في

كثير من القضايا والأحكام، وقد وصفه الأئمة عليهم السلام بأنه:

«كتاباً مدروجاً عظيماً» (٢) «طوله سبعون ذراعاً» (٣).

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ١/١٨٣.

(٢) رجال النجاشي: ٣٦٠.

(٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢/٣٠٦، أعيان الشيعة: ١/١ ق/٣٣٠.

قال عنه العلامة الطهراني :

«أمالي سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم رسول الله ﷺ، أملاه على أمير المؤمنين عليه السلام وهو كتبه بخطّه الشريف ، هذا أوّل كتاب كُتب في الإسلام من كلام البشر ، من أملاء النبي ﷺ وخطّ الوصيّ» (١).

أسماءه : وقد اشتهر - أيضاً - بين علماء الحديث من الفريقين ، وأسمته العامّة والخاصّة ب: (الجفر) و (الجامعة) لجمعه الفرائض والأحكام ، ومنه يظهر أنّه كتابان .

ففي الكافي الشريف : عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

«إنّ عندنا الجامعة وما يدرّهم ما الجامعة ؟ صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ﷺ وإملائه من فلق فيه وخط عليّ عليه السلام بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام، وكلّ شيء يحتاج الناس إليه حتّى الأرض في الخدش... وإنّ عندنا الجفر، وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين...» (٢).

وقال الشيخ بهاء الملة والدّين محمّد حسين العاملي في (شرح الأربعين حديثاً) عند شرحه الحديث الحادي والعشرين :

«وقد تظافرت الأخبار بأنّ النبي ﷺ أملى لعلّي عليه السلام كتابي الجفر والجامعة وأنّ فيهما علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة» (٣).

وممن ذكره : الشريف الجرجاني ، قال :

(١) الذريعة : ٣٠٦/٢.

(٢) الكافي : ٢٣٩/١.

(٣) أنظر : الإيضاح للفضل بن شاذان : ٤٦٦.

«الجفر والجامعة: جلدٌ كُتب فيه عليٌّ عليه السلام ما أملاه عليه النبي ﷺ، وقيل: هما كتابان».

وقال جلال الدين الارموي محقق كتاب الإيضاح لابن شاذان:
 «فممن صرح بهذا المطلب المحقق الشريف الجرجاني، فإنه قال في مبحث العلم من شرح المواقف عند ذكر الماتن أعني القاضي عضد الدين الأيجي (أنظر: ص ٢٧٦ من طبعة بولاق سنة ١٣٦٦) ما نصّه: الجفر والجامعة، وهما كتابان لعلي عليه السلام قد ذكر فيهما على طريقة الحروف، الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم، وكانت الأئمة المعروفون من أولاده يعرفونهما ويحكمون بهما، وفي كتاب قبول العهد الذي كتبه علي بن موسى رضي الله عنهما إلى المأمون: إنك قد عرفت من حقوقنا ما لم يعرف آباؤك وقبلت منك عهدك، إلا أن الجفر والجامعة يدلان على أنه لا يتم»^(١).

وقال ابن خلدون (ت: ٨٠٨ هـ) في مقدّمته:

«إعلم إن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعيد العجلي - رأس الزيدية - كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم، ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص - إلى أن قال: - وكان مكتوباً عند جعفر في جلد ثور صغير... وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني... وقد صح عنه أنه كان يحذر قرابته بوقائع تكون لهم، فتصحّ كما يقول، وقد حذر يحيى ابن عمّه زيد من مصرعه، وعصاه، فخرج وقتل بالجوزجان كما هو

(١) الإيضاح: ٤٦٦.

معروف»^(١).

وقال: «وقع لجعفر وأمثاله من أهل البيت الكثير من ذلك، ومستندهم فيه -والله أعلم- الكشف بما كانوا عليه من الولاية، وإذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من الأولياء في ذويهم وأعقابهم وقد قال عليه السلام: «إِنَّ فِيكُمْ مُحَدِّثِينَ» فهم أولى الناس بهذه المرتبة الشريفة والكرامات الموهوبة»^(٢).

وقال كمال الدين ابن طلحة الشافعي (ت: ٦٥٢): «الجفر والجامعة كتابان جليان، أحدهما ذكره الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يخطب بالكوفة على المنبر، والآخر أسرّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه، وأمره بتدوينه».

وقال: «إِنَّ الْأئِمَّةَ مِنْ أَوْلَادِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ عليه السلام يَعْرِفُونَ الْجَفْرَ»^(٣).

وذكره العلامة الدميري (ت: ٨٠٨ هـ) في (حياة الحيوان) باب الجيم، تحت عنوان (الجفرة). وإليه يشير أبو العلاء المعري (ت: ٤٤٩ هـ) في قوله:

لقد عجبوا لآل البيت لما أتاهم علمهم في مسك جفر
ومرأة المنجم وهي صغرى تريحه كل عامرة وقفر
وقد توارثه الأئمة الطاهرون عليهم السلام ورجعوا إليه في مسائل كثيرة، وقضايا
عديدة: فقهية، وتاريخية، وسياسية.

فرووا عنه الكثير من المسائل والأحكام الشرعية وغيرها بهذا النص:
«في كتاب علي عليه السلام كذا وكذا...»، و«وجدنا في كتاب علي عليه السلام...»، و«قرأت

(١) تاريخ ابن خلدون: ٣٣٤/١.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ٣٣١/١.

(٣) كشف الظنون: ٥٩١/٢ - ٥٩٢.

في كتاب عليٍّ عليه السلام...»، و«هي في كتاب عليٍّ عليه السلام...» و«ما وجدوا ذلك في كتاب عليٍّ عليه السلام...».

فعن الإمام الحسن عليه السلام قال:

«إِنَّ الْعِلْمَ فِينَا، وَنَحْنُ أَهْلُهُ، وَهُوَ مَجْمُوعُ كُلِّهِ بِحِذَافِيرِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَحْدُثُ شَيْءٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَتَّى أُرْشَ الْخَدَشُ، إِلَّا وَهُوَ عِنْدَنَا مَكْتُوبٌ بِإِمْلَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَطِّ عَلِيٍّ عليه السلام بِيَدِهِ»^(١).

وأول من روى عنه مباشرة: الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، كما في الكافي الشريف، وغيره: عن أبان: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام سَأَلَ عَنْ رَجُلٍ أَوْصَى بِشَيْءٍ مِنْ مَالِهِ، فَقَالَ عليه السلام:

«الشَّيْءُ فِي كِتَابِ عَلِيٍّ عليه السلام وَاحِدٌ مِنْ سِتَّةٍ»^(٢).

وكذلك الأئمة من بعده.

وروى عنه الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام، فعن عذافر الصيرفي قال:

«كنت - مع الحكم بن عُتَيْبَةَ - عند أبي جعفر عليه السلام فجعل يسأله، وكان أبو جعفر عليه السلام له مكرماً، فاختلفا في شيء، فقال أبو جعفر: «يَا بُنَيَّ، قم فأخرج كتاب عليٍّ» فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، وفتحه وجعل ينظر فيه، حتَّى أخرج المسألة، فقال أبو جعفر عليه السلام:

«هَذَا خَطُّ عَلِيٍّ عليه السلام وَإِمْلَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وأقبل على الحَكَم وقال: «يا أبا محمَّد، اذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث

(١) الاحتجاج: ٢ / ٦، بحار الأنوار: ٤٤ / ١٠٠.

(٢) الكافي: ٧ / ٤٠، من لا يحضره الفقيه: ٤ / ٢٠٤.

شتم - يميناً وشمالاً - فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قومٍ كان ينزل عليهم جبرئيل عليه السلام»^(١).

وأخبر الإمام زين العابدين عليه السلام عن مقتل ولده زيد الشهيد، وصلبه بكناسة الكوفة، وقد وقع ذلك.

وقد أخبر الإمام الصادق عليه السلام عن مقتل محمد النفس الزكية، وأخيه إبراهيم، ويحيى بن زيد الشهيد، فقتل بأرض الجوزجان، ومُلك بني العباس، والمنصور الدوانيقي، مصرحاً بأنه وجد ذلك في كتاب علي عليه السلام^(٢).

(١) رجال النجاشي: ٣٦٠، الترجمة رقم ٩٦٦.

(٢) قال أبو الفرج الإصفهاني (ت ٣٥٦هـ): «حدثني علي بن العباس المقانعي، قال: أخبرنا بكار بن أحمد، قال: حدثنا حسن بن حسين، عن عنبسة بن بجاد العابد، قال: كان جعفر بن محمد - الصادق عليه السلام - إذا رأى محمد بن عبدالله بن الحسن - النفس الزكية - تغرغرت عيناه بالدموع، ثم يقول: «بنفسي هو، إن الناس ليقولون فيه إنه المهدي، وأنه لمقتول، ليس هذا في كتاب علي عليه السلام من خلفاء هذه الأمة» مقاتل الطالبين: ١٤٢.

وكان الإمام الصادق عليه السلام أول من كشف فشل بيعة الناس لبني الحسن عليه السلام، حينما بايع الناس محمد (النفس الزكية) بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام، وكان فيمن بايعه بنو هاشم، وبنو العباس ومنهم السفاح والمنصور الدوانيقي، وأحضروا الإمام الصادق عليه السلام فدخل عليهم وقال لهم: «لا تفعلوا، فإن هذا الأمر لم يأت بعد، إن كنت ترى - يعني عبدالله المحض - أن ابنك هو المهدي، فليس به ولا هذا أوانه، وإن كنت إنما تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإننا والله لا ندعك وأنت شيخنا ونبايع ابنك في هذا الأمر».

فغضب عبدالله المحض، وقال: «لقد علمتُ خلاف ما تقول، والله ما إطلعك الله على غيبه، ولكنه يحملك على هذا الحسد لابني».

﴿ فقال الإمام الصادق عليه السلام : « والله ما ذاك يحملني، ولكن هذا وإخوته وأبناؤهم دونكم » .
وضرب بيده على ظهر أبي العباس ثم ضرب بيده على كتف عبدالله بن الحسن وقال : « إنَّها
والله ما هي إليك ولا إلى ابنك ولكنها لهم، وإنَّ ابنك لمقتولان » .
ثم نهض يتوكأ على يد عبدالعزيز بن عمران الزهري، فقال له : « رأيت صاحب الرداء
الأصفر؟ » - يعني أبا جعفر المنصور - قال : نعم، قال : « فإنَّا والله نجده يقتله » .
قال له عبدالعزيز : أيقتل محمداً؟! قال : نعم، قال : قلت في نفسي : حسده وربُّ الكعبة قال :
ثم والله ما خرجت من الدنيا حتَّى رأيتَه قتلَهما » مقاتل الطالبين : ١٤١ - ١٤٢ .
وكان محمّد بن عبدالله المعروف بالنفس الزكية قام بالدعوة عقيب قتل الوليد بن يزيد
الأموي في المدينة وفي جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ، فبايعه العبّاسيون ومنهم : أبو العباس
السفّاح، وأبو جعفر المنصور، فخانه العبّاسيون وغدروا به، فأخذوا البيعة من الناس وطاردوا
العلويين وقتلوا محمداً النفس الزكية سنة ١٤٥هـ .
روى أبو الفرج الإصفهاني بإسناده قال : « بايع أبو جعفر (المنصور) محمداً النفس الزكية مرتين
وأنا حاضر، إحداهما في المسجد الحرام، فلمّا خرج أمسك له الركاب ثمّ قال له : أما إنّه إن
أفضى إليكم الأمر نسيت لي هذا الموقف؟
وقبض على عبدالله المحض والد محمّد، وأبعده من المدينة إلى الهاشمية بالكوفة وقتله في
محبيه عام ١٤٥هـ وهو ابن (٧٥) عاماً، والهاشمية قرية قائمة اليوم بين الحلة والقاسم في
العراق .
وخرج إبراهيم أخو محمّد بالبصرة في نفس العام، وبايعه الناس، وأفتى أبو حنيفة بنصرتَه،
فقتل سنة ١٤٥هـ الخامس والعشرين من ذى القعدة وعمره (٤٨) سنة، بقرية باخرمى قرب
الكوفة (أنظر تفصيل ذلك في : مقاتل الطالبين) .
وقد عثر والدي الشهيد السعيد المجاهد آية الله السيّد محمّد تقي الحسيني الجلالى رحمته الله (١)
على مقبرة في قرية الغنّاميّة في العراق، شرق ناحية القاسم بالحلة، تضمُّ خمسةً من
العلويين الحسينيين الذين قتلهم المنصور الدوانيقي في الحبس، وتحت الأرض صخرة
للهم

كُتِبَتْ عليها أسماءهم بستة أسطر على شكل شعر هكذا:

خمسة قد دفنوا في أرض سور من عترة المختار أحمد بان فضلهما
 محمد بن عبدالله بن الحسن وأحمد بن محمد وطفل وفاطمة مريم
 هم السادة النجباء من آل أحمد أفضل خلق الله طراً والشفيع جدّهم
 فجدد الشهيد السعيد قبورهم، وذلك في محرّم الحرام سنة ١٣٩٦هـ (أنظر: كتاب من أيام
 الجلالى للشيخ وهاب الحلّى) قال العلامة المحقق السيّد محمد حسين الجلالى:
 من المحتمل قوياً أنّ العباسيين فرّقوا بين هؤلاء وبين شيخهم عبدالله بن الحسن الذي
 طرحوا عليه البيت في الهاشمية، فقد استشهد في سجن المنصور الدوانيقى في الهاشمية يوم
 الأضحى عام ١٤٥هـ مع ستة آخرين من الحسينيين، ويعرف قبرهم اليوم بالقبور السبعة بين
 القاسم والحلّة (دراسة حول الصحيفة السجّادية: ١٥٥).

ومن هذا يظهر أنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قد سمّى في كتابه هذا (كتاب علي (عليه السلام)) ملوك بني
 العباس ومن يلي منهم، وقد أخبر أيضاً في إحدى خطبه في (نهج البلاغة) بانتقال الأمر من
 بني أميّة إلى بني العباس، وذلك في قوله:

«ألا وإنّ لكلّ دمٍ ثائراً، ولكلّ حقٍّ طالباً، وإنّ الثائر في دماننا كالحاكم في حقّ نفسه وهو الله الذي
 لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب، فأقسم بالله يا بني أميّة عمّا قليل لتعرفنّها في أيدي
 غيركم، وفي دار عدوّكم».

وكقوله (عليه السلام) لعبدالله بن عباس وقد ولد له مولود: «خذ إليك أبا الأملاك».

ويظهر من سير التاريخ أنّ بني أميّة كانوا على علم بانتقال الأمر منهم إلى بني العباس، وكذلك بنو
 العباس، وإنّ الذي أذاع ذلك محمد بن الحنفية (رضوان الله عليه) أخذه من أبيه أمير
 المؤمنين (عليه السلام) (أنظر: شرح نهج البلاغة: ١٤٨/٧ - ١٤٩).

(١) هو العلامة المجاهد والشهيد السعيد آية الله السيّد محمد تقي الحسيني الجلالى (قدّس الله روحه)، ولد
 عام ١٣٥٥ للهجرة في كربلاء المقدّسة بجوار جدّه سيّد الشهداء (عليه السلام) نشأ بها وترعرع في أحضان والده
 له

واستشهد به الإمام الرضا عليه السلام على عدم تمامية بيعته وولاية عهده، وغيرها من الحوادث المستقبلية.

فقد رووا: إنَّ المأمون العباسي لما أخذ البيعة من الإمام الرضا عليه السلام لولاية عهده، كتب كتاباً بذلك، فكتب الإمام الرضا عليه السلام في آخره:

«نعم، إلا أنَّ الجفر والجامعة يدلان على أنَّ هذا الأمر لا يتم».

حكم الورع آية الله السيّد محسن الجلاي إمام الحرم العباسي، درس فيها علوم المقدمات وهو في العاشرة من عمره، هاجر إلى النجف الأشرف عام ١٣٧٧، التحق بدروس الخارج في الحوزة العلمية: السيّد الفاني، ثم الإمام الحكيم، ثم الإمام السيّد الخوئي، وفي عام ١٣٧٨ أرسله السيّد محسن الحكيم ممثلاً له إلى مدينة القاسم ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام في ناحية الحلة، فأُسِّس الشهيد فيها «الحوزة العلمية القاسمية» وهيئة التأليف والنشر، وصندوق القرض الحسن، وهيئة البعثات والمبلغين، وقام بتوسعة الصحن الشريف للروضة القاسمية، وفي سنة ١٣٩٣ قام بمشروع تذهيب القبة المطهرة للقاسم عليه السلام، وفي ١٣٩٦ جدّد مزارات أهل البيت عليهم السلام.

قام بنشاطات دينية وعلمية وإرشادية في النجف الأشرف وفي حوزته القاسمية، ألف العشرات من كتب الفقه والأصول والتفسير والنحو، منها: (فقه العترة) وهي دورة تشتمل على (٢٥) جزءاً أكتبها تقريراً لدروس آية الله العظمى السيّد الخوئي (قدّس سرّه) طبع منها كتاب الزكاة وهو الجزء (٢٣)، أشرف على التدريس في الحوزة القاسمية حتّى تخرّج على يديه العشرات من الفضلاء والأدباء والمثقفين، ولم يزل في جهاده ونشاطه الديني حتّى اختطفته العصابة الكافرة في محرّم الحرام عام ١٤٠١، وبعد عام من التعذيب الوحشي الذي دام تسعة أشهر في سجون بغداد وعلى يد جلاوزة البعث الكافر، لفظ أنفاسه الأخيرة تحت التعذيب عام ١٤٠٢، ونقل جثمانه المقدّس إلى النجف الأشرف، ودفن في وادي السلام بجوار جدّه أبي الحسن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد أن منعوا من تشييعه وإقامة الفاتحة على روحه، وبهذا يكون قد وصى جدّه سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فسلام الله عليه يوم وُلد ويوم قتل ويوم يُبعث حيّاً.

وقد أهديت ثواب هذا الكتاب إلى روحه الطاهرة تخليداً لجهاده وظلامته.

فكان كما أخبر به ﷺ حيث إنه قُتل مسموماً بأمر المأمون .
وروى الشيخ المجلسي ، عن أبي الحسن ﷺ قال :
«إن الجفر والجامعة لا ينظر فيه إلا نبي أو وصي نبي»^(١).

٣ - نهج البلاغة

للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ، وهو مجموع الخطب والرسائل والحكم التي قالها وكتبها أمير المؤمنين ﷺ ، والتي تحتوي على عيون الآداب والسُنن ، ومحاسن الأخلاق ، ومهام النصائح الدينية ، والمواعظ الإسلامية ، بكلام بديع فصيح بليغ ، لم يسبقه إليه سابق ، ولن يلحقه لاحق ، عُدَّ من معجز الإسلام الحقّة ، والذي قيل فيه :

«إنّه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين»

و«لو لم يكن في البريّة قرآن لكان نهج البلاغة قرآنهم» .

جمعه الشريف الرضي الموسوي (ت : ٤٠٦ هـ) وقد روى عدّة من علماء الجمهور مقاطع من خطبه وكلامه .

٤ - عهد الإمام عليّ ﷺ لمالك الأشتر النخعي

وهو عهدٌ إداريٌّ ضخمٌ طويلٌ مهمٌّ ، يحتوي على مهامٍّ أصول السياسة والتدبير ، لأُمور العباد ، وإدارة البلاد ، وآداب الحكّام ، ومهام الأحكام ، وسنن الشريعة ، والقوانين الدينية ، والآداب العرفية ، كتبه لصاحبه مالك بن الحارث الأشتر النخعي^(٢) لما ولّاه مصر سنة ٣٧ هـ ورَدَ كاملاً في (نهج البلاغة) برقم (٥٣) ، ورواه

(١) بحار الانوار: ٤٩: ٢٠.

(٢) مالك بن الحارث الأشتر النخعي الكوفي ، من خواصّ قوَاد أمير المؤمنين ﷺ ، اشترك معه

الأصْبَغ بن نباتة^(١).

٥ - كتاب في أبواب الفقه

رواه عنه عليّ بن أبي رافع.

٦ - كتاب في زكاة الغنم

رواه عنه ربيعة بن سميع.

٧ - وصيته لمحمد بن الحنفية

رواه الأصْبَغ بن نباتة.

٨ - كتاب عجائب أحكامه

رواه الأصْبَغ بن نباتة، وغيرها.

قال السيّد محسن الأمين العاملي (ت: ١٣٧١هـ): «وجاء في بعض روايات أهل البيت عليه السلام: «أَنْ كُتِبَ عَلَيَّ عليه السلام توارثها الأئمة من ولده، وكانت عندهم، روى ذلك الصفّار في بصائر الدرجات بسنده عنهم عليهم السلام»^(٢).

حكاه في حروبه الثلاثة: الجمل، صفّين، النهروان، ولّاه مصر بعد مقتل محمد بن أبي بكر، أرسل إليه معاوية رجلاً سَمَّه قبل وصوله إليها، رثاه الإمام علي عليه السلام بقوله: «مالك وما مالك! والله لو كان جبلاً لكان فندا، ولو كان حجراً لكان صلداً، لا ترتقيه الحافر، ولا يوفي عليه الطائر» (نهج البلاغة: الكتاب: ٣٨).

وقال عليه السلام في وصفه: «عبد من عباد الله، لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع، أشد على الفجار من حريق النار... فإنه سيف من سيوف الله، لا كليل الضبّة، ولا نابي الضريبة...» (الحكمة: ٤٤٣).

(١) رجال النجاشي: ٨، مشيخة الفقيه: ٣٧.

(٢) أعيان الشيعة: ١، القسم الأوّل/ ٣٥٣ وقد أثبت السيّد محسن الأمين في كتابه هذا أحد عشر كتاباً للإمام عليه السلام في مختلف العلوم والمعارف.

وقد أورد العلامة المحقق السيّد محمد حسين الجلاّلي حفظه الله في كتابه: (فهرس تراث أهل البيت عليه السلام) كُتِباً أُخرى للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام منها:

٩ - دعاء الصباح

وهو بالخط الكوفي وترجمة فارسية، في مكتبة خزانة في اسطنبول برقم ١٢٢، أوله: (يا من دلح لسان الصباح...) من بدائع الأدعية البليغة التي اشتملت على بدائع الاستعارات اللغوية، والمعاني العقائدية.

١٠ - دعاء كميل

رواه عنه صاحبه كميل بن زياد رضوان الله عليه، من خيرة الأدعية المتضمنة للتذلل والخضوع لله تعالى.

١١ - دعاء السيفي

أولُه: «اللهم أنت الملك الحق الذي لا إله إلا أنت...» وآخره: «اللهم فرّج همّي واهلك عدوّي برحمتك يا أرحم الراحمين» وهو موجود في مكتبة البغداد في إسطنبول تحت رقم ٨٣.

١٢ - ديوان الإمام عليّ عليه السلام

بعنوان (أنوار العقول في أشعار وصيّ الرسول وزوج البتول) مؤرّخة سنة ٧٠٧هـ، كتبه محمد بن الحسن الأسترآبادي.

١٣ - عهد الإمام عليّ عليه السلام للمجوسي

ونسخته في مكتبة زرادشت في طهران بسبع صفحات، وفي آخره: «كتبه إينه حسين بن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه في رجب المرجّب سنة ٣٩ من هجرة النبي العربي صلى الله عليه وآله».

وكتب وآثارُ أخرى للإمام أمير المؤمنين عليه السلام (١).

١٤ - المناجاة الإلهية

١٥ - نثر اللّثالي من كلام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام

١٦ - مائة كلمة للإمام علي عليه السلام

وكتب أخرى للإمام عليه السلام، أنظر تفصيلها في كتاب: (فهرس التراث: ٧٣) للعلامة السيّد محمّد حسين الجلاّلي، تغمده الله برحمته، الطبعة الرابعة.

أمير المؤمنين عليه السلام أوّل مَنْ أَلَفَ في الإسلام

ومما تقدّم يظهر جليّاً: أنَّ أوّل مَنْ أَلَفَ في الإسلام هو مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وذلك على صعيد الكتاب العزيز والسُّنة المطهّرة. أمّا السُّنة النبويّة: فما تقدّم من كُتبه التي أملاها عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وهي: كتاب علي عليه السلام وصحيفته، والجامعة، والجفر، ونهج البلاغة، وعهده لمالك الأشر، ووصيّته لمحمّد بن الحنفية الجامعة لأنواع العلوم والآداب، وكتاب وصيّته لولده الحسن عليه السلام كتبه عند منصرفه من صفّين، والذي قيل فيه:

«لو كان من الحكمة ما يجب أن يُكتب بالذهب لكانت هذه».

وكتبه ورسائله الأخرى المجموعة في (نهج البلاغة).

قال السيّد محسن الأمين:

«وفي عصره - أي عصر أمير المؤمنين عليه السلام - ابتدأ التصنيف والتأليف، فكان هو عليه السلام أوّل مَنْ أَلَفَ في الإسلام، يدلّ على ذلك ما عن السيوطي في (تدريب الراوي) قال: كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم،

(١) فهرس تراث أهل البيت عليهم السلام: ١١١ - ١٧.

فكرها كثير منهم ، وأباحها طائفة وفعلوها ، منهم : عليّ وابنه الحسن عليهما السلام ... ولولاها لضاع العلم النبويّ، وعليه فأمير المؤمنين عليه السلام هو السابق في ذلك»^(١).
وقال ابن شهر آشوب:

«الصحيح أن أول من صنف في الإسلام أمير المؤمنين علي عليه السلام»^(٢).
وأما القرآن الكريم، فقد ثبت وتقدّم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي رواه للأئمة، وهو أول من جمع القرآن بعد وفاة رسول الله ﷺ، وبه أقرّ جمع من علماء الجمهور - بالاضافة إلى ما سبق -.

فقد قال ابن حجر في (فتح الباري):
«تقدّم عن عليّ أنّه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبيّ ﷺ»^(٣).

وأخرج ابن سعد في (الطبقات) وابن عبد البرّ في (الاستيعاب)، وابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق)، والمتّقي الهندي، وغيرهم: عن ابن سيرين قال:
«تُبِّت أن علياً أبطأ عن بيعة أبي بكر، فقال: أكرّهت إمارتي؟ فقال: «أليث يمين أن لا أردي برداء إلا للصلاة حتّى أجمع القرآن»، قال: فزعموا أنّه كتبه على تنزيله .

قال محمّد: «فلو أصبت ذلك الكتاب كان فيه علم»^(٤).

(١) أعيان الشيعة: ١، القسم الأوّل/٣١١.

(٢) معالم العلماء: ٣٨.

(٣) فتح الباري: ٤٢/٩.

(٤) الطبقات الكبرى: ٣٣٨/٢، تاريخ مدينة دمشق: ٣٩٩/٤٢، المصنّف للصنعاني:

٥٤٠/٥، كنز العمال: ٥٨٨٢، شواهد التنزيل: ٣٧/١.

وقال ابن النديم ما نصّه (ت: ٤٣٨ هـ): «قال ابن المنادي: حدّثني الحسن بن العباس، قال أخبرت عن عبدالرحمان بن أبي حمّاد، عن الحكم بن ظهير السدوسي، عن عبد خير، عن عليّ عليه السلام أنّه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي ﷺ فأقسم أن لا يضع عن ظهره رداءه حتّى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتّى جمع القرآن فهو أوّل مصحفٍ جُمع فيه القرآن من قلبه، وكان المصحف عند أهل جعفر، ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلى حمزة الحسني عليه السلام مصحفاً قد سقط منه أوراق بخطّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام يتوارثونه بنو حسن على مرّ الزمان، وهذا ترتيب السور من ذلك المصحف» (١).

وقد ذكر السيّد محسن الأمين عليه السلام ثلاثة مصاحف شريفة منسوبة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام كتبها بخطّه الشريف، وفي آخر كلّ مصحف مكتوب بخطّه: «كتبه عليّ بن أبي طالب» عليه السلام (٢).

كذبٌ وتزوير!

وبهذا يُعرف كذبٌ من ادّعى تقدّم غير عليّ وولده وشيعته في التأليف والتصنيف، فقد أثبت تاريخ الإسلام أنّ عليّاً عليه السلام وولده كانوا هم السابقين إلى نشر وتدوين القرآن والسنة وباقي العلوم الأخرى، بل كان لهم الفضل في تأسيس جملة من العلوم الشريفة كما عرفت.

قال رشيد الدّين محمّد بن شهر آشوب المازندراني في (معالم العلماء): «قال الغزالي: أوّل كتاب صُنّف في الإسلام كتاب ابن جريح في الآثار، وحروف

(١) فهرست ابن النديم البغدادي: ٣٠.

(٢) أنظر: أعيان الشيعة: ١، القسم الأوّل/ ٣١٤.

التفاسير عن مجاهد وعطاء بمكة ، ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن ، ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ، ثم جامع سفيان الثوري»^(١).
قال ابن شهر آشوب: «بل الصحيح أن أول من صنف في الإسلام: أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وجمع كتاب الله جلّ جلاله، ثم سلمان الفارسي عليه السلام، ثم أبو ذر الغفاري عليه السلام، ثم الأصبغ بن نباتة، ثم عبدالله بن أبي رافع، ثم الصحيفة الكاملة عن زين العابدين عليه السلام»^(٢).

قال السيّد محسن الأمين:

«وبيان السابق من مؤلفي الشيعة وغيرهم يتوقف على ذكر تواريخ وفياتهم: أمّا غير الشيعة: فمجاهد مات سنة (١٠١) على الأقل و (١٠٤) على الأكثر، وعطاء (١١٠) على الأقل، و (١١٤) على الأكثر، وابن جريح والإمام أبو حنيفة (١٥٠)، ومعمر بن راشد (١٥٢) على الأقل و (١٥٤) على الأكثر، وسفيان الثوري (١٦١) ومالك (١٧٩).

وأما الشيعة:

فسلمان مات سنة (٣٦) أو (٣٧) وقيل قبل سنة (٣٤)، وأبو ذرّ مات سنة (٣١) أو (٣٤)، والأصبغ كان في عصر أمير المؤمنين عليه السلام الذي استشهد سنة (٤٠)، وأبو رافع مات بعد قتل عثمان، وقيل مات في خلافة عليّ عليه السلام، وعبيدالله وعليّ ابنا أبي رافع كانا كاتبين عليّ عليه السلام، وربيع بن سميعة من أصحاب عليّ عليه السلام، وسليم بن قيس الكوفي في إمارة الحجّاج حدود (٩٠) والأصبغ يروي عنه محمّد بن السائب

(١) أنظر: أعيان الشيعة: ١ / ١٢٢.

(٢) معالم العلماء: ٢.

الكلبي المتوفى (١٤٦) وعبيد الله بن الحر يروي عن أمير المؤمنين عليه السلام، فهو لاء كلهم في المائة الأولى في أوسطها عدى الأصبع، ومع ذلك فهو متقدم على جملة منهم، وأولئك كلهم في المائة الثانية، فبان أن أول من ألف في الإسلام حتى في الفقه هم: علماء الشيعة»^(١).

١٧ - كتاب فاطمة عليها السلام

وهو كتاب كان عند فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وكان يُعرف بـ(مصحف فاطمة عليها السلام)^(٢). وقد ذكره من العامة الخرائطي والخطيب البغدادي^(٣). وقد تضمن هذا الكتاب أخباراً غيبية، وحوادث مستقبلية، فقد روى ابن بابويه القمي (٣٢٩هـ) بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«كنت أنظر في كتاب فاطمة عليها السلام فليس ملك يملك إلا وهو مكتوب باسمه وإسم أبيه»^(٤).

وقد تكرر ذكره في أخبار أهل البيت عليهم السلام، ففي الإرشاد والاحتجاج، في حديث الإمام الصادق عليه السلام قال:

«وإن عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض ومصحف فاطمة عليها السلام (إلى أن قال) وأما مصحف فاطمة عليها السلام ففيه ما يكون من حوادث وأسماء من يملك إلى أن تقوم

(١) أعيان الشيعة: ١، القسم الأول/ ٤٠٠ - ٤٠١.

(٢) أنظر: أعيان الشيعة: ١/ ١/ ٣٥٣ - ٣٥٩، الطبعة الثانية، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٣٦/ ٣١.

(٣) مكارم الأخلاق ومعاليها: ٤٣، تقييد العلم: ٩٩، ٣١٨.

(٤) الإمامة والتبصرة من الحيرة: ١٨٠ ح ٣٤.

الساعة»^(١).

وفي بصائر الدرجات ، روى الصفار بسنده عن الصادق عليه السلام قال :
«عندي الجفر الأبيض - إلى أن قال - ومصحف فاطمة عليها السلام ما أزعج أن فيه قرآناً^(٢) أما والله ما هو بالقرآن^(٣) ما فيه من قرآنكم حرف واحد ، إنما هو شيء أملاه الله عليها أو أوحى إليها»^(٤).

وتظافرت الأخبار عن الإمام الصادق عليه السلام قوله :

«إن فاطمة مكثت بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً ، وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها ويحسن عزاءها على أبيها ويعطيها نفسها ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي عليه السلام يكتب ذلك ، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام»^(٥).

وبهذا ظهر أن تسميته بـ (مصحف) ليس لأنه قرآن ، بل لكونه كتاباً اشتمل على علوم غيبية القاها الله تعالى إليها عن طريق ملائكته الكرام ، وكتبه أمير المؤمنين عليه السلام .

وقد صار هذا المصحف من مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام ، حيث أن الأئمة عليهم السلام أخبروا عن قضايا غيبية أسندوها إلى مصحف فاطمة عليها السلام ، منها :
روى الصفار : عن أحمد بن محمد ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن حماد بن

(١) الإرشاد (للشيخ المفيد) : ١٨٦/٢ ، الإحتجاج (للطبرسي) : ١٣٤/٢ .

(٢) بصائر الدرجات : ١٧٠ .

(٣) بصائر الدرجات : ١٧١ .

(٤) بصائر الدرجات : ١٧٢ .

(٥) بصائر الدرجات : ١٧٤ .

عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«تظهر الزنادقة سنة ثمانية وعشرين ومائة وذلك لأنني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام»^(١). هذا سوى ما أخبروا عنه مما أسندوه إلى كتاب علي عليه السلام كما سلف.

١٨ - خطبة الزهراء سلام الله عليها

وقد كتبت فيها شروح كثيرة

١٩ - بلاغة الإمام الحسن عليه السلام

جمع الشيخ عبد الرضا الصافي.

٢٠ - كلمة الإمام الحسن عليه السلام

جمع الشهيد السيّد حسن الشيرازي.

(١) بصائر الدرجات: ١٧٧، وقد أنكر خصوم أهل البيت عليه السلام هذه المنقبة الجليلة الفريدة لفاطمة الزهراء عليها السلام، مع ثبوتها بالأحاديث التي رواها الثقات عن أئمة الهدى، وهو إنكارٌ صادرٌ من نزعة التعصّب البغيض، لأنّ الزهراء عليها السلام هي: سيّدة نساء العالمين، وخير نساء أهل الجنّة، وهي بضعة من رسول الله ﷺ، وأمّ سيّدي شباب أهل الجنّة، فهي أهلٌ لكلّ كرامة إلهية ومنقبة ربّانية، وهي أفضل من مريم عليها السلام التي نزل عليها جبرئيل عليها السلام ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (مريم: ١٧). فكلّمها وكلمته، فلم يستنكر على هذا أحدٌ، فأولى بالزهراء عليها السلام وهي سيّدة نساء الأوّلين والآخريّن أن ينزل عليها جبرئيل عليها السلام فيسلّيها بعد رحيل أبيها، لما فيه من ادخال السرور على قلب أبيها رسول الله ﷺ.

وقد صحّحوا عن رسول الله ﷺ قوله: «إِنَّ فِيكُمْ مُحَدِّثُونَ» وزعموا أنّ جماعة من الصحابة كانوا محدّثين ومُلهَمين؛ فإن صحّ ما زعموا فأجدر بفاطمة أن تكون محدّثة؛ لأنّها المطهّرة في محكم الكتاب، والمشهود لها بالحقّ والصواب وزوجة وصيّ رسول الله ﷺ، وأمّ سيّدي شباب أهل الجنّة؛ فهي أولى بهذه الكرامة من غيرها.

٢١ - مكاتيب الإمام الحسن عليه السلام

جمع الفيض الكاشاني .

٢٢ - خطب الإمام سيّد الشهداء الحسين عليه السلام ووصاياه

وهي تسعة خطب أولها في مكة لما عزم على الخروج منها إلى العراق ، وآخرها يوم عاشوراء قبيل مقتله سلام الله عليه وهي خطبة طويلة مفصلة من ثلاث مقاطع : أولها : خطب واقفاً فقطعوا كلامه ، فرجع وركب ناقته ، وخطب ثانياً بأعلى صوته فقطعوا كلامه ، ثم رجع وركب فرس رسول الله ﷺ وخطب ثالثاً خطبة بليغة جليلة .

وسبعة رسائل ووصايا منها : وصيته لأُم سلمة ولمحمد بن الحنفية ولاخته الحوراء زينب سلام الله عليها ، وغيرها .

وقد جمع هذه الخطب والوصايا العلامة الشيخ فضل عليّ القزويني رضوان الله عليه (ت ١٣٦٧ هـ) في كتابه الفريد (الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه) تحقيق السيّد أحمد الحسيني الأشكوري .

٢٣ - دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام

أورده الكفعمي في (البلد الأمين) والمجلسي في (زاد المعاد) وابن طاووس رضوان الله عليهم ، عن بشر وبشير ابنا غالب الأسدي وهو من محاسن الأدعية المتضمنة لمحاسن الثناء على الله تعالى وتعداد نعمه الكبيرة ، والطافه الكثيرة .

٢٤ - خطبة الحوراء زينب عليها السلام في الشام

ألقته في مجلس الطاغية يزيد لعنه الله ، وكان المجلس غاصاً بالناس ، حافلاً بالملل المختلفة ، حيث نددت بفعله وشنيع صنعه بعثرة رسول الله ﷺ ويزيد ساكت قد عجز عن جوابها ، ولم يتمكن أحد من منعها الكلام ، والناس كأنّ على

رؤوسهم الطَّير ، فاضطرب المجلس وانقلب الناس والأشراف على يزيد وجعلوا يسبُّونه ويلعنونه .

وكانت خطبتها هذه رداً على تصريح يزيد بالكفر والزندقة لما تمثل اللعين بأبيات الكفر أمام رأس سيّد الشهداء (عليه السلام): (لعبت هاشم بالملك) لاكما هو المشهور في الألسنة : لمّا رأت يزيد ينكت ثنيا سيّد الشهداء (عليه السلام) .

وهي من بدائع الخطب الفريدة ، ومعاجزها المجيدة ، أوردها ابن طيفور (ت: ٣٨٠) في (بلاغات النساء) وابن نما الحلي (ت: ٦٤٥) في (مثير الأحزان) .

٢٥ - خطبة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) بالكوفة

أوردها ابن نما في (مثير الأحزان) .

٢٦ - خطبة فاطمة الصغرى بنت الإمام الحسين (عليه السلام) في الكوفة

أوردها ابن نما في (مثير الأحزان) .

٢٧ - الصحيفة السجّادية

للإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) ، وهي أدعيته التي جمعت جميع العقائد الحقّة ، ومحاسن الأخلاق والآداب الإسلاميّة ، قام من خلالها بدور الإمامة ، حيث بثّ فيها عقائد الإسلام الأصيلة ، وأبطل العقائد الأموية المبتدعة ، وهي أوّل كتاب جُمع فيه ذلك ، أملاه على ولديه : الإمام الباقر (عليه السلام) وزيد الشهيد (رضوان الله عليه) ، وأملاه الإمام الباقر على ولده الإمام الصادق (عليه السلام) (١) .

٢٨ - خطبة الامام زين العابدين (عليه السلام) في الكوفة

أوردها ابن نما في (مثير الأحزان) .

(١) الفهرست (للطوسي): ٧٦٨/١٩٩، رجال النجاشي: ٤٢٦، رجال الطوسي: ٤٨٥ كفاية

الأثر: ٣٠٩، الذريعة: ١٨/١٥، الفوائد الطوسية: ٢٤٦.

٢٩ - خطبة الامام زين العابدين عليه السلام في الشام

في المسجد الاموي ، قبل صلاة الجمعة ، حيث أبان عن نسبهم الشريف من الرسول الأكرم ﷺ وفضح يزيد أمام أهل الشام وصار هو والحوراء زينب سبباً لانقلاب الناس على يزيد ، وذمهم له ، فبعضهم صلي ، وبعضهم خرج من المسجد ولم يصلي ، وبهاتين الخطبتين وأحداث الرأس الشريف الأقدس تحقق الفتح المبين لسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ، وزوال ملك بني سفيان .
أخرجها المجلسي في البحار ، وغيره .

٣٠ - رسالة الحقوق

للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، وهو كتاب جمع أسس الأخلاق ، ومحاسن الدين الإسلامي ، والحقوق الواجبة على المسلم في جميع الأصعدة ^(١).

٣١ - مناسك الحج

للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، وقد جمع فيه أحكام الحج وواجباته ، ورواها عنه أولاده: الإمام الباقر عليه السلام وزيد الشهيد عليه السلام والحسين الأصغر عليه السلام .

٣٢ - صحيفة الزهد

قال أبو حمزة الثمالي: قرأت صحيفة فيها كلام زهدٍ، من كلام علي بن الحسين عليه السلام، وكتبت ما فيها، ثم أتيت علي بن الحسين عليه السلام، فعرضت ما فيها عليه، فعرفه وصححه ^(٢).

٣٣ - تفسير القرآن

(١) أمالي الصدوق : ٣٠١ - ٣٠٦ ، الخصال : ٥٦٤ .

(٢) الكافي : ١٤ / ٨ ، الفهرست للطوسي : ٦٧ .

للإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام رواه زياد بن المنذر، وأبو الجارود العبدي ^(١) وكتب أخرى ^(٢).

٣٤ - أدعية السر

رواها عنه الإمام الصادق عليه السلام ومحمد بن إبراهيم وسلمان بن عمرو.

٣٥ - رسالة إلى سعد الخير ^(٣)

٣٦ - المجموع

للشهيد زيد بن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، رواه عنه أبو خالد الواسطي، وقد طبع باسم (مُسند زيد) ^(٤).

٣٧ - غريب القرآن

للشهيد زيد بن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وهو تفسيرٌ لمفردات ألفاظ القرآن الكريم، وكتب أخرى ^(٥).

٣٨ - مناسك آل محمد صلوات الله عليهم

رواية زيد الشهيد.

٣٩ - مسند الإمام زيد

٤٠ - رسالة الإمام زيد إلى علماء الأمة

٤١ - التوحيد

(١) أعيان الشيعة: ١، القسم الأول: ٤١١، الفهرست لابن النديم: ٣٦.

(٢) أنظر: تدوين السنة الشريفة، ١٥٥.

(٣) أنظر كتاب: فهرس التراث: ١٠٠.

(٤) الذريعة: ٢٦/٢١، تدوين السنة الشريفة: ١٥٦.

(٥) المصدر.

للإمام جعفر الصادق عليه السلام، أملاه على تلميذه المفضل بن عمر الجعفي الكوفي، جمع فيه بيان عقيدة التوحيد السليمة، وأبدأ كل فقرة منه بقوله عليه السلام: «فَكَّرَ يَا مَفْضَلُ»، طبع باسم (توحيد المفضل) وأورده العلامة المجلسي في (بحار الأنوار)^(١).

٤٢ - الإهليلجة في التوحيد

للإمام جعفر الصادق عليه السلام، كتبه ردّاً على الملحدين المنكرين للربوبية، أرسله إلى المفضل بن عمر^(٢).

٤٣ - الجعفریات

مجموعة من أحاديث الأحكام الفقهية، رواها الإمام الكاظم عليه السلام عن أبيه جعفر الصادق عليه السلام، مسندة عن آبائه، ويسمى الكتاب أيضاً بـ (الأشعثيات) نسبةً إلى راويه محمد بن الأشعث الكوفي الذي رواه عن موسى عن أبيه إسماعيل عن أبيه الإمام الكاظم عليه السلام، ويسمى بـ (العلويات) لانتهاه أكثر رواياته إلى الإمام علي عليه السلام. قال السيّد ابن طاووس: كتاب الجعفریات، وهي ألف حديث بإسناد واحدٍ عظيم الشأن^(٣).

٤٤ - كتاب الحجّ

للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

(١) بحار الأنوار: ٦٢/٣ - ١٥٠.

(٢) الذريعة: ٤٨٤/٢، بحار الأنوار: ٣٢/١.

(٣) الذريعة: ١٠٩/٢، رجال النجاشي: ٢٦.

رواه أبان بن عبد الملك الثقفي (١).

٤٥ - الأصول الأربعمئة

مجموع ما رواه المحدثون عن الإمام الصادق عليه السلام.

٤٦ - خطب ورسائل الإمام الصادق عليه السلام

جمع بعنوان (اشعة من بلاغة الإمام الصادق عليه السلام).

٤٧ - تفسير جعفر الصادق عليه السلام

٤٨ - الحكم الجعفرية

٤٩ - خواص القرآن الكريم

٥٠ - قرعة الإمام

٥١ - الصحيفة الصادقية

مجموع الأدعية المروية عنه سلام الله عليه .

٥٢ - مسند الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

رواية موسى بن إبراهيم المروزي طبع بتحقيق السيد محمد حسين الجلاي، وهو مجموعة الروايات المسندة المرفوعة إلى النبي ﷺ التي أسندها الإمام موسى الكاظم عليه السلام عن طريق آبائه الكرام عليهم السلام (٢).

٥٣ - مسند الإمام الكاظم عليه السلام لتعزيز الله العطاردي.

٥٤ - مكاتيب الإمام الكاظم عليه السلام

٥٥ - وصيته لهشام بن الحكم وهي وصية طويلة أوردتها الحسن بن علي

(١) رجال النجاشي : ١٤ .

(٢) الفهرست للطوسي : ١٩١ ، رجال النجاشي : ٤٠٧ .

بن شعبة في (تحف العقول)، وكانت مدرسته بالمدينة المنورة، وكان يعرف بين الرواة بالعالم^(١).

٥٦ - **مسند الإمام الرضا** عليه السلام وهو مجموعة الروايات التي أسندها الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن جدّه رسول الله ﷺ، وقد تواتر نقل هذا المسند لدى كافة الطوائف الإسلامية^(٢) وتعددت طبعاته في اليمن وإيران.

٥٧ - **رسالة في أصول الدين إلى المأمون العباسي**: رواها الشيخ الصدوق في عيون الأخبار.

قال العلامة السيّد محسن الأمين: «وأثرت عنه مؤلفات كثيرة في علوم الدين والطب، رواها عنه أكابر العلماء بأسانيدهم المتصلة، أشرنا إليها في سيرته منها:

٥٨ - **الرسالة الذهبية**

٥٩ - **الصحيفة الرضوية**

٦٠ - **كتاب الاهليلجة**: وروي عنه كثير من المواعظ والحكم والأدعية^(٣).

٦١ - **فقه الرضا** عليه السلام: أنظر: فهرس التراث للعلامة السيّد محمد حسين الجلاي.

٦٢ - **القصيدة**: وهي سبعة وأربعون بيتاً محتوية على المواعظ والحكم.

٦٣ - **مكاتب الإمام الجواد** عليه السلام: على قصر عمره (٢٥ عاماً)، قال سبط ابن الجوزي: وكان على منهاج أبيه في العلم والتقوى والزهد والجود، وقال ابن الصبّاغ المالكي (ت: ٨٥٥): قال صاحب مطالب السؤول: أبو جعفر محمد وإن كان صغير

(١) أنظر: أعيان الشيعة: ١، القسم الأول/ ٣٧١، تدوين السنة الشريفة: ١٧٤ - ١٧٥.

(٢) رجال النجاشي: ١٠٠، الذريعة: ١٧/١٥.

(٣) أعيان الشيعة: ١، القسم الأول/ ٣٧٦ - ٣٧٧.

السنن فهو كبير القدر رفيع الذكر القائم بالإمامة للنص عليه ، كما أخبر بذلك جماعة من الثقات (١).

عقد له المأمون العباسي مجلساً عاماً حضره فيه كبار العلماء والفقهاء فسأله وأجابهم جميعاً، وأشهرها مسائل المحرم التي أعدها يحيى بن أكرم فأجاب عنها الإمام الجواد بأحسن جواب وأبان فيها عن وجه الصواب .

٦٤ - الأُمالي في تفسير القرآن

رسالة الردّ على أهل الجبر والتفويض .

٦٥ - كتاب في أحكام الدين (٢)

٦٦ - رسالة في الجبر والتفويض

٦٧ - مكاتيب الإمام الهادي عليه السلام

٦٨ - مسائل الرجال ومكاتباتهم

٦٩ - الزيارة الجامعة (المعروف بالجامعة الكبيرة)

٧٠ - تفسير العسكري عليه السلام

المشتمل على أكثر أحكام الشرع كما قال العلامة الطهراني (٣).

٧١ - مكاتيب الإمام العسكري عليه السلام

وهي مجموعة الرسائل التي صدرت عنه في أجوبة المسائل.

(١) الفصول المهمة: الجزء الثاني، الفصل التاسع.

(٢) أعيان الشيعة: ١، القسم الأول: ٣٨٠، تدوين السنّة الشريفة: ١٨٣.

(٣) الذريعة: ١٤٩/٢٣.

[ما ورد عن الإمام الحجّة بن الحسن المهدي عليه السلام ^(١)]

٧٢ - دعاء الافتتاح

٧٣ - مكاتيب الإمام المنتظر

٧٤ - كلمة الإمام المهدي

٧٥ - المختار من كلمات الإمام المهدي

أنظر تفصيل ذلك في كتاب: (فهرس التراث) للعلامة السيّد محمّد حسين الجلاّلي (تغمّده الله برحمته).

٧٦ - الروايات والأحاديث الشريفة

التي جمعها رجال الشيعة في كتب الحديث مثل: الكافي الشريف، والتهذيب، والاستبصار، ومَن لا يحضره الفقيه، وتفصيل وسائل الشيعة، وبحار الأنوار، وغيرها من المجاميع الحديثية التي ضمّت عشرات الآلاف من الأخبار المروية عن أهل البيت عليهم السلام في الفرائض والسنن والآداب.

هذا غير ما ألفه الأئمّة الطاهرون وأولادهم وأصحابهم، في شتّى العلوم والفنون، ككتابة القرآن الكريم، وتفسيره، وغريبه، وأسباب نزوله، ومعانيه، وإعرابه، وتنقيطه، وقراءته، وتجويده، ابتداءً من أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ سلمان المحمّدي، ثمّ أبو ذرّ الغفاري، ثمّ الأصبغ بن نباتة، ثمّ عبيد الله بن أبي رافع المدني كاتب أمير المؤمنين عليه السلام له (قضايا أمير المؤمنين عليه السلام)، وهو أوّل من صنّف في المغازي والسير ^(٢)، وكان أبوه أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وصاحب بيت مال أمير

(١) راجع: أعيان الشيعة: ١، القسم الأوّل، تدوين السّنة الشريفة: ١٧٨ - ١٨٢.

(٢) الذريعة: ١٨١/٤.

المؤمنين عليه السلام له كتاب (السُّنن والأحكام والقضايا) جمعه من حديث علي عليه السلام خاصة (١).

قال عنه السيّد الصدر: أوّل من دوّن الحديث من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام بعده: أبو رافع (٢) ثم أصحاب الأئمة عليهم السلام كأبي حمزة الثمالي، وكأصحاب الصادق عليه السلام كأبان بن تغلب (٣) أوّل من ألف في غريب القرآن (٤).

(١) المراجعات، المراجعة ١١٠.

(٢) تأسيس الشيعة: ٢٠٨.

(٣) كان من فقهاء الشيعة، حفظ عن الإمام الصادق عليه السلام ثلاثين ألف حديث (رجال النجاشي: ١٢)، روى عنه أهل السنّة في صحاحهم، قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال: ٥/١: شيعي جلد، لكنّه صدوق... ولو رُدّ حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بيّنة. وبهذا يُعرف فضل الشيعة الإمامية على السنّة الشريفة، فإن كثيراً من مشايخ صحاح السنّة ومسانيدهم هم من الشيعة الإمامية الجليدين، كما أقرّ الذهبي وغيره.

(٤) قال العلامة آغا بزرك الطهراني في (الذريعة: ٤٧/١٦): قال سيّدنا في (تأسيس الشيعة): إنّ أبان بن تغلب أوّل من صنّف في (غريب القرآن) إذ لم يُدعّ التقدّم في هذا الباب إلّا لأبي عبيدة المعمر بن المثنى الذي توفّي بعد المأتين، إمّا بثمان سنين أو بتسع أو بعشر أو إحدى عشر، وقد مرّ أنّ أبان توفّي زمن الإمام الصادق عليه السلام سنة (١٤١) فكان وفاته قبل وفاة المعمر بما يقرب من سبعين سنة.

وقال السيّد محسن الأمين في أعيان الشيعة: ١، القسم الأوّل/٤٢٢: أوّل من صنّف في غريب القرآن أبان بن تغلب، وقال السيوطي في الأوائل: أبو عبيدة معمر بن المثنى أخذ ذلك من أسئلة نافع بن الأزرق لابن عبّاس، والصواب أنّ أوّل من ألف فيه أبان كما قلناه، لأنّ أباناً توفّي (١٤١) وأبو عبيدة توفّي (٢٠٨) وقيل أكثر، فأبان مقدّم عليه بسبع وستين سنة على الأقل، والعجب من السيوطي كيف يقول ذلك مع أنّه ذكر في بقية الدعاة أنّ أبان صنّف غريب القرآن وذكر وفاته (١٤١) مع أنّ أبا عبيدة أخذ ذلك من أسئلة نافع بن الأزرق الخارجي لابن

وله أيضاً:

كتاب الفضائل، ومعاني القرآن، والقراءات، والأصول في الرواية على مذهب الشيعة، ذكره ابن النديم في الفهرست، ومحمد بن عليّ النعماني الملقّب بمؤمن الطاق، له: كتاب الإمامة وكتاب المعرفة وكتاب إثبات الوصية وغيرها ممّا ذكرها الشيخ الطوسي وابن النديم، ومنهم: هشام بن الحكم الكندي، وكان من المتكلمين ومن أبرز شخصيات عصره، له مؤلفات في شتى العلوم ذكر منها ابن النديم كتاباً في الإمامة وغيرها^(١).

فلعليّ أمير المؤمنين ﷺ وولده، وشيعته، اليد الطولى البيضاء على هذا الدين الحنيف، والشرع الشريف، في حفظ معالمه ونشر أحكامه، وتدوين سننه. قال العلامة السيّد محسن الأمين (ت: ١٣٧١هـ): وألف أصحاب الأئمة والراون عنهم من عهد أمير المؤمنين عليّ ﷺ إلى عهد أبي محمد الحسن العسكري ﷺ وذلك نحو (٢٥٠) سنة، في علوم الدين ما تزيد عن (٦٦٠٠) كتاب، وامتاز من بينها (٤٠٠) كتاب عُرفت بالأصول الأربعمئة، وهي مروية عن جعفر الصادق ﷺ خاصّة^(٢).

ولو لم يكن لعلّي ﷺ وأولاده الطاهرين سوى الأحاديث الفقهية، والمواعظ الدينية، والآداب الإسلامية، والحكم والنصائح والخطب والأدعية... التي جمعها

عنه عباس، فالأوّل فيه ابن عباس وهو من رؤساء الشيعة، وأبو عبيدة كان من الخوارج الصفورية نصّ عليه الجاحظ في كتاب الحيوان.

(١) أنظر: الإمام الصادق ﷺ والمذاهب الأربعة: المجلد الثاني، أعيان الشيعة: ١، القسم الأوّل.

(٢) أعيان الشيعة: ١، القسم الأوّل/ ٣٨٢.

العلماء الكبار في موسوعاتهم الحديثية، مثل :

الشيخ الصدوق في كتبه. الكليني في (الكافي)، والحسن بن علي الحلبي في (تحف العقول)، والعلامة المجلسي في (بحار الأنوار)، والحرّ العاملي في (تفصيل وسائل الشيعة)، والشيخ الطوسي في (التهذيب) و (الاستبصار) وغيرها، لكفاهم بذلك فخراً ومجداً، وجهاداً ودفاعاً عن الدين الحنيف، والشرع الشريف، وذنباً عن حوزة الإسلام، وإبقاءً على السنن والأحكام، وحفظاً لآثار النبوية، وصوناً للأحكام الشرعية، فصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهذا يدل على اهتمام أهل البيت عليهم السلام بدين جدّهم رسول الله ﷺ فدوّنوا سنّته، وبيّنوا أحكامه، وحفظوا حدوده، لئلا يندرس هذا الدين، وتنطمس معالمه، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد رسول الله ﷺ وأهل بيته الأبرار.

تيارات مناهضة !

وقد حدثت تيارات مناهضة، في قبال جهود أهل البيت عليهم السلام وتدوينهم لسنّة النبي ﷺ، فوقفت من السنّة المطهّرة أسوأ موقف عُرف في تاريخ الإسلام، وارتكبت أعظم جريمة في حقّ ثاني أعظم أركان الإسلام، وذلك :

بإحراق أحاديث رسول الله ﷺ، ومنع تدوينها، ومنع روايتها للمسلمين!!
وقد نصّت على ذلك كُتُب العامّة، فيما روه عن بعض الصحابة الذين حالوا دون نشرها وتدوينها وروايتها^(١).

(١) أمّا حرقها: فقد روى الذهبي في تذكرة الحفاظ : ٥/١، والمتقي الهندي في كنز العمال :

٢٨٥/١٠ عن عائشة قالت : « جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ وكانت خمسمائة

حديث، فدعا بنار فحرّقها» .

وروى الخطيب البغدادي في تقييد العلم: ٥٢، وابن سعد في الطبقات الكبرى: ١/١٤٠، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: «إنَّ عمر بن الخطَّاب بلغه أنَّه قد ظهر في أيدي الناس كُتُب، فاستنكرها وكرهها، وقال: أيُّها الناس إنَّه قد بلغني أنَّه قد ظهرت في أيديكم كُتُب، فأحبُّها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يُيقِن أحدٌ عنده كتاباً إلاَّ أتاني به، فأرى فيه رأيي، قال: فظنُّوا أنَّه يريد ينظر فيها ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتبهم، فأحرقها بالنار، ثمَّ قال: أُمْنِيَّة كَأُمْنِيَّة أَهْل الْكِتَاب!!»

وأما منع تدوينها: فأوَّل ذلك يوم مُنِع النَّبِيُّ ﷺ من كتابة الكتاب الذي إن كتبه لن يضلُّوا بعده أبداً، بعد أن أمرهم رسول الله ﷺ باحضار الدواة والكتف، فاعترضه بعضهم واتَّهمه بالهجر وغلبة الوجد - حاشا رسول الله ﷺ - (صحيح البخاري: ١/٣٩، و ٤/٨٥، إرشاد الساري: ١/١٦٩، فتح الباري: ١/١٨٥، شرح النووي لصحيح مسلم: ٢/٦٣، مسند أحمد: ١/٣٣٦).

وقد سعى هؤلاء إلى منع التدوين قبل ذلك اليوم، ففي المصنَّف لابن أبي شيبة: ٦/٢٢٩، وتفسير ابن كثير: ٤/٢٦٤، وتاريخ مدينة دمشق: ٣١/٣٦٠، وتهذيب الكمال: ٣١/٣٩، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: «كنت أكتب كلَّ شيء أسمعُه من النَّبِيِّ ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: تكتب كلَّ شيء تسمعه، ورسول الله ﷺ بشر يتكلَّم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال: «أكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلَّا حقٌّ».

وأما منع روايتها: فروى الذهبي في تذكرة الحفاظ: ١/٣: «أنَّ أبا بكر جمع النَّاس بعد وفاة نبيِّهم فقال: إنَّكم تحدِّثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدَّ اختلافاً، فلا تحدِّثوا عن رسول الله ﷺ شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلُّوا حلاله، وحرِّموا حرامه .

وبذلك منع الناس رواية الأحاديث والسُّنة التي هي ثاني ركن التشريع» .

﴿ واستمر أتباعه على هذا المنهج، حتّى سُجِنَ أناسٌ من الصحابة لأجل روايتهم السُّنَّة (تذكرة الحفاظ : ٧١، كنز العمال : ٢٣٩/١، مختصر تاريخ مدينة دمشق : ١٠١/٧، المستدرك على الصحيحين : ١١٠/١) .

واشتدَّت الوطأة في عهد معاوية بن أبي سفيان، حتّى أصدر كتاباً فيه : « برئت الذمّة ممّن روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته » .

وصار المنع سُنَّة، حتّى قال الشعبي : جالستُ عبداً لله بن عمر سنةً، فما سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ شيئاً؟!

وروى الخطيب البغدادي عن المسيّب قال : « كتب إليّ أهل الكوفة مسائل ألقي فيها ابن عمر، فلقيت، فسألته من الكتاب، ولو علم أنّ معي كتاباً لكانت الفيصل فيما بيني وبينه » (تقييد العلم : ٤٤، المصنّف لابن أبي شيبة : ٢٣١/٦) .

واستمرّ المنع أكثر من مائة عام - نهاية القرن الأوّل - حتّى ولي عمر بن عبدالعزيز، فأمر بإذاعته وتدوينه (أنظر : سنن الدارمي : ١٢٦/١، تنوير الحوالك : ٥) .

وكان السبب الأوّل والأخير لهذا المنع هو : إخفاء الأحاديث النبوية الدالّة على خلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإخفاء مناقب أهل البيت عليه السلام من النصوص النبوية الصحيحة على إمامتهم وولايتهم .

فإنّ السُّنَّة المطهّرة - فضلاً عن القرآن الكريم - اشتملت على فضل العترة، خاصّة أمير المؤمنين عليه السلام، فلا تجد غزوة ولا معركة ولا موقفاً في الإسلام، إلّا ولعليّ عليه السلام فيه ذكر وفضل، ولا واقعة من وقائع الدين، إلّا واقتربت بفضيلة جليّة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، تنصّ على إمامته وخلافته بعد رسول الله ﷺ .

فمن أوّل يوم أعلن فيه رسول الله ﷺ دعوته، أشاد بذكر عليّ وإمامته حينما قال ﷺ - يوم الدار - : « إنّ هذا أخي ووصي وخليفتي » .

وحتّى آخر لحظة من أنفاسه الشريفة، حينما قال : - فيما رواه ابن حجر في الصواعق المحرقة (الفصل الثاني، الباب : ٩) وقد امتلأت الحجرة بأصحابه - :

وبذلك ضاعت - عند أولئك - جملة كبيرة من الأحاديث النبوية، والأحكام

﴿ألا إني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل، وعترتي أهل بيتي﴾.

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: «هذا علي مع القرآن والقرآن معه خليفان نصيران لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فأسألهما ماذا خلقت فيهما»، ثم منعه عمر من كتابة الكتاب!! خوفاً من الوصية لعلي عليه السلام، ففي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١/١٢: «روى عن ابن عباس أن عمر قال له: لقد أراد رسول الله ﷺ أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك... فلم رسول الله ﷺ أني علمت ما في نفسه، فأمسك».

فلم يكن غرضهم من منع التدوين والرواية إلا تعقيب أمير المؤمنين وإخفاء أحاديث امامته: كحديث الغدير، وحديث المنزلة الشريف، وحديث الثقلين العظيمين اللذين استخلفهما النبي ﷺ على أمته، وحديث السفينة، وحديث الأئمة الاثني عشر، وأحاديث الوصاية والإمامة لعلي عليه السلام وولده، وحديث: «لا يبلغ عني إلا علي» الدال على بطلان خلافة غيره. وكذلك إخفاء مثالب أعداء علي عليه السلام، وما ورد من الطعن فيهم.

وقد أثبت التاريخ أن المانعين لم يكونوا يتحملون سماع مناقب الأنصار ولا فضلهم فقد روى الزبير بن بكار (ت ٢٥٦) عن عبد الرحمن بن يزيد أن: «سليمان بن يزيد أمر أبان بن عثمان أن يكتب له سير النبي ﷺ، فأتاه بها، فلما قرأها سليمان مرّ على ذكر الأنصار في العقبتين وفي بدر، فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل! ثم أمر بالكتاب فحرق، فرجع سليمان إلى أبيه عبد الملك فأخبره، فقال عبد الملك: وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل؟ تُعرف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها» (الموقفيات: ٢٢٢).

فكيف بمناقب علي بن أبي طالب عليه السلام والنصوص الجليلة في إمامته، وقد روى صاحب الأغاني: «أن خالد القسري - أحد ولادة بني أمية - طلب من أحدهم أن يكتب له السيرة، فقال الكاتب: فإنه يمرّ بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب، أفأذكره؟ فقال خالد: لا، إلا أن تراه في قعر جهنم» (الأغاني: ٢٥/٢٢).

فلم يكتفوا بمنع التدوين، ولا بمنع روايته، حتى أحرقوا أحاديث رسول الله ﷺ، وحرّموا الأمة منها، وقد أمر رسول الله ﷺ بنشرها وبثها وتبليغها للغائبين.

وهكذا اکتّموا ما أنزل الله تعالى، وجنّوا على الإسلام وأهله جناية لا يسدّها شيء!

الشرعية، والعقائد الدينية، بل وتبدّل كثيرٌ من المعالم والسنن، بسبب كتمان أحكامه الأصيلة، وإخفاء معالمه الجليلة.

وقد توعّد الله سبحانه وتعالى مَنْ كتم شيئاً من الدّين وسُننه ومعالمه، لما فيه من تضييع الشريعة، وإضلال الناس، وتعريضهم للكفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ...﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ (٢).

وقد أخذ الله سبحانه على ذلك ميثاق أنبياءه، ورسله وسفراءه، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (٣) علماً منه تعالى بأنّ دينه لا يستقيم إلّا بنشره وتبيانه، وإيصاله إلى جهّال الناس وضلّالهم، ليهتدوا بهديه، ويستضيئوا بنوره وخيره.

وقد قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ كَتَمَ عِلْماً مِمَّا يَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ فِي أَمْرِ النَّاسِ، أَمَرَ الدِّينَ، الْجَمْعَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ» (٤).

(١) سورة البقرة: ١٥٩.

(٢) سورة البقرة: ١٧٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٨٧.

(٤) سنن ابن ماجه: ٩٧/١، مستدرک الحاکم: ١٠٢/١، مسند أحمد: ٤٩٩/٢.

أحاديث أهل البيت عليهم السلام في مصادر الحديث الشيعية

وقد جمع رجال الشيعة الإمامية ما خلفه أهل البيت عليهم السلام من الأحاديث والأخبار التي رووها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في الفرائض والسنن والآداب وغيرها، في مجاميع كتب الحديث، والتي من أشهرها الكتب الأربعة، وهي:

١ - [الكافي]: لشيخ المحدثين محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٩هـ) وفيه (١٦٠٩٩) حديثاً بأسانيداً في الأصول والفروع.

٢ - [من لا يحضره الفقيه]: لرئيس المحدثين أبي جعفر محمد بن بابويه الصدوق القمي (ت: ٣٨١هـ)، وفيه (٩٠٤٤) حديثاً.

٣ - [تهذيب الأحكام]: لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، وفيه (١٣٥٩٠) حديثاً.

٤ - [الاستبصار]: لأبي جعفر الطوسي أيضاً، وأحاديثه (٥٥١١) حديثاً. فيكون مجموع الأحاديث في الكتب الأربعة: (٤٤٢٤٤) حديثاً.

وتمتاز هذه الكتب وغيرها، عند الإمامية بميزة لم تتوفر في كتب الحديث عند المذاهب الأخرى، وهي:

إنحصار رواياتها عن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته الطاهرين امتثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرجوع إليهم، والأخذ منهم، ونهيه عن التخلف عنهم، والتقدم عليهم، لكونهم المطهرين بنص الكتاب، والمشهود لهم بالصدق والصواب، وأنهم لا يقولون إلا حقاً، ولا ينطقون إلا صدقاً.

مصادر الحديث عند الجمهور

وهذا بخلاف كتب الحديث عند الجمهور، فإنهم لم يرووا عن أهل البيت عليهم السلام الذين هم خَزَنَةُ عِلْمِ النَّبَوَّةِ، إِلَّا آحَاداً قَلِيلَةً، مع كونهم عترة رسول الله ﷺ، لكنهم رووا آلاف الأحاديث عن مَنْ ثبت عندهم قدحهم وجرحهم وعدم وثاقتهم، بل بغضهم وعدائهم وحربهم لأهل البيت عليهم السلام الذين فرض الله مودّتهم وجعله أجراً للرسالة!

فها هو البخاري (ت: ٢٠٦): روى في صحيحه عن: مروان بن الحكم الأموي، ومعاوية بن أبي سفيان الذي حارب أمير المؤمنين علياً عليه السلام، وعمرو بن العاص الذي حارب أمير المؤمنين علياً عليه السلام، والنعمان بن بشير الأنصاري الذي لازم معاوية وولده يزيد، والمغيرة بن شعبة، وغيرهم، ولم يذكر الحسن والحسين عليهما السلام في جملة مَنْ روى مِنَ الصحابة، مع كونهما صحابييين، بل ولدي رسول الله ﷺ وسيدي شباب أهل الجنة.

وروى عن عائشة بنت أبي بكر مائتين واثنين وأربعين حديثاً، ولم يرو عن فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله ﷺ إِلَّا حديثاً واحداً، مع كون فاطمة عليها السلام ابنته وأكثر اختلاطاً به.

وروى عن أنس بن مالك مائتين وأربعين حديثاً، ولم يرو عن الإمام محمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم عليهم السلام، مع كونهم أعلام أهل البيت النبوي، وسادة المحدثين، وشيوخ مشايخ الفريقين.

وكذلك لم يروِ الأحاديث المتواترة والمشهورة الصحيحة التي أجمع عليها الفريقان: كحديث الغدير، وحديث «أنا مدينة العلم» وحديث الطير المشوي،

وحديث الإنذار يوم الدار ، وأحاديث تبليغ سورة براءة ، وحديث سد الأبواب ، وأحاديث الولاية ، وأحاديث الطهارة ، وحديث الثقلين الخليفين اللذين خلفهما رسول الله ﷺ ، مع كونها متواترة صحيحة على شرطه كما قال الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥) في المستدرک ، ومع رواية باقي الصحاح لها ، مما يدل على مجانية البخاري لأهل البيت ﷺ ولفضائلهم ومناقبهم .
ومما يزيد في التعصّب :

رواية البخاري عن اللعين عمر بن سعد الذي قتل سيّد شباب أهل الجنة الحسين بن عليّ وفاطمة ﷺ ، وقد قال فيه رسول الله ﷺ : «حسينٌ منّي وأنا من حسين» «أحبّ الله من أحبّ حسيناً»^(١).

وروايته عن جماعة من الخوارج الذين صرّح أعلامهم بخروجهم من الملة والدين ، مثل : عمران بن حطان : فقد روى الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) في (سير أعلام النبلاء) قال : كان عمران خارجياً^(٢) . ونصر بن عاصم الليثي النحوي ، وغيرهما .

رجال الشيعة في كتب السنة

ومما يدلّ على فضل أهل البيت ﷺ على السنة الشريفة ، وجهودهم في حفظها ونشرها وصونها : إنّ عشرات أعلام الشيعة الإمامية الثّقة الأبرار هم مشايخ أعلام السنة وكبار محدّثيهم ، في الصّحاح الستّة وغيرها من السنن والمسانيد ، فقد امتلأت مصادر السنة من روايات الشيعة الإمامية ، في الفرائض والسنن والعقائد والآداب ، والتي بلغت في الكثرة حدّاً لو تركوها لضاعت جملة من سنة

(١) مسند أحمد بن حنبل: ١٧٢/٤ ، سنن ابن ماجه: ٥١/١ .

(٢) سير أعلام النبلاء: ٢١٩/٥ .

رسول الله ﷺ .

إقرار الحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)

وبه أقرَّ الحافظ الذهبي ، في ترجمة : «أبان بن تغلب» قال :
« ولو رُدَّ حديث هؤلاء - أي الشيعة - لذهب جملةٌ من الآثار النبوية ، وهذه مفسدةٌ بيّنة » (١) .

وهذا إقرارٌ من كبير علماء السنة الذين يُحتجُّ بقولهم ، بأنَّ جملةً كبيرةً من الآثار النبوية والسُّنن والأحكام الإسلامية قد حفظها الشيعة الإمامية ونقلوها إلى أجيال الأمة الإسلامية ، ولولاهم لضاعت هذه الآثار والسُّنن .
١ - قال السيّد محسن الأمين رحمته الله معقِّباً على كلام الذهبي :

« وهذه شهادة من هذا الحافظ الكبير بتفرد الشيعة من التابعين وتابعيهم بحفظ جملة من الآثار النبوية ، ولو كان قد رواها غيرهم لما أوجب ردّ حديثهم ذهاب شيء منها ، بل إنّ أئمة المذاهب الأربعة وأئمة المحدثين قد أخذ أكثرهم عن فقهاء الشيعة .

فالإمام أبو حنيفة أخذ عن جعفر الصادق عليه السلام ، وإبراهيم بن محمّد بن سمعان مولاهم كان شيخ الإمام الشافعي وكان من الشيعة . ومحمّد بن فضيل بن غزوان الضبي شيخ الإمام أحمد بن حنبل .

وعبدالله بن موسى العبسي الكوفي شيخ الإمام البخاري وكان من الشيعة كما نصّ عليه السمعاني في الأنساب والذهبي في ميزان الاعتدال وتذكرة الحفاظ » (٢) .

(١) سير أعلام النبلاء : ٥٩/١ ، ميزان الاعتدال : ٥/١ .

(٢) أعيان الشيعة : ١ ، القسم الأول : ٣٦ .

٢ - وقد أرجع ابن أبي الحديد المعتزلي علم أئمة المذاهب الأربعة : أبو حنيفة ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، ومالك بن أنس ، إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ^(١) .

٣ - وقد أحصى شيخنا الأميني رحمه الله بعض أولئك الشيعة الذين روى عنهم أهل السنة في الصحاح السنة وغيرها ، فبلغوا (٩٣) شيخاً ، منهم : أبان بن تغلب ، جابر الجعفي ، الاصبع بن نباتة ، الحارث الهمداني ، سليمان بن صرد ، طاووس اليماني ، أبو حمزة الثمالي ، أبو الأسود الدؤلي ، صعصعة بن صوحان ، المنهال بن عمرو ، أبو عبدالله الجدلي ، خالد القطواني ، وغيرهم ممن صرحوا بتشييعهم ووثاقتهم وعدالتهم ^(٢) .

٤ - وقد أنهاهم السيد شرف الدين في (المراجعات) إلى (١٠٠) شيخ ، ترجمهم وذكر توثيقات العامة لهم ، ثم قال :

(وهم مئة بطل من رجال الشيعة كانوا حجج السنة ، وعيبة علوم الأمة ، بهم حفظت الآثار النبوية ، وعليهم مدار الصحاح والسنن والمسانيد ، وأنهم أضعاف أضعاف تلك المئة عدداً ، وأعلى منهم سنداً ^(٣) .

٥ - إلا أن الشيخ جعفر الطوسي أنهاهم في كتابه (رجال الشيعة في الصحاح السنة) إلى (١٤٠) رجل ، فراجع .

وكل هؤلاء قد أجمع أهل السنة على تشييعهم وولائهم لأهل البيت عليهم السلام والقول

(١) أنظر مقدمة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .

(٢) أنظر عددهم وأسمائهم في : الغدير : ١٢٦/٣ .

(٣) المراجعات : ١٠٥ - ١٨١ .

بإمامتهم، ووثاقتهم، منهم خمسين كوفياً.

وهذا يدلّ على فضل الشيعة الإمامية وأيادهم البيضاء على الدين الإسلامي. وهؤلاء عدا الصحابة الذين عُرفوا بتشيعهم لأهل البيت عليه السلام، كالعبّاس بن عبدالمطلب، وعبدالله بن العباس، والفضل بن العباس، وسلمان المحمّدي، وأبو ذرّ، والمقداد، وعمّار، وغيرهم.

قال العلامة الأميني:

هؤلاء جمعٌ ممّن احتجّ بهم الأئمة الستّة في صحاحهم، أضف إليهم رجال الشيعة من الصحابة الأكرمين والتابعين الأوّلين، وأعلام البيت العلوي الطاهر من الذين يحتجّ بهم وبحديثهم وأنهى أئمة أهل السنة إليه الإسناد في الصحاح والسّنن والمسانيد وهم مصرّحون بنقثهم وعدالتهم^(١).

رواة أهل السنة عن أئمة أهل البيت عليه السلام:

قد عرفت آنفا رواية الجمهور عن أكابر علماء الشيعة الإمامية في صحاحهم ومسانيدهم المعتبرة عندهم، ولم يقتصروا على ذلك فحسب، وإنّما رَوَوْا أحاديثاً جليلة كثيرة عن أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) ابتداءً من الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وانتهاءً إلى الأئمة الباقيين (عليهم السّلام).

وقد أحصى الشيخ جعفر الطّبرسي رجال العامّة الذين رَوَوْا عن أهل البيت

(١) الغدير: ١٢٧/٣، قال الأميني في معرض ردّه على ابن حزم: «فلو كانت الشيعة - كما زعمه ابن حزم - خارجين عن الإسلام، فما قيمة تلك الصحاح؟! وتلك المسانيد؟! وتلك السنن؟! وما قيمة مؤلّفها أولئك المشايخ وأولئك الأئمة وأولئك الحفاظ؟! وما قيمة تلك المعتقدات والآراء المأخوذة ممّن ليسوا من المسلمين؟! اللهم غفرانك وإليك المصير وأنت القاضي بالحقّ».

(عليهم السلام) فبلغوا (٨٨٨) راوٍ (١) .

* أمّا عدد رواة السنة عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) خاصّة فبلغوا (٥٠٨) راوٍ ، من الصحابة والتابعين ، أشهرهم : ألبراء بن عازب (ت: ٧٢ هـج) ، أسماء بن خارجة الفزاري (ت: ٦٦ هـج) ، جابر بن سمرة (ت: ٧٤ هـج) ، عبد الله بن الزبير (ت: ٧٣ هـج) ، عبد الله بن عمر (ت: ٧٤ هـج) ، جعدة بن هبيرة ، أسيد بن صفوان ، الحسن البصري ، عبيد الله بن الحرّ الجعفي ، جنادة بن أبي أميمة ، سفينة مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله)

* وأمّا عدد رواة السنة عن الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) فبلغوا (٥٧) راوٍ ، أشهرهم عائشة بنت أبي بكر .

* وأمّا عدد رواة السنة عن سيّد الشهداء الإمام الحسين (صلوات الله وسلامه عليه) فبلغوا (٢٥) راوٍ .

* وأمّا عدد رواة السنة عن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) فبلغوا (٤٥) راوٍ .

* وأمّا عدد رواة السنة عن الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) فبلغوا (١٠٩)

* وأمّا عدد رواة السنة عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) فبلغوا (١١٣)

أشهرهم : أبو حنيفة النّعمان ، ومالك بن أنس ، وحفص بن غياث ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، وغـيرهم...

(١) أنظر كتاب : الرواة عن الأئمة الهداة من أهل السنة ، للشيخ جعفر الطّبرسي .

الثاني من أسباب اقامة الدين

[الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة]

وهذا ممّا أمر الله تعالى به في كتابه، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (٣).
ولولا الدعوة إلى الله تعالى لما انتشر الإسلام ، وبلغ أقصى الأرض والأنام؛
فإن الله تعالى لم يبعث الأنبياء والرسل إلا لدعوة الخلق إليه ، ودلائهم عليه .
تتحقق الدعوة إلى الله تعالى بكل ما يقرب إلى الله عز وجل وطاعته ، ويبعد
عن معصيته .

فأعلى درجاتها: الدعوة إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى ، والعمل بأوامره
والإنزجار عن نواهيه .

(١) سورة النحل : ١٢٥ .

(٢) سورة فصلت : ٣٣ .

(٣) سورة يوسف : ١٠٨ .

ومن مراتب الدعوة إلى الله تعالى: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١).

وهذه المرتبة وإن كان يشترك في وجوبها جميع آحاد المسلمين، إلا أنها تتأكد في الإمام، لأن الغاية من الإمامة هي: حفظ الدين، ورعاية أسسه وأحكامه، وهذا لا يتم إلا بأمر الأمة بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢).

فقرن الله تعالى ذلك بالصلاة والزكاة، لعلمه سبحانه بأن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ترك للصلاة والزكاة وباقي الفرائض والحدود. وقد مدح الله سبحانه ذلك بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾^(٣).

ولقد هدّد الله سبحانه تاركي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لما فيه من إماتة الدين، وطمس الشريعة، وتبدّل الأحكام، وخفاء الحق، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٤).

(١) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٢) سورة الحج: ٤١.

(٣) سورة التوبة: ١١٢.

(٤) سورة المائدة: ٧٨ - ٧٩.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِحَيْثُ مَا عَمِلُوا مِنَ الْمَعَاصِي وَلَمْ يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا تَمَادَوْا فِي الْمَعَاصِي نَزَلَتْ بِهِمُ الْعُقُوبَاتُ».

«إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقُرْنَ الْمَاضِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لَتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَالْحُلَمَاءَ لَتَرْكِ التَّنَاهِي»^(١).
وإِنَّمَا هَدَّدَ اللَّهُ تَارِكِي ذَلِكَ، لَثَلًا يَسْتَفْجِلُ الْفُسَادَ، وَيَنْقَلِبُ الْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا، كَمَا قَالَ عليه السلام: «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا»^(٢).

وإِنَّمَا شَرَّعَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ الْحُدُودَ وَالْقَصَاصَ وَالتَّأْدِيبَاتِ، فَلَأَجَلَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ وَالْفُسَادِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ»^(٣). وكَمَا هَدَّدَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ التَّارِكِينَ، وَعَدَ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالنَّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ، وَالْآمِنَ مِنَ الْهَلَاكِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمُ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ»^(٤).

فعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال في تفسير الآية: «كانوا ثلاثة أصناف: صنف

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١٩٢، القاصعة.

(٢) المعجم الأوسط: ١٢٩/٩، كنز العمال: ٦٨٨/٣.

(٣) سورة البقرة: ٧٩.

(٤) سورة الأعراف: ١٦٤ - ١٦٥.

إِئْتَمَرُوا وَأَمَرُوا فَنَجُوا، وَصَنُفْ إِئْتَمَرُوا لَمْ يَأْمَرُوا فَمَسَخُوا ذَرَأً، وَصَنَف لَمْ يَأْتَمَرُوا وَلَمْ يَأْمَرُوا فَهَلَكُوا»^(١).

(١) الكافي: ١٥٨/٨.

الثالث

من أسباب إقامة الدين

[إقامة العدل ورفع الظلم]

وهذا من أهم أسباب إقامة دين الله عزّ وجلّ ، وتطبيق شريعته المقدّسة ، فإنّه إذا ساد العدل ، أمنت السُّبُل ، وظهر الدِّين ، وعُبدَ الله تعالى حقّ عبادته . ومتى ظلّم الولاة ، خفيت الأحكام ، وكُتِمَ الدِّين ، وتبدّلت الشرائع . وكان هذا أوّل ما أمر الله تبارك وتعالى به في مطلع الدِّين الإسلامي ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١) لعلمه تعالى بأنّ الدِّين لا يُقام إلّا بالعدل .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٢) . وقد أمر الله سبحانه عباده بالعدل حتّى في أبسط الأمور ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ

(١) سورة النحل : ٩٠ .

(٢) سورة النساء : ٨٥ .

فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْهَدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ^(١).
 بل: أمر سبحانه بالعدل حتى مع أعداء الدين، والكافرين، تأكيداً لأهمية هذا
 الركن القويم، ولما فيه من المصالح والمنافع الدنيوية والأخروية، قال تعالى:
 ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
 خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ^(٢).

وإنما أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل، لعلمه بأن الدنيا والدين لا يستقيمان إلا
 به، ولا يستقران إلا معه، ولعلمه بأن الظلم أقوى أسباب الهلكة والضلال، وتعطيل
 الدين، وخفاء السنن، علاوة على ما فيه من تضييع الحقوق، وهتك الحرمات.
 ومن عدله أنه تعالى وعد الظالمين بالعقاب الأليم، والنكال الجسيم، في الدنيا
 والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا
 يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا^(٣).
 ومن عدله إنه تعالى حرّم كل شيء يعود إلى الظلم، حتى سوء الظن، قال تعالى:
 ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ^(٤).

وقد عبّر سبحانه عن العدل بالحياة، لأنّ به حياة الدنيا وأهلها، قال تعالى:
 ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا^(٥).

فعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: «ليس يحييها بالقطر، ولكن يبعث رجالاً

(١) سورة الأنعام: ١٥٢.

(٢) سورة المائدة: ٨.

(٣) سورة الكهف: ٢٩.

(٤) سورة الحجرات: ١٢.

(٥) سورة الحديد: ١٧.

فيحيون العدل، فتحيى الأرض لإحياء العدل، ولإقامة العدل فيه أنفع في الأرض من القطر أربعين صباحاً»^(١).

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «العدل قوام الرعية»^(٢).

و «بالعدل تصلح الرعية» «وتتضاعف البركات»^(٣).

وقال عليه السلام: «جعل الله العدل قواماً للأنام، وتنزيهاً من المظالم والآثام، وتسنيةً

للإسلام»^(٤).

وقد شدد الله سبحانه الوصية على الحكّام والأمرأ، بإقامة العدل.

قال تعالى: «وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ»^(٥).

وقال تعالى: «وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»^(٦).

حتى ورد: أن من أسباب ظهور الإمام الثاني عشر المهدي عليه السلام في آخر الزمان

هو: كي «يملاً الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً»^(٧).

وقد رسم الخلفاء الشرعيون من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله العدل والقسط بأجلى

صوره، فكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مثلاً للعدل الذي تنشده

البشرية. ولم تشهد دولة الإسلام عدلاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كما شهدته في خلافة

(١) الكافي: ١٧٤/٧.

(٢) مستدرک الوسائل: ٣١٨/١١.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ١٨٥، مستدرک الوسائل: ٣٢٠/١١.

(٤) مستدرک الوسائل: ٣٢٠/١١.

(٥) النساء: ٥٨.

(٦) سورة المائدة: ٤٢.

(٧) أنظر: المستدرک علی الصحیحین: ٥٥٧/٤.

أمير المؤمنين عليه السلام.

فمن عدله:

أنه صبر على غضب حقه من الخلافة، حفظاً للدين، وصوناً للإسلام من الشقاق والفرقة، قائلاً: «لقد علمتم أنني أحق الناس بها من غيري، والله لأنسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة، إلتماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه»^(١) ولو لم يكن عليه السلام كذلك لوَضَعَ سيفه على غابر هذه الأمة.

ومن عدله:

أنه لما بوع بالخلافة، خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: «ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود إلى بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء، وفرق في البلدان، لرددته إلى حاله، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيّق»^(٢). «وأيّم الله لأبقرن الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته»^(٣).

ومن عدله:

أنه عزل معاوية بن أبي سفيان من الشام، وأبى أن يوّليه على أمور المسلمين ولو ساعة واحدة، كيف! وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «الخلافة محرمة على آل

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٧٤.

(٢) نهج البلاغة: ٢٦٩/١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة: ١٠٤.

أبي سفيان»^(١). و«إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»^(٢).

وقد قال عمر بن الخطّاب: «إنّ هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثمّ في أهل أحد ما بقي منهم أحد، وليس فيها لطيق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء»^(٣).

وكان معاوية طليق وابن طليق ومن مُسلمة الفتح، فلا يصلح للخلافة. وفي لفظ آخر لعمر قال: «إنّ هذا الأمر لا يصلح للطلاق ولا لأبناء الطلاق»^(٤).

وهذا إقرار من عمر بن الخطّاب بأنّ الخلافة لا تصلح لمعاوية ولا ليزيد، ولا لأحد من بني أميّة لأنّهم طلقاء وأبناء طلقاء.

ومن عدله:

أنّه منع أخاه عقيلاً أن يأخذ درهماً واحداً من بيت مال المسلمين.

ومن عدله:

أنّه سوّى في العطاء بين المسلمين، ولم يفرّق بين العربي وغيره كما صنع من كان قبله.

ومن عدله: أنّه بنى موضعاً تُحبس فيه الأنعام الضالّة، يقال له: المربد، فكان

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ٢١٦، بحار الأنوار: ٢٤٩/٣٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ١٥٥/٥٩، ميزان الاعتدال: ٥٧٢/١، ٣٨٠، ٦١٣، سير أعلام النبلاء: ١٤٩/٣، تاريخ الطبري: ١٨٦/٨، البداية والنهاية: ١٤١/٨.

(٣) فتح الباري: ١٧٨/١٣، كنز العمال: ٦٨١/١٢، تاريخ مدينة دمشق: ١٤٥/٥٩، أسد الغابة: ٣٨٨/٤، الطبقات الكبرى: ٣٤٢/٣.

(٤) كنز العمال: ٧٣٥/٥، الإصابة: ٧٠/٤.

يعلفها علفاً لا يُسمنها ولا يهزلها من بيت المال، فمن أقام عليها البيّنة أخذها، وإلاّ أقرّها على حالها.

ومن عدله:

أنّه ﷺ كان يأكل من كدّ يمينه وعرق جبينه، ولم يأخذ من بيت المال شيئاً.

ومن عدله:

أنّ عمرو بن العاص دخل عليه في خلافته ليلاً وهو في بيت المال ينظر في أموال المسلمين، ودواوين العطاء، وعنده سراج يُضيء بنوره الضئيل، وكان السراج قد اشتراه من بيت مال المسلمين، فلما دخل ابن العاص وأراد التحدّث مع الإمام ﷺ في شؤونه الخاصّة أطفأ الإمام السراج، ولم يستحلّ أن يستضيء به في غير أمور المسلمين^(١).

ومن عدله:

أنّه ﷺ حارب الناكثين والقاسطين والمارقين بأمر رسول الله ﷺ^(٢)، ولم يدعهم يعبثون بمقدّرات المسلمين، حفظاً للدين من أن تناله أيدي الشقاق والنفاق.

ومن عدله:

أنّه لما بويع لم يتعرّض لأحدٍ من أعدائه، ولا ناله بمكروه، مع علمه بسوء نواياهم، ومجاهرتهم بالتحريض عليه.

(١) مناقب آل أبي طالب: ١ / ٣٧٧، بحار الانوار: ٤١ / ١١٦.

(٢) مستدرك الحاكم: ٣ / ١٣٩، تاريخ بغداد: ٨ / ٣٣٦، ميزان الاعتدال: ١ / ٢٧١، ٥٨٤، سير

أعلام النبلاء: ٢ / ٤١٠، البداية والنهاية: ٧ / ٣٣٨.

ومن عدله :

أَنَّ جماعة من الصحابة امتنعوا من بيعته ، اعتراضاً منهم عليه ، فلم يكرههم على بيعته ، وتركهم أحراراً ، ولم يصنع بهم صنيع مَن جاء قبله ^(١).

ومن عدله :

أَنَّ جماعة من شخصيات الكوفة لم يحضروا الصلاة خلفه ، فلم يعاقبهم ولا أكرههم.

ومن عدله :

أَنَّهُ لَمَّا انتصر على أهل البصرة في وقعة الجمل ، وأَسْرَ قاداتهم الذين أَجَّجُوا نار

(١) فَمَنْ امتنع عن بيعته : عبدالله بن عمر بن الخطاب ، وعبدالله بن الزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وهؤلاء طالما سمعوا رسول الله ﷺ يقول : « عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ » ، « عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ » .

أَمَّا سعد بن أبي وقاص فقد روى حديث المنزلة وحديث الراية يوم خيبر ، وأحاديث أخرى احتجَّ بها أمام معاوية ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَبَايِعْ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَمَّا عبدالله بن عمر فقد روى كثيراً من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ، والحسين عليه السلام ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَبَايِعْ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ اجْتِمَاعِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى بَيْعَتِهِ ، وَبَايَعَ يَزِيدَ قَاتِلَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَيِّدَ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَقَدْ خَلَعَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، وَخَرَجُوا عَلَيْهِ فِي وَقْعَةِ الْحَرَّةِ ، بَلْ إِنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ كَانَ مِنَ الْمُدَافِعِينَ عَنْ يَزِيدَ لَمَّا خَلَعَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ : أَنَّ ابْنَ عُمَرَ جَمَعَ أَهْلَ بَيْتِهِ وَحَشَمَهُ وَمَوَالِيَهُ وَقَالَ لَهُمْ : لَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْكُمْ خَلَعَهُ إِلَّا كَانَتْ الْفِصْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فَكَانَتْ عَاقِبَتُهُ أَنَّهُ بَايَعَ رَجُلًا الْحِجَابُ يَوْمَ دَخَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ : أُمِدِّ يَدَكَ أَبَايَعُكَ ، فَقَالَ الْحِجَابُ : إِنَّ يَدِي لَمَشْغُولَةٌ ، هَاكِ رَجُلِي ، فَبَايَعَ رَجُلَهُ (بحار الانوار: ٣١ / ٢٥٥).

قال ابن حزم في (المحلى: ٤ / ٢١٣): « كان ابن عمر يصلي خلف الحجاج ونجدة، وكان أحدهما خارجياً والثاني أفسق البرية ».

الحرب، عفى عنهم، ولم يقتلهم ولا اقتص منهم لنفسه^(١) تحنناً منه وتكرماً. ومن عدله:

أنه لما دخل البصرة فاتحاً منتصراً، عفى عن أهلها وأطلقهم، كما أطلق رسول الله ﷺ أهل مكة عام الفتح^(٢).

وبهذا يكون الإمام ﷺ قد جسّد أرقى نماذج العفو والصفح والعدل الإسلامي الذي جاء به القرآن الكريم وسنة الرسول الأكرم ﷺ.

وكل هذه النماذج والمواقف لو تمكّن منها غيره لضربها عرض الجدار، انطلاقاً من الحقد وسوء الطبع، ودناءة النفس، كما صنع معاوية ويزيد وابن زياد والحجاج وغيرهم... حيث قتلوا الأخيار والأبرار والصالحين من آلاف المسلمين والمؤمنين، لمجرد أنهم لم يرضوا بدولتهم ولم يقرّوا بحكومتهم.

ومن عدله:

أنه ﷺ آثر الشهادة والقتل، على الملك الذي قاتل عليه غيره.

(١) وهم: عبدالله بن الزبير، ومروان بن الحكم، وعائشة، وغيرهم من الرؤساء والزعماء، فقد ورد في نهج البلاغة: الكلام: ٧٣: قالوا: أخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، فاستشفع الحسن والحسين ﷺ إلى أمير المؤمنين ﷺ، فكلّماه فيه، فخلا سبيله، فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين؟ فقال ﷺ: «أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته! إنها كفّ يهودية، لو يبايعني بكفه لعدّ بسبّته، أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر».

وهذه إحدى الإخبارات الغيبية التي أخبر بها أمير المؤمنين ﷺ، كما أخبر عن ملك بني العباس حينما وُلد لعبدالله بن العباس مولود، فزاره أمير المؤمنين ﷺ مهتّباً، فقال له: هنيئاً لك أبا الأملاك.

(٢) انظر تاريخ الطبري: ٣ / ٥٤٣ - ٥٤٤، الاختصاص: ٣٦٧.

الرابع

من أسباب إقامة الدين

[حمل الناس على الجهاد والدفاع]

والمرابطة^(١) في ثغور المسلمين ، لدفع العدو ، وحفظ بيضة الإسلام ، وتوفير الأمن في البلاد الإسلامية ، على دينهم وأرواحهم وأعراضهم وأموالهم . وهذا من أقوى أسباب إقامة الدين ، ونشر أحكامه ، وتمكين المسلمين من أداء وظائفهم الشرعية .

وقد ورد الحث على الجهاد والمرابطة في سبيل الله ، في الكتاب والسنة ، كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٢) .

وعن النبي ﷺ : « من رابط يوماً وليلة في سبيل الله تعالى ، كان كمن صام شهراً وصلى شهراً ، لا يفطر ولا ينفث عن صلاته إلا لحاجة ، ومن مات في سبيل

(١) المrabطة من الربط وهي : حراسة الثغور والحدود الإسلامية التي تلي بلاد الكفر وموضع المخافة منها .

(٢) سورة آل عمران : ٢٠٠ .

الله أجره الله حتى يحكم بين أهل الجنة والنار»^(١).
ولولا هذه المراقبة، وحفظ الثغور، لدهم الكفار بلاد المسلمين واستأصلوهم،
ولم تبق للإسلام دعامة.

(١) مستدرك الوسائل : ٢٧/١١.

الفصل الرابع

الإمامة في الدين الإسلامي

- ١ - الإمامة تالية النبوة
- ٢ - الإمامة من الخصائص الإلهية
- ٣ - الإمامة عهد الله تبارك وتعالى
- ٤ - الإمامة بعد رسول الله ﷺ
- ٥ - الإمامة والعصمة
- ٦ - الإمامة والنص

[الإمامة في الدين الإسلامي]

لقد أوليت مسألة الإمامة والخلافة بعد رسول الله ﷺ المكانة العليا، والمرتبة السامية، في الدين الإسلامي.

وليس ذلك إلا لأنّ أتعاب الرسالة وجهود النبوة، وشريعة السماء، وأحكام الله تعالى، كلّها يتوقف بقاؤها وحياتها على وجود الإمام العادل، والخليفة الصالح، والحاكم الخبير، والمدبّر البصير، بعد رحيل النبي ﷺ.

ولولا هذا الإمام المصلح لضاعت الشريعة بسبب الأهواء الضالة، وما يطرأ عليها بمرور الزمن؛

بل قد صرّح القرآن الكريم بأنّ كمال الدين والإسلام إنّما يكون بنصب الإمام العادل، وذلك في قوله تعالى يوم غدیر خم: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»^(١) ولازمه أنّ الدين والشريعة لن تكتمل بدون الإمام والخليفة.

ومما يدلّ على ذلك: أنّ الله تعالى قرنّها بأصليّ التوحيد والنبوة، فصارت تالي الرسالة، الذي لا ينفكّ عنها، قال تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»^(٢).

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

﴿أَوَّلًا﴾ الإمامة تالية النبوة

لقد إعتنى الله سبحانه وتعالى بالإمامة من أوّل يوم أعلن النبي ﷺ دعوته وبلغ رسالته ، كما اعتنى بالرسول والرسالة ، ليُعلم الناس بأنّ مكانة الإمامة في الدّين كمكانة النّبوة .

ولقد صرّح القرآن الكريم بذلك حينما أمر الله رسوله بدعوة الناس إليها، وذلك من خلال إنذاره بأُمور ثلاثة، هُنَّ أساس الدّين ، وعماد الإسلام والمسلمين وهي :

الأوّل: الإيمان بالله عزّ وجلّ، وهو: الشهادة بالتوحيد .

الثاني: الإيمان برسول الله ﷺ، وهو: الشهادة بالنّبوة .

الثالث: الإيمان بخليفة الرسول ﷺ، وهو: الشهادة بالإمامة .

وقد صدّع رسول الله ﷺ بهذه الثلاثة في آنٍ واحد ، عند نزول قوله تعالى :
﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١) .

ولم تُبين الآية الكريمة ما هي موارد الإنذار ، وما هو متعلّقه ؟ وبماذا ينذرهم ؟
حتّى بيّنه رسول الله ﷺ بنفسه .

فقد روى الطبري ، والحاكم الحسكاني ، وابن كثير ، وابن عساكر ، وغيرهم ، واللفظ للأوّل : عن ابن عباس ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ دعاني رسول الله ﷺ فقال لي : يا عليّ ، إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ، فضقت بذلك ذرعاً ، وعرفت أنّي متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصمتُ عليه ، حتّى جاءني جبرئيل فقال : يا محمد إنّك إنّ لم تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك .

فاصنع لنا صاعاً ، واجعل عليه رجل شاة ، واملأ لنا عساً من لبن ، ثم اجمع لي بني عبدالمطلب حتّى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به .

ففعلت ما أمرني به ثمّ دعوتهم له ، وهم يومئذ أربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً ، فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب . فلما اجتمعوا إليه ، دعاني بالطعام الذي صنعته لهم ، فجئت به ، فلما وضعتة تناول رسول الله ﷺ حذية من اللحم فشققها بأسنانه ، ثم ألقاها في نواحي الصفحة .

ثمّ قال : خذوا بسم الله . فأكل القوم حتّى ما لهم بشيء حاجة ، وما أرى إلّا موضع أيديهم .

وأيم الله الذي نفسي بيده إنّ كان الرجل منهم يأكل ما قدّمت لجميعهم . ثمّ قال : اسق القوم ، فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتّى ارتووا منه جميعاً ، وأيم الله إنّ كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بדרه أبو لهب إلى الكلام وقال :

لقد سحركم صاحبكم ، فتفرّق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ .

فقال: يا علي! إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلّمهم ، فعدّ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إلي .

قال : ففعلت ، ثم جمعتهم ، ثم دعاني بالطعام ، فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتّى ما لهم بشيء حاجة ، ثم قال اسقهم فجتّهم بذلك العس فشربوا حتّى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال : « يا بني عبدالمطلب إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة. إنّ الله لم يبعث نبياً إلّا وجعل له وصياً ووزيراً ووارثاً وأخاً وولياً^(١)، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأيتكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم .

قال : فأحجم القوم عنها وقلت - وأنا أحدثهم سنّاً أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي، ثم قال :

إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا^(٢).

فأعلن إمارة عليّ وخلافته في اليوم الذي أعلن نبوّته ورسالته ودعاهم إلى طاعة عليّ في الوقت الذي دعاهم إلى طاعة الله وتوحيده .

ولنا أن نتساءل فنقول: إنّ فعل رسول الله ﷺ هذا، وقوله في عليّ ﷺ لا يخلو: إمّا أن يكون تصرّفاً من عند نفسه ؟ وإمّا أن يكون بأمر من الله سبحانه وتعالى

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٥٠/٤٢، مناقب آل أبي طالب: ٣٠٦/١.

(٢) تاريخ الطبري: ٦٢/٢، شواهد التنزيل: ٤٨٦/١ وزاد «ووليّي»، تفسير ابن كثير:

٣٠٠/٣٦٣، السيرة النبوية: ٤٥٨/١، كنز العمال: ١٣٢/١٣ - ١٣٣، تاريخ مدينة دمشق:

في قوله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْ﴾.

وحيث أن الله تعالى قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾^(١) وأنه ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢).

علمنا أن هذا الموقف الذي وقفه النبي ﷺ مع عشيرته ودعوته إياهم إلى طاعة عليٍّ، وإعلانه إمامته وخلافته، كان بأمر من الله تعالى، في قوله عز وجل ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

وبهذا يتضح: أن الإمامة والخلافة داخلية في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وأن الله سبحانه أمر رسوله أن يصدع بإمامة عليٍّ وخلافته كما أمره أن يصدع بنبوته ورسالته، وكما أمره أن يصدع بكلمة التوحيد.

ولأن كل فعل وقول من رسول الله ﷺ في ذلك الموقف - بعد آية الانذار - يكون داخل في معنى الآية، ومشمولاً بالأمر بالانذار في الآية.

فيصير معنى الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ هكذا:

أنذر عشيرتك الأقربين:

١ - بتوحيد الله تعالى.

٢ - والنبوّة لك.

٣ - والإمامة لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام.

وهذا أعظم دليل على كون الإمامة من أصول الدين، وأنها والنبوّة توأمان ينبعان من عين واحدة، وينهلان من ندير واحد.

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) سورة النجم: ٣ - ٤.

﴿ثانياً﴾

الإمامة من الخصائص الإلهية

وبعد ذلك البيان يجب القول: أنَّ الإمامة من مختصات الله سبحانه وتعالى ،
ليس لأحد فيها حقَّ التعيين والاختيار إلاَّ الله عزَّ وجلَّ.

ويدلُّ على هذا - بالاضافة إلى ما سبق - شواهد كثيرة واضحة، منها:

١ - إنَّ الله أمر نبيِّه أن يعيِّن خليفته من بعده ، في أوَّل يوم أعلن فيه دعوته ،
ليُعلم الأُمَّة بأنَّ هذا المنصب ليس لأحدٍ حقُّ فيه .

٢ - إنَّ الإمامة من أهمِّ الواجبات الدينيَّة ، لأنَّ بها تُقام الواجبات والفرائض ،
فكما أنَّ الفرائض والواجبات لا تؤخذ إلاَّ من الله تعالى دون غيره ، فكذلك
الإمامة لا تؤخذ ولا تُعيَّن إلاَّ من الله تعالى، دون الشورى والإجماع، وهو معنى
النصّ .

إعلان الرسول ﷺ عن ذلك

٣ - وقد أعلن الرسول الكريم ﷺ عن وجوب النصّ من الله تبارك وتعالى
على الخليفة ، حينما أخبر الأُمَّة بأنَّ الخلافة من بعده موكولة إلى الله تعالى ، هو
الذي يعيِّن ويختار، وليس لأحد دخل في تعيين الإمام والخليفة ، حتَّى رسول

الله ﷺ - لنفس العلة المتقدمة وهي :

العصمة وطهارة القلب التي لا يطلع عليها إلا الله عز وجل.
وإليك بعض الشواهد التاريخية التي صرح فيها رسول الله ﷺ باختصاص
التعيين بالله عز وجل، دون غيره:

[١]

فقد روى الطبري ، وابن كثير ، وابن هشام :
« أن النبي ﷺ أتى بني عامر ابن صعصعة وكانوا قد قدموا إلى مكة للحج ،
فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه .
فقال رجل منهم يقال له بحيرة بن فراس :
والله لو إني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ، ثم قال للنبي ﷺ :
أرأيت إن نحن تابعنك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك ، أ يكون لنا الأمر
من بعدك ؟ فقال له النبي ﷺ :

« الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء »^(١) . فرفضوا الإسلام .

ولما عادوا إلى بلدهم ، كان لهم شيخ طاعن في السن لم يقدر على الحج معهم ،
وكان ذا بصيرة ورأي ، فحدثوه بما جرى بينهم وبين رسول الله ﷺ وقالوا : جاءنا
فتى من قريش من بني عبدالمطلب يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ،
ونخرج به إلى بلادنا .

(١) تاريخ الطبري : ٨٤/٢ ، البداية والنهاية : ١٧١/٣ ، السيرة النبوية : ١٥٨/٢ ، سيرة ابن

فوضع الشيخ يده على رأسه ووبّخهم على رفضهم لدعوته ، وقال :
يا بني عامر هل لها من تلاف ؟ هل لذنبها من مطلب ؟ والذي نفسي بيده ما
تقولها إسماعيليّ قطّ ، وإنّها لحقّ ، فأين رأيكم كان عنكم ؟
ونرى هنا أنّ رسول الله ﷺ صرّح بأنّ مسألة الإمامة والخلافة من بعده تعود
إلى الله سبحانه وتعالى ، وإنّها تحتاج إلى تعيين إلهي ، وأنّ الله تعالى هو الذي يعيّن
ال خليفة من بعده كما عيّن الرُّسل ، وليس لأحد حتّى رسول الله ﷺ دخل في
ذلك .»

[٢]

وروى ابن سعد ، والزيّعلي ، والمزّي :
« كتب رسول الله ﷺ إلى هوزة بن عليّ يدعوّه إلى الإسلام ، فكتب إليه هوزة :
ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ، اجعل لي بعض الأمر أتبعك ، فقال النبي ﷺ :
« لو سألتني سيابة من الأرض ما فعلت »^(١) ؛ أي : لو سألتني أن أوّليه على قطعة
صغيرة من الأرض ما فعلت .

حيث أبى رسول الله ﷺ أن يجيبه إلى ذلك لأنّه من مختصات الله سبحانه .
ولو كان ذلك بيد النبي ﷺ لوجب أن يجيبه إليه ، لكونه سبباً لهداية هوزة ابن
عليّ ، وإنقاذه من الشرك والكفر ، فإنّ رسول الله ﷺ إنّما بُعث لهداية الناس .
وفي هذا دلالة صريحة على أنّ تعيين الخليفة خاصّ بالله سبحانه ، ليس لرسول
الله ﷺ دخل فيه .

(١) الطبقات الكبرى : ٢٦٢/١ ، نصب الراية : ٥٦٧/٦ ، تهذيب الكمال : ١٩٨/١ .

[٣]

وروى ابن كثير في (البداية والنهاية) و (السيرة النبوية):

«أن رسول الله ﷺ أتى كندة ، فقال لهم : «ممن القوم؟»

قالوا: من أهل اليمن.

قال: «من أيّ اليمن؟»

قالوا: من كندة.

قال: «من أيّ كندة؟»

قالوا: من بني عمرو بن معاوية.

قال: «فهل لكم إلى خير؟»

قالوا: وما هو؟

قال: «تشهدون أن لا إله إلا الله ، وتقيمون الصلاة ، وتؤمنوا بما جاء من عند

الله».

فقالوا له: إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك؟

فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَلِكَ اللَّهُ يَجْعَلُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»^(١).

وقد عتوا من كلمة (الملك): الخلافة بعد رسول الله ﷺ.

فامتنع النبي ﷺ من توليتهم على الأمة من بعده ، مخبراً بأن ذلك من

مختصات الله تعالى.

ولو كان ذلك إليه لأجابهم إليها ، واستمالهم بها ، تقويةً للدين ، وإعزازاً

(١) البداية والنهاية: ٣/١٧٢، السيرة النبوية: ٢/١٥٩.

للمسلمين ، وهو أحوج إليهم في تلك الساعة التي كان يعرض نفسه على قبائل العرب لنصرته وحمايته ، وقد حاربتة قريش ، وأقدموا على قتله ، بعد أن فقد ناصرته أبا طالب عليه السلام ، كيف وقد طلب منهم مؤازرتهم له ، والإيمان برسالته ، وحينما اشترطوا ما اشترطوا ، أبا رسول الله ﷺ إلا ما قال : « إِنَّ الْمَلِكَ اللَّهُ يَجْعَلُهُ حَيْثُ يَشَاءُ » .

[٤]

وروى القرطبي في تفسيره ، والواحي النيسابوري ، وابن خلدون ، في تفسير قوله تعالى : « وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ » (١) .

عن ابن عباس قال : « نزلت هذه الآية والتي قبلها في عامر بن الطفيل ، وأريد بن ربيعة ، وذلك أنهما أقبلا يريدان رسول الله ﷺ ، فقال رجل من أصحابه : يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك .

فقال ﷺ : « دعه فإن يرد الله به خيراً يهده » .

فأقبل حتى قام عليه ، فقال : « يا محمد ما لي إن أسلمت ؟ قال ﷺ : « لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم .

قال : تجعل لي الأمر بعدك ؟

وفي لفظ ابن كثير في السيرة النبوية : أكون خليفتك من بعدك ؟

قال ﷺ : « لا ، ليس ذلك لي ، إنما ذلك إلى الله يجعله حيث يشاء » .

قال : فتجعلني على الوبر وأنت على المدر ؟ قال : لا .

قال: فماذا تجعل لي؟!

قال ﷺ: أجعلك على أعتة الخيل تغزو عليها».

قال: أوليس ذلك إليّ اليوم؟»

وكان أوصى أربد بن ربيعة إذا رأيته أكلّمه فدر من خلفه واضربه بالسيف .
فجعل يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه ، فدار أربد خلف النبي ﷺ ليضربه ،
فاخترط من سيفه شبراً ، ثم حبسه الله تعالى فلم يقدر على سلّه ، وجعل عامر
يومئ إليه .

فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربد وما يصنع بسيفه .

فقال ﷺ: «اللهم اكفنيه بما شئت» .

فأرسل الله تعالى على أربد صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقته ، وولى عامر
هارباً وقال: «يا محمد دعوت ربك فقتل أربد ، والله لأملأنها عليك خيلاً جرداً
وفتياناً مرداً» .

فقال رسول الله ﷺ: «يمنعك الله تعالى من ذلك، وابنا قيلة»^(١) .

وأنت ترى أنّ عامر بن الطفيل التمس من رسول الله ﷺ أن يوليّه ويستخلفه ،
فأبى ﷺ مصرّحاً بأنّ الخليفة لا يتعيّن إلّا من الله تعالى ، دون غيره حتّى النبي
نفسه لقوله ﷺ: «ليس ذلك لي» ويتأكّد ذلك حينما طلب منه عامر أن يستخلفه
على بعض المسلمين دون كلّهم لما قال: فتجعلني على الوبر؟ فقال ﷺ: «لا» .
هذه المواقف وغيرها تدلّ بوضوح على أنّ الإمامة والخلافة ليست من
مختصّات البشر ، ولا الأنبياء ، وإنّما هي من مختصّات الله سبحانه وحده ، لأنّها

(١) تفسير القرطبي: ٢٩٧/٩، أسباب النزول: ١٨٣، السيرة النبوية: ١٤٠/٣، و: ١١٢/٤ .

منزلة دينية ، وخلافة إلهية ، لا يحملها إلا من ارتضاه الله تعالى لها ، وليس ذلك إلا لكون مهام الإمامة كمهام النبوة ، في حفظ الرسالة ، وبيان الشريعة ، وهداية الخلق إلى الله تعالى .»

وبذلك خابت آمال الطامعين ، وتربّص المتربّصين ، وبطل سحر الساحرين ، حينما أعلن النبي ﷺ أن الخلافة من بعده بيد الله تعالى ، لا بيده ، ولا بيد الناس .

أَوَّلُ بَيْعَةٍ فِي الْإِسْلَامِ:

ومما يدل على أن الخلافة والإمامة أمرٌ تنصيصي وتعييني من الله تبارك وتعالى ، ولا خيار للناس فيها :

ما وقع في السنة الثانية عشر من البعثة حينما قدم إلى مكة اثنا عشر رجلاً من المدينة ، فاجتمع بهم رسول الله ﷺ بالعقبة ، فعرض عليهم الإسلام - بعد محاورات ليست كثيرة - فأجابوه وأسلموا ، وصدّقوه ، وعرفوا أنه النبي الذي توعدّهم به اليهود في المدينة (يثرب) حينما كانت تقع حروب بينهم وبين اليهود ، فكان اليهود يقولون لهم : «إن نبيّاً مبعوث الآن ، قد أطلّ زمانه ، نتّبعه فنقتلكم معه قتل عادٍ وثمود» .

فلما عرفوا رسول الله ﷺ ودعوته قال بعضهم لبعض :
والله إنّه النبي الذي توعدّكم به يهود فلا تسبقنكم إليه ، فأجابوه وأسلموا^(١) .
ولما آمنوا عقد رسول الله ﷺ البيعة ، فكانت أوّل بيعة في الإسلام ، وكان من أبرز المبايعين : أسعد بن زرارة ، وعبادة بن الصامت .

(١) البداية والنهاية : ١٨٢/٣ .

بنود البيعة

وقد وضع رسول الله ﷺ بنوداً عظيمة لتلك البيعة ، دلت على شدة حنكته وسياسته لما بعد ذلك اليوم ، واهتمامه بأمر الخلافة والإمامة .

فكان من أهم بنود البيعة هو: (أن لا يُنازعوا الخلافة أهلها).

ففي صحيح البخاري ، ومسلم ، والنسائي ، وموطأ مالك ، ومسنند أحمد ، عن عبادة بن الصامت ، قال:

«بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة واليسر والعسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله»^(١).

وفي خبر آخر: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»^(٢).

وقد عني ﷺ من كلمة (الأمر) الخلافة والإمامة ، ومن كلمة (أهله) أهل الأمر وولاته الذين عيّنهم الله سبحانه في كتابه الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣).

وقد أجمعوا على نزولها في عليّ بن أبي طالب عليه السلام - على ما سيأتي تفصيله - وغيرها من الآيات .

(١) صحيح البخاري: ١٢٢/٨، صحيح مسلم: ١٦/٦، سنن النسائي: ١٣٨/٧، مسند أحمد: ٣١٤/٥، الموطأ: ٤٤٥/٢.

(٢) صحيح البخاري: ٨٨/٨، صحيح مسلم: ١٧/٦.

(٣) سورة المائدة: ٥٥.

وكقوله ﷺ في عليٍّ عليه السلام يوم الدار: «هذا أخي ووصيي وخليفتي»
وقوله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاً».

إلى العشرات من الأحاديث المروية بطرق العامة التي نصّ فيها رسول الله ﷺ على خلافة عليٍّ عليه السلام وإمامته - وستأتي مفصلاً.
فإن النبي ﷺ وإن لم يسمّ هنا أهل الأمر، لكونه من غير قبيلة الأنصار، وعدم تحمّل المبايعين إذا هم علموا أنّ الخلافة ستكون في غيرهم، لأنهم أهل الجاهلية والفخر والكبر.

فكان من رفقته ﷺ بهم ورحمته أنّه لم يصرّح باسم أهل الأمر .
إلا أنّه سبق وأن سمّاهم في بدء الدعوة حينما نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١).

فجمع عشيرته وكانوا أربعين رجلاً ودعاهم إلى الله وقال: «أيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي ووزيرى».

فقام عليُّ بن أبي طالب عليه السلام وقال: «أنا يا رسول الله، ثلاثاً».

فأخذ النبي ﷺ برقبته وقال: «هذا أخي ووصيي وخليفتي ووزيرى».
فعيّنه أهلاً لذلك الأمر، أي الخلافة.

واستمرّ النبي ﷺ يعلن لأُمّته خلافة عليٍّ عليه السلام وولده الطاهرين حتّى يوم الغدير، فكان أعظم موقف وقفه رسول الله ﷺ أمام (١٢٠/٠٠٠)^(٢) إنسان أعلن فيه خلافة عليٍّ عليه السلام من بعده.

(١) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٢) صرّح بهذا سبط ابن الجوزى في تذكرة الخواص: ٣٧.

وهكذا ترى اهتمام السماء بأمر الخلافة والإمامة من أوّل يوم أخذ فيه رسول الله ﷺ البيعة من مسلمي يثرب ، حيث جعل للخلافة أهلاً ، وجعل أهلها في معزلٍ من آراءهم واختيارهم .

ولو لم تكن الخلافة خاضعة للنصّ والتعيين لما اشترط عليهم أن لا ينازعوا عليها أهلها، لإمكان أن يكونوا هم من أهلها .

ولنختم هذا الفصل بما رواه الثقة الجليل الصفار (ت ٢٩٠ هـ) في (بصائر الدرجات) بسنده عن عمر بن أبان قال : ذكر أبو عبد الله عليه السلام الأوصياء ، فذكرت اسماعيل - أي ابنه هل هو من الأوصياء - قال :

« لا والله يا أبا محمد ما ذاك إلينا ، وما هو إلّا إلى الله ينزل وحداً بعد واحد »^(١).

﴿ثالثاً﴾

الإمامة عهدُ الله تبارك وتعالى

وبعد ما تقرّر من كون الإمامة من مختصات الله سبحانه وتعالى، وأنّها من سنّته في أنبيائه، التي بها يستقيم نظام الشرائع، وتستمرّ رسالات الأنبياء، نستطيع القول: إنّ الإمامة (عهد الله) تعالى إلى من يرتضيهم لها. ومعنى كونها عهد الله:

إنّها نيابة خاصّة وخلافة مقدّسة عن الله تعالى وعن رسوله، فإنّ الإمام والخليفة هو ذلك الإنسان الطاهر الذي يمثّل الله ورسوله في المجتمع الإنساني، ويأتمنه الله على دينه وشريعته، بحفظ أحكامها، وإقامة سننها، وإحقاق حلالها وحرامها، ونشر الهدى والرشاد، وقمع الفجور والفساد، وحمل الأئمة على الطاعة، وزجرهم عن المعصية وإقامة الحدود.

وهذه المهمّة إنّما أوكلها الله تعالى - أولاً - إلى الأنبياء والرسل، إلّا أنّهم لمّا كانوا بشراً يموتون كما يموت الناس، وجب أن يكون هناك من ينوبهم في حمل تلك المهام المقدّسة، ويقوم مقامهم في التبليغ والأداء والدعوة إلى الله تعالى وأولئك هم الخلفاء الأبرار، والأئمة الأطهار، الذين حفظ الله بهم الدّين، وأكمل بهم شرائع المرسلين.

والدليل على كون الإمامة عهد الله تعالى، أمور:

الأول :

أنَّ مقام الإمامة كمقام النبوة من حيث الاقتداء والائتمام بها في أمور الدين والدنيا، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(١) أي مقتدى، ليقْتدوا به في سنته ويهتدوا بقوله وفعله^(٢).

قال الفخر الرازي (ت : ٦٠٦ هـ) :

«الإمام: إسم من يُؤْتَمَّ به، كالإزار لما يؤتزر به، أي: يَأْتَمُون بك في دينك»^(٣).

وكذلك الخليفة، فإنَّ الناس إنما تقتدي به في دينها ودنياها، وأحكامها وحلالها وحرامها، لأنَّه هو المبيِّن عن النَّبي ما يحتاج إليه الناس، ومعناه: أنَّ الخليفة هو من يقوم مقام النَّبي ويخلفه في أمور الشرع والدين، ولازمه: أنَّ الخلافة أيضاً عهد الله كما أنَّ النبوة كذلك، وبهذا اكتسبت الخلافة كلَّ ما للنبوة من وجوب الطاعة، والحجَّةية، وغيرهما، ولو لم تكن كالنبوة لم تكن كذلك.

الثاني :

قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾^(٤) وكان المؤذِّن في الحجِّ علي بن أبي طالب عليه السلام، حينما بعثه النَّبي ﷺ إلى مكة لتبليغ سورة براءة، فذهب وتلاها على الناس، فنسبت الآيةُ أذانه وتبليغه إلى الله وإلى

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) أنظر: تفسير الطبري: ١/٧٥٥، تفسير القرطبي: ١/٣٥٨ و: ٢/١٠٧، تفسير ابن كثير: ٤/٢٧٦.

(٣) التفسير الكبير: ٤/٣٩.

(٤) سورة التوبة: ٣.

رسوله، ممّا يدلّ على أنّ الخلافة هي نيابة عن الله والرسول في أمور الدّين والدنيا.

الثالث:

قول رسول الله ﷺ: « لا يُوَدِّي عَنِّي، ولا يَبْلُغ عَنِّي إِلَّا أنا أو رجل من أهل بيتي، أو علي بن أبي طالب »^(١).

فنسب تبليغ الخليفة إلى نفسه، ممّا يدلّ على أنّ الخلافة هي نيابة عن النبوة في تبليغ الأحكام، وتبيين الحلال والحرام، فهي كالنبوة في كونها عهد الله تعالى.

الرابع:

إجماع المذاهب على أنّ الإمام والخليفة مفروض الطاعة على الخلق، وفرض الطاعة لا يكون إلّا لمن ارتضاه الله سبحانه لحمل عهده وأداء فرائضه وهداية خلقه وحماية شريعته: نبياً كان أو وصياً.

الخامس:

قوله تعالى: « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ »^(٢).

فقرن طاعة الخليفة بطاعته وطاعة رسوله، ممّا يدلّ على أنّ الخلافة عهد الله تعالى، ولو لم تكن كذلك لما أوجب إطاعة أولي الأمر.

فهذه دلائل واضحة على أنّ الإمامة عهدُ الله تعالى، وسيأتي - إن شاء الله - بيان إنّ هذا العهد المقدّس لا يناله إلّا من ارتضاه الله سبحانه، وهو المعصوم.

(١) مسند أحمد: ٢١٢/٣، و: ١٦٤/٤، السنن الكبرى: ١٤٥/٥، ١٢٩، البداية والنهاية:

٢٣٢/٥.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

﴿رابعاً﴾

الإمامة بعد رسول الله ﷺ

الحاجة إلى الإمام

لقد نصّ القرآن الكريم على ضرورة هذا المقام السامي، أي:
الإمامة والخلافة بعد رسول الله ﷺ، في آيات كثيرة بيّنت الحاجة إلى الإمام،
منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(١).

فقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ نصّ على ضرورة وجود رجلٍ هادٍ للأمة، في كل
جيل وزمان من أزمنة الإسلام، إلى قيام الساعة^(٢) ومعناه:
عدم خلوّ الأرض والزمان من إمام حجّة الله على خلقه يهديهم إلى الله، ويبين
لهم أحكام الله، ويحمي شريعة الله عزّ وجلّ.

(١) سورة الرعد: ٧.

(٢) في مسند أحمد: ١/١٢٦، عن عليّ عليه السلام قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: ٧): رسول الله المنذر، والهادي رجلٌ من بني هاشم.
وسياّتي بروايات الفريقين إنّ الهادي هو أمير المؤمنين عليه السلام، قال ابن كثير في تفسيره:
٥٢٠/٢: قال الجنيد: هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فإنَّ المشرَّعَ للدين - وهو رسول الله ﷺ - لَمَّا كان بشراً يعتريه الموت كسائر الناس ، وجب أن ينصب لأُمته رجلاً طاهراً صالحاً يقوم مقامه في حفظ الشريعة ، والإئتمام به في أمور الدِّين والدُّنيا .

والسبب هو :

أنَّ الله تعالى قضى لهذا الدِّين الحنيف ، والشرع الشَّريف ، أن يبقى خالداً بعد رحيل النَّبي ﷺ ، حتَّى يُظهره على الدِّين كلِّه ولو كره الكافرون .

وبقاء هذا الدِّين وخلوده لا يكون إلا بوجود رجال أبرار صالحين ، يحملون مبادئ الرسالة ، ويلزمون الأُمَّة بتطبيقها ، ويهدون الناس إليها ، ويبينون حلالها وحرامها ، ويقيمون حدودها وأحكامها ، ويدفعون الشبهات عنها .

ومعنى هذا :

أنَّه لا بدَّ للرسالة - بعد غياب صاحبها - من حملة ومطبِّقين ، يحمون هذا الدِّين من التغيير والتبديل ، والتحريف والتأويل .

وهؤلاء هم الخلفاء الأبرار والأئمة الأطهار ، الذين لو خلى الزمان من واحد منهم ، لضاعت الشريعة ، ونسيت الأحكام ، واختلط الحلال بالحرام ، وماتت السنن ، وظهرت البدع ، بسبب تحريف المضلِّين ، وشذوذ العاصين ، وشبهات المبطلين ، كما حصل للشرائع السابقة .

وبهذه العلة تُفسَّر الأحاديث المتقدِّمة في عدم خلو الأرض من الحجَّة لله تبارك وتعالى .

برهان الشيخ الرئيس ابن سينا (ت : ٤٢٨ هـ)

وهناك كلمة رائعة للفيلسوف ابن سينا (رحمه الله تعالى) في أواخر (الإلهيات) من كتابه (الشفاء)، مشيراً إلى ضرورة النص في تنصيب الإمام والخليفة بعد رسول الله ﷺ، قال:

«إنّ هذا الشخص الذي هو النبي ﷺ ممّا لا يتكرّر وجود مثله في كلّ وقت، فإنّ المادّة التي تقبل كمال مثله يقع في قليل من الأمزجة، فيجب لا محالة أن يكون النبي ﷺ قد دبر لبقاء ما يسّنه ويشرّعه من أمور المصالح الإنسانية تدييراً عظيماً، والإستخلاف بالنصّ أصوب، فإنّ ذلك لا يؤدّي إلى التشعب والتشاغب والإختلاف».

وبهذا وردت الأخبار المتظافرة، والأحاديث المتكاثرة، التي نصّت على ضرورة وجود إمام معصوم في كلّ جيل وزمان من أزمنة الإسلام، ولكلّ قوم من أمة سيّد الأنام، إلى حلول يوم القيام، والتي منها ما رواه الخاص العام:

«إنّ الأرض لن تخلو من حجة لله، إمّا ظاهراً مشهوراً، أو باطناً مستوراً»^(١).
وسئل الإمام محمد الباقر عليه السلام: ما الحاجة إلى الإمام بعد رسول الله ﷺ؟ قال:
«لبقاء العالم على صلاحه وذلك أنّ الله عزّ وجلّ يرفع العذاب عن أهل الأرض

(١) روى هذا الحديث - وما في معناه -: الاسكافي في المعيار والموازنة: ٨٣، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ١٤٥/٢، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ١٨/١٤، و: ٢٥٣/٥، تهذيب الكمال: ٢٢١٢٤، تذكرة الحفاظ: ١٢/١، مناقب الخوارزمي: ٣٦٦، ينابيع المودة: ٨٩/١، تاريخ البعقوبي: ٢٠٦/٢، جواهر المطالب: ٣٠٣/١، وغيرها.

إذا كان فيها نبيّ أو إمام ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾^(١).

وقد ثبت بما روته الخاصّة والعامة - كما سيأتي مفصلاً - عن نبي الرحمة ﷺ بأحاديث متواترة ، وأسانيد متكاثرة ، لفظاً ومعنى : إنّ الحجّة التي لن تخلو منها الأرض هي : رجل من العترة الطاهرة أهل بيت النبي ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ويؤيّد حديث الأمان : «أهل بيتي أمانٌ لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»^(٢).

وحاصل الأخبار الصحيحة التي رواها الفريقان هو : وجوب بقاء رجل من العترة الهادية إلى انقضاء زمان التكليف : كحديث الثقلين ، وحديث الأمان ، وحديث الأئمة الاثني عشر ، وحديث وجوب معرفة إمام الزمان ، وغيرها... وسيأتي تفصيلها في الفصل السابع إن شاء الله تعالى .

(١) سورة الأنفال : ٣٣.

(٢) ستأتي مصادر هذا الحديث الشريف بالتفصيل في الجزء الثالث.

﴿خامساً﴾

الإمامة والعصمة

لا شك أن وجود الدولة والحكومة بيد الإمام الحاكم أمرٌ تقتضيه نوااميس الحياة ونظم المجتمع.

ولما كانت الدولة في الإسلام مقرونة بأحكام الدين والشريعة وأن الإمام الحاكم يتسلط على أمور الدين والشرع وجب أن يكون معصوماً من الذنب والخطأ حتى لا يكون سبباً لتغيير الأحكام وتبدلها بسبب خطأه أو جهله أو نسيانه. وهذا هو سبب اشتراط العصمة في الخليفة، فإن الخلافة لما كانت بهذه المرتبة الخطيرة في الإسلام وهي:

النيابة عن الرسول في تطبيق الدين والشريعة، وجب على الإمام أن يتحلّى بكل ما يتحلّى به الرسول، من الكمالات النفسية والدينية والخلقية، المانعة من ارتكاب الذنوب والقبائح، صوناً للدين وأحكامه من التغيير.

وهذه الكمالات هي المعبر عنها بـ: (العصمة) الناشئة من طهارة القلب، وسلامة النية والطاعة المحضة لله تعالى، في السر والعلن، والمداومة على فعل ما هو محبوب لله تعالى، وترك ما هو مبغوض لديه.

وقد أشار القرآن الكريم، إلى ضرورة العصمة في الإمام، في آيات منها:

[الأولى]

قوله تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١).

وفيها دلالتان على اشتراط العصمة في الإمام:

١ - قوله عز وجل ﴿إِمَامًا﴾ أي: قدوة للناس، يقتدون بك في أمور دينهم ودنياهم، ومن كان كذلك وجب أن يكون معصوماً، لأنه لو كان ممن يعصي لزمن الأمر بالاقتداء به الأمر بالمعصية وهو قبيح، بل لزم اجتماع الأمر والنهي: الأمر بطاعة الإمام العاصي، والنهي عن المعصية، وهو محال.

وإليه ذهب الفخر الرازي (ت: ٦٠٦ هـ)، قال:

قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يدل على أنه عليه السلام كان معصوماً من جميع الذنوب، لأن الإمام هو الذي يؤتم به ويقتدى به فلو صدرت المعصية منه، لوجب علينا الاقتداء به في ذلك، فيلزم أن يجب علينا فعل المعصية وذلك محال، لأنه كونه معصية عبارة عن كونه ممنوعاً من فعله، وكونه واجب عبارة عن كونه ممنوعاً من تركه، والجمع محال (٢).

وهذا الكلام بعينه يجري في خليفة النبي، فإن مقام الخلافة كمقام النبوة، لأن الخليفة إنما يُنصب ليقّدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم، بفعله وقوله، وأمره ونهيه، فيأتمون به في كل حالاته، فيصير الخليفة إماماً أي قدوة، وإذا صار قدوة وجب أن يكون معصوماً، وإلا لزم من الأمر بطاعته والاقتداء به ما لزم في

(١) سورة البقرة: ١٢٤.

(٢) التفسير الكبير: ٤٠/٤.

الاقتداء بالعاصي، فإن المعصية منهية عنها، والاقتداء بالخليفة مأمور به، فإذا لم يكن الخليفة معصوماً وصدرت منه المعصية لزم اجتماع الأمر بالاقتداء به والنهي عن فعل المعصية، وهو محال، فلا مناص من وجوب اشتراط العصمة في الخليفة الإمام.

وأيضاً إنَّما وجب أن يكون الخليفة معصوماً، لأنَّه إن كان فاسقاً بفعل الذنب والخطأ لزم أن يكون الفاسق إمام التقي، وهو محال، وإلى هذا أشار الإمام الصادق (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيًّا، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلًا، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَامًا، فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ الْأَشْيَاءَ قَالَ: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» قَالَ: فَمِنْ عِظَمِهَا فِي عَيْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: «وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ». قَالَ: لَا يَكُونُ السَّفِيهَ إِمَامَ التَّقِيِّ»^(١).

٢ - قوله تعالى: «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ».

والعهد هو: الإمامة المذكورة في قوله تعالى «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» و (الظالمين) هم: العاصون لله تعالى، سواء كانت المعصية بالذنب لقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ»^(٢) أو بالشرك لقوله تعالى: «إِنَّ الشُّرَكَاءَ لَظُلُمٌ عَظِيمٌ»^(٣).

ومعنى الآية: إنَّ من عصى الله، أو أشرك به، لا يكون إماماً للناس، فتكون

(١) أصول الكافي: ١/١٧٥، بحار الأنوار: ١٢/١٢، الاختصاص: ٢٢.

(٢) سورة النساء: ٦٤.

(٣) سورة لقمان: ١٣.

الآية نصاً في اشتراط العصمة في الإمام والخليفة .
 وأيضاً : إن الآية أطلقت مانعية الظلم بمجرد التلبس به وإن زال فيما بعد بالتوبة
 قال العلامة الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ):
 «إنّ الظالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه
 ظالماً ، فإذا نفى أن يناله فقد حكم عليه بأنّه لا ينالها ، والآية مطلقة غير مقيدة
 بوقت دون وقت ، فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلّها ، ينالها الظالم وإن
 تاب فيما بعد»^(١).

وبهذا المعنى وردت الأحاديث الكثيرة ، منها ما رواه هشام بن سالم عن الإمام
 جعفر الصادق عليه السلام قال:

«قد كان إبراهيم نبياً وليس بإمام، حتّى قال الله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قَالَ
 وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» مَنْ عَبْدَ صَنَمًا أَوْ وَثَنًا لَا يَكُونُ
 إِمَامًا»^(٢).

وفي حديث آخر رواه ابن المغازلي، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وآله :
 «إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ: لَا أُعْطِيكَ عَهْدًا لِلظَّالِمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ ، قَالَ: يَارَبِّ وَمَنْ
 الظالم من ولدي الذي لا ينال عهذك؟

قال: مَنْ سَجَدَ لِمَنْ دُونِي لَا أَجْعَلُهُ إِمَامًا أَبَدًا، وَلَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ
 إِمَامًا»^(٣).

(١) مجمع البيان: ٣٨٠/١.

(٢) الكافي: ١٧٥/١.

(٣) المناقب لابن المغازلي: ٢٧٦، ح ٣٢٢، أمالي الشيخ الطوسي: ٣٧٩.

إقرارُ الفخر الرازي (ت: ٦٠٦ هـ)

وبمثل هذا قال الفخر الرازي ، إلا أنه خصَّ المنع بالنبوة فقط ، قال :
 « مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ طَرَفَةَ عَيْنٍ فَإِنَّهُ لَا يَصْلَحُ لِلنَّبِوَةِ »^(١) .
 وقال أيضاً : « أَنَّ الرَّسُولَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَاسِقًا فَاعِلًا لِلذَّنْبِ وَالْمَعْصِيَةِ » .
 وقال أيضاً : « وَجِبَ أَنْ لَا تَحْصُلَ النَّبُوءَةُ لِأَحَدٍ مِنَ الْفَاسِقِينَ »^(٢) .
 وحيث أَنَّ الْعِلَّةَ بَعِينَهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْخَلِيفَةِ ، لِأَنَّهُ أَيْضًا إِمَامٌ وَقُدُوةٌ كَالنَّبِيِّ ،
 فَوَجِبَ أَنْ يُقَالَ : مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ طَرَفَةَ عَيْنٍ فَإِنَّهُ لَا يَصْلَحُ لِلْخِلَافَةِ .
 وَأَنَّ الْخَلِيفَةَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَاسِقًا فَاعِلًا لِلذَّنْبِ وَالْمَعْصِيَةِ . وَجِبَ أَنْ لَا
 تَحْصُلَ الْخِلَافَةُ لِأَحَدٍ مِنَ الْفَاسِقِينَ .

القرائن على إرادة القدوة والزَّعامة المطلقة

وقد اشتملت الآية على قرينة تدلُّ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْإِمَامَةِ الْقُدُوةَ وَلَيْسَ النَّبُوءَةُ
 وذلك قوله تعالى : « إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا » .
 فقد أجمع أهل التفسير على أَنَّ هَذَا الْجَعْلَ إِنَّمَا حَصَلَ بَعْدَ تَحَقُّقِ النَّبُوءَةِ ، فَيَتَعَيَّنُ
 أَنَّ تَكُونَ الْإِمَامَةُ الْمَجْعُولَةُ هِيَ : الْقُدُوةَ وَلَيْسَتْ النَّبُوءَةُ ، لِتَحَقُّقِ النَّبُوءَةِ قَبْلَهَا .
 ويؤيِّده سياق الآية : « وَإِذْ أُنْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ »^(٣) .
 فَإِنَّ الْإِبْتِلَاءَ إِنَّمَا كَانَ فِي حَالِ نُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْأَحَادِيثُ عَنْ أَهْلِ
 الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ .

(١) التفسير الكبير : ٤/٤٢ .

(٢) التفسير الكبير : ٤/٤٣ .

(٣) البقرة : ١٢٤ .

فلا يبقى معنى للإمامة إلا القدوة، وبما أن الخلافة هي أيضاً قدوة فوجب أن لا تنال ظالماً ولا عاصياً، فلا بد أن يكون الخليفة معصوماً.
وبه يظهر بطلان ما ذهب إليه الفخر الرازي من اختصاص العصمة بالنبوة دون الإمامة.

أقول: إنما خصّ الرازي العصمة في النبوة، لئلا يقع في الضلال هو وخلفاؤه.

[الثانية]

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(١).

وهذا نص صريح بأن الخليفة إنما يُنصب لأجل هداية الناس من الضلال، وإصلاحهم من الفساد، وما لم يكن الخليفة معصوماً لم يكن قابلاً للهداية والإصلاح، بل يصير مضلاً مفسداً فتنتفي الغاية من نصبه، فلا يصلح للإمامة والخلافة، فلا بد من عصمته.

وبهذا يُعرف: أن الله تعالى طهر مقام الخلافة والإمامة من أن ينالها قلب آثم بالشرك والمعصية ولو طرفة عين، وهذا أعظم دليل على كون الإمامة والخلافة منصباً إلهي، لا يستحقها إلا من ارتضاه الله تعالى لحملها، وهو المعصوم فقط.

[الثالثة]

قوله تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا﴾

فجعل تعالى المعصية والإثم مانعا من إطاعة العاصي، فإذا عصى الإمام كانت معصيته مانعة من إطاعته، فتتنافى مع إمامته، فلا بد من عصمته.

(١) سورة الرعد: ٧.

لا سلطان لإبليس على أولياء الله تعالى

ولما كانت المعصية والذنوب من وساوس الشيطان الرجيم ، فقد أخبر الله سبحانه في كتابه الكريم أن إبليس لاسطان له على أولياءه الصالحين وعباده المخلصين ، قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (٢).

ولا شك إن الخليفة بعد رسول الله ﷺ لابد وأن يكون من عباد الله الصالحين ، وأولياءه المخلصين ، الذين يرتضيهم سبحانه لحمل مهام الدين والشريعة ، لكي لا يكون لإبليس عليه سبيل قط ، وهذا دليل آخر على ثبوت عصمة الإمام .

حكم العقل بوجوب العصمة

ولا نحتاج في إثبات شرط العصمة إلى أكثر من حكم العقل بذلك . فإنه بعد أن ثبت وجوب الإمامة وعقدها ، ومقاصدها التي منها هداية الناس ، وإقامة حكم الله تعالى ، فإن العقل يحكم بوجوب كون الإمام معصوماً من الذنوب والخطأ ، وذلك لأُمور :

(١) سورة الحجر : ٣٩ - ٤٠ .

(٢) الحجر : ٤٢ .

أولها:

أنَّ الحاجة إلى الإمام هو: عدم عصمة الناس من الذنوب ، وشذوذهم عن الطاعة ، فيحتاجون إلى مَنْ يهديهم وهو الإمام.

فلو كان الإمام غير معصوم لاحتاج إلى مَنْ يهديه عند صدور الخطأ والذنب منه، فلا يصلح أن يكون إماماً ، لاحتياجه إلى من يصلحه ويهديه ، فيتسلسل ، وهو محال ، فلا بد من كونه معصوماً .

قال الشيخ الطوسي رحمته الله: « يجب أن يكون الإمام معصوماً من القبائح والإخلاق بالواجبات ، لأنّه لو لم يكن كذلك لكانت علّة الحاجة قائمة فيه إلى إمام آخر ، لأنّ الناس إنّما احتاجوا إلى إمام لكونهم غير معصومين ، ومحال أن تكون العلّة حاصلة والحاجة مرتفعة ، لأنّ ذلك نقض الغرض .

ولو احتاج إلى إمام لكان الكلام فيه كالكلام في الإمام الأوّل، وذلك يؤدّي إلى وجود أئمة لا نهاية لهم أو الانتهاء إلى إمام معصوم ليس من ورثته إمام، وهو المطلوب»^(١).

والحاصل: إنّ الأئمة أجمعت على أنّ علّة الحاجة إلى الإمام هو: وقوع الناس في الخطأ والمعاصي ، فلو كان الإمام غير معصوم لم ترتفع العلّة ، واحتاج هو إلى إمام معصوم .

ثانيها:

إنّ الله تعالى أمر الأئمة بإطاعة الإمام كما أمرها بإطاعة الرسول صلّى الله عليه وآله قال

تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١).

فلو كان الإمام غير معصوم من الخطأ لزم من الأمر بإطاعة اجتماع الأمر بالطاعة والمعصية معاً ، لأنَّ الأمر بإطاعة العاصي أمرٌ بالمعصية ، وهو محال على الله تعالى ، فلا بدَّ من كون الإمام معصوماً ، ليتوجَّه الأمر بالطاعته .

وإلى هذا ذهب الفخر الرازي في تفسيره حيث قال :

«إنَّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومَنْ أمر بإطاعته على سبيل الجزم والقطع لابدَّ أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ قد أمر الله بمتابعته ، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهياً عنه ، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد ، فثبت أنَّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم ، وثبت أنَّ كلَّ من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً من الخطأ»^(٢).

وبهذا تثبت عصمة أهل البيت عليهم السلام فيما رواه الفريقان من حديث الثقلين وحديث السفينة وغيرهما ، فإنَّ الأمر بالتمسك بهم - كما في حديث الثقلين - مطلقاً على سبيل الجزم دليل على عصمتهم من الخطأ، لأنَّهم لو لم يكونوا معصومين من الخطأ، كان بتقدير إقدامهم على الخطأ قد أمر رسول الله ﷺ الأمة بمتابعتهم في الخطأ، وهو محال ، لا يقوله مسلم .

(١) سورة النساء : ٥٩ .

(٢) التفسير الكبير : ١٠ / ١٤٤ .

ثالثها:

إنَّ الإمامَ إنَّما جُعِلَ ليكونَ هادياً للأَنامَ ، ومطهراً من الذنوب والآثام ، بالحدود والتعزير والتأديب والتخويف ، وهذا لا يتم إلا إذا كان معصوماً من الذنب والخطأ ، إذ لو لم يكن معصوماً كان بتقدير اقdamه على الخطأ ضالاً ، ومع كونه ضالاً يستحيل أن يكون هادياً لغيره ، يقول تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (١) .

رابعها:

إنَّ النَّبِيَّ ﷺ هو المشرع للأحكام والمؤسس للحلال والحرام ، وذلك بواسطة الوحي الإلهي .

والإمام : وإن كان لا يتمتع بهذه الميزة الخاصة بالأنبياء ﷺ ، إلا أنه يعتبر المبين لتلك الأحكام ، والحافظ لها من التغير والتبدل ، والمفسر لما لم يرد بيانه ولا شرحه ، وإثما ترك مهمة ذلك إلى الإمام من بعده ، لمصلحة في ذلك ، وهذا هو معنى : (ال خليفة) أي يخلفه في استمرار ما جاء به ذلك النبي .

وعليه : فلو لم نشترط العصمة في الإمام والخليفة ، لجاز عليه الخطأ في تبين الأحكام ، فيزيد في الشريعة وينقص منها ، ويدخل فيها ما ليس منها ، ويخرج منها ما هو فيها ؛ فتنتفي الغاية من النبوة ، وتذهب أتعاب النبي أدراج الرياح ، ولزم الخلل في العقيدة والشريعة ، وإماتة السنن ، وإحياء البدع ، وإعادة الجاهلية كما كانت عليه قبل بعث الرسل .

وقد حصل هذا بعينه ، حينما ولي الأمر غيرُ أهله ، ووقع في غير محلّه ، فتغيّرت الأصول والفروع (١).

وسياّتي -إن شاء تعالى- في الفصل الخامس النصوص القرآنيّة والنّبويّة على عصمة الأئمّة الاثني عشر من أهل بيت النبي ﷺ.

(١) أنظر: مسند أحمد: ٢٦٥/٤، صحيح مسلم: ١٩٣/١، سنن ابن ماجة: ١٨٨/١، سنن النسائي: ١٦٦١، تفسير القرطبي: ١٢٤/١، فتح الباري: ٢٠١/٨، مستدرك الصحيحين: ٣١٠/٢، تاريخ اليعقوبي: ١٤٠/٢، الطبقات الكبرى: ٢٨١/٣، سير أعلام النبلاء: ٧٠/١٠.

﴿سادساً﴾ الإمامة والنص

وبعد ما تقرّر من أنّ الإمامة والخلافة من الخصائص الإلهية ، وقول النبي ﷺ :
« ليس ذلك لي، إنّما ذلك إلى الله، يجعله حيث يشاء »
و « الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء ».

وأثّرها عهد الله تعالى؛ ولا ينالها إلّا من كان معصوماً طاهراً حتّى لا يصير سبباً
لنقصان الشريعة وزيادتها بخطأه ونسيانه وجهله ، وجب القول بتعيينه من الله عزّ
وجلّ، لقصور البشر عن معرفة المعصوم ، لأنّ العصمة من الأمور القلبية الخفية التي
لا يطلع عليها إلّا الله تعالى كما قال عزّ وجلّ: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ (١).
وقد صرّح القرآن الكريم فيما سبق من قوله تعالى مخاطباً نبيّه إبراهيم: ﴿إِنِّي
جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (٢).

حيث نسب جعل الإمامة إلى نفسه تعالى ، وهو صريح في أنّ الإمام لا يتعيّن
إلّا بجعلٍ من الله سبحانه وهو المسمّى بالنصّ.

(١) سورة الإسراء: ٢٥.

(٢) سورة البقرة: ١٢٤.

وبه حكم الفخر الرازي، إلا أنه خصّ الآية بالأنبياء، قال:

«إن إبراهيم عليه السلام إنما صار إماماً بسبب التنصيب من الله تعالى، فبين الله سبحانه أن منصب الإمامة والقدوة لا يكون إلا بالنص»^(١).

ولما كان الملاك بعينه موجود في الخلافة، وجب القول بالنص فيها أيضاً، لما تقدّم في تعريف الإمامة: إنها نيابة عن صاحب الرسالة في أمور الدين والدنيا. فيكون الإمام قدوة للأمة كالنبي فيجب فيه ما وجب في النبي من: العصمة والنص من الله تعالى الكاشف عن العصمة، فتخصيص الفخر الرازي للآية بالنبوة تحكّم، بل تعصّب.

ومن هنا: صارت مسألة الإمامة والخلافة - في نظر الإمامية - مسألة إلهية ربّانية محضة، ليس لأحد - حتى الأنبياء - أن يعيّن أو يختار إلا بتعيين من الله تعالى، وهو المصطلح عليه بـ (النص) الكاشف عن العصمة.

وإنّ أبلغ تعبير عن وجوب النصّ على الإمام: ما تقدّم عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام:

«... الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا

مثيل له ولا نظير... فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا...»^(٢).

والكلمة الرائعة للفيلسوف ابن سينا (ت: ٤٢٨) بأن شخص النبي صلى الله عليه وآله ممّا لا يتكرر مثله في البشر، فيجب عليه أن يستخلف من يراه أهلاً لحفظ شريعته وبقاء رسالته.

(١) التفسير الكبير: ٤/ ٣٩ - ٤٠.

(٢) الكافي: ١ / ٢٠٠.

وأدلة أخرى

مهما تقدّم من أدلة على ضرورة النصّ: فإنّ سيّر التشريع ، وسيرة النبي ﷺ تأبى إلّا وجوب النصّ .

فإذا كان الله عزّ وجلّ لم يُخل بأدنى الواجبات ، بل بأدنى الآداب والسنن : كآداب الأكل ، والتخلّي ، والنوم ، وغيرها حتى بينها ، ولم يتركها ، فكيف يترك مثل هذا الأمر الخطير إلى الناس ؟!

وكيف يكون الإمام خليفة الله ورسوله إذا كانت إمامته باختيار الناس أو الإجماع ، والله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) لم يستخلفاه ؟!

فلا بدّ من القول بالنصّ لصدق عليه اسم الخليفة .

وكيف يأمر الله بالوصيّة ، ويحرّض عليها النبي ﷺ ويهدّد تاركها بميئة الجاهلية ، ثمّ هو يترك الوصيّة بخليفته وهي أولى من كلّ شيء .

وكيف كان رسول الله ﷺ يعيّن أمراء السرايا والغزوات ويترك الأُمّة بلا أمير وخليفة .

وكيف إنّ الاختيار والشورى لم تتحقّق في الإسلام قط ، ولا وُجدت بيعة انعقدت بالإجماع كما أقرّ به كبار الجمهور منهم : الباقلاني في التمهيد .

ولو صحّ القول بالاختيار : فكيف أخبر النبي ﷺ بأنّ أمّته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ^(١) فهل هذا الافتراق نتيجة الاجتماع على من اختاره الله تعالى ؟ أم من اختارته الأُمّة ؟

ولو ثبت الاختيار ، فلماذا لا يوجد ولا حديث واحد يدلّ على الاختيار ، بينما

(١) المحلى: ١ / ٦٢ ، الكافي: ٨ / ٢٢٤ .

استندت الشيعة في القول بالنص إلى القرآن الكريم والسنة.

بل نص القرآن على عدم الاختيار: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(١) و﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

وقول النبي ﷺ لبني عامر: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء»^(٢).

وقوله ﷺ لعامر بن الطفيل لما طلب منه الخلافة: «ليس لي ذلك إنما ذلك إلى الله يجعله حيث يشاء»^(٣) كل هذه تدل بصرحة على ضرورة النص من الله على الإمام والخليفة، وأن الدين لا يستقيم إلا بالنص، وأن القول بالاختيار لا دليل عليه، وإنما الدليل على خلافه.

النصوص على ضرورة التعيين والنص من الله تعالى :

روى الثقة الجليل الصفار (ت ٢٩٠هـ) بسنده عن عمر بن أبان قال: ذكر أبو عبد الله ﷺ الأوصياء وذكرْتُ اسماعيل -أي ابنه- فقال:

«لا والله يا أبا محمد، ما ذاك إلينا، وما هو إلا إلى الله، يُنزل واحداً بعد

واحد»^(٤).

وروى الصفار بسنده، والصدوق بسنده، عن الإمام الصادق ﷺ قال:

«أترون الأمر إلينا؟ نضعه فيمن نشاء؟ كلا والله؟ إنه لعهد من رسول الله ﷺ

إلى علي بن أبي طالب، رجل فرجل، إلى أن ينتهي إلى صاحب هذا الامر»^(٥).

(١) سورة القصص: ٦٨.

(٢) السيرة الحلبية: ٢ / ١٥٤.

(٣) تفسير القرطبي: ٩ / ٢٩٧.

(٤) بصائر الدرجات: ٤٩١.

(٥) بصائر الدرجات: ٤٩١، كمال الدين: ٢٢٢.

إستدلال الإمام الحجّة (عجل الله تعالى فرجه) على ضرورة النصّ

قيل له (عجل الله تعالى فرجه): أخبرني عن العلة التي تمنع القوم من اختيار الإمام لأنفسهم؟

قال (عجل الله تعالى فرجه):

«هي العلة أبدأها لك ببرهان يقبله عقلك: أخبرني عن الرّسل الذين اصطفاهم الله وأنزل عليهم الكتاب وأيدهم بالوحي والعصمة إذ هم أهدى إلى الاختيار، منهم ٩ موسى ﷺ، هل يجوز مع وفور عقله وكمال علمه إذا هم بالاختيار أن يقع اختياره على المنافق وهو يظنّ أنّه مؤمن؟»

قيل: لا.

قال: «فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه إختار من أعيان قومه لميقات ربّه سبعين رجلاً، لم يشكّ في إيمانهم، فوقعت خيرته على المنافقين، إذ قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾^(١) إلى قوله تعالى: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(٢) فلما وجدنا إختيار من اصطفاه الله تعالى للنّبوة واقعاً على الأفسد دون الأصلح، علمنا أن لا إختيار إلّا لمن يعلم ما تخفي الصدور وما تكنّ الضمائر»^(٣).

فإذا كان هذا حال نبيّ الله موسى ﷺ في الاختيار، فكيف بسائر الناس.

(١) سورة الأعراف: ١٥٥.

(٢) سورة البقرة: ٥٥.

(٣) كمال الدّين وتمام النعمة: ٤٦٢.

وقد وردت النصوص القرآنية والنبوية على عصمة وإمامة أمير المؤمنين علي وأبنائه الأحد عشر عليهم السلام .
فلنشرع في بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

الفصلُ الخامسُ

النصوص القرآنيّة والنّبويّة
على عصمة الأئمة
الإثني عشر من أهل البيت عليهم السلام

وقد وردت
النصوص القرآنية والنبوية
على عصمة الأئمة الإثني عشر
من أهل البيت عليهم السلام وأن الله تعالى عصمهم
وطهرهم على حدّ عصمة رسول الله ﷺ وطهارته
حيث قرنهم بجدّهم رسول الله ﷺ في كتابه ، وأثنى
عليهم في جليل خطابه ، وأثنى عليهم
بجميل الكلام ، وخصّهم بشرف الصّلاة
والسّلام ، وإليك
بيان ذلك :

[أولاً]

النصوص القرآنية على عصمتهم

فقد شهدت لهم آيات الكتاب الكريم
بالعصمة المطلقة كعصمة رسول الله ﷺ ، وهي كثيرة جداً ،
فإنه مامن آية نزلت في فضلهم ومدحهم والثناء عليهم إلا
وفيها دلالة على عصمتهم وإمامتهم ، ولكننا اخترنا
الآيات التي نصّت وصرّحت بعصمتهم أو كان
المتبادر منها ذلك ، وأهمها :

- ١ - سورة الحمد المباركة ، فاتحة الكتاب
- ٢ - آية التطهير المباركة
- ٣ - آية المباهلة المباركة

أولاً

[سورة الحمد المباركة]

[فاتحة الكتاب]

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ *

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿

وهي أول سورة ذكرت أصول الدين الخمسة بتمامها ، فُسِّمَتْ بِأَمِّ الْكِتَابِ ،
وَأَمِّ الْقُرْآنِ ، لِأَنَّهَا جَمَعَتْ أَصُولَ الدِّينِ الْمُتَفَرِّقَةِ فِي الْكِتَابِ ، ثُمَّ خَتَمَتْهَا بِأَصْلِ
الْإِمَامَةِ ، الَّذِي عَبَّرَتْ عَنْهُ بِالْفَاظِ الْعَصْمَةِ ، وَقَرْنَتْهُ بِلَفْظِ الْهَدَايَةِ ﴿إِهْدِنَا﴾ مِمَّا يَدُلُّ
عَلَى أَنَّ أَصْلَ الْإِمَامَةِ بِهِ قِيَامُ جَمِيعِ الْأَصُولِ الْأَرْبَعَةِ .

وقد صاغ الله عزَّ وجلَّ هذه السُّورَةَ بدرجة من الإعجاز والإيجاز والفصاحة
والبلاغة ، فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْإِمَامَةِ وَالْعَصْمَةِ ، مَا أَبْهَرَتْ عُقُولَ الْبُلْغَاءِ ، وَأَعْجَزَتْ
الْأُسْنَ الْفُصَحَاءَ .

وَالسُّورَةُ الْمُبَارَكَةُ وَإِنْ كَانَتْ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْعَصْمَةِ وَالْإِمَامَةِ مَعًا ، إِلَّا أَنَّهَا لَمَّا

كانت أكثر ألفاظها حول العصمة ، أوردناها في هذا الباب ، وإليك بيانها تفصيلاً :

[أولاً] أصل التوحيد

قال تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فَإِنَّ لَفْظَ «اللَّهُ» و «الْحَمْدُ لِلَّهِ» وحده ، و «رَبِّ الْعَالَمِينَ» صريحة في وحدانية الله تعالى ، وأنه سبحانه لا إله سواه ، ولا رب سواه ، ولا مالك سواه ، وهو أصل التوحيد .

[ثانياً] أصل العدل

وهو قوله تعالى «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» فَإِنَّ مِنْ عدله سبحانه رحمته بخلقه في الدنيا والآخرة .

[ثالثاً] أصل المعاد

وهو قوله تعالى «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» وهو الجزاء يوم القيامة ، ليشيب المؤمنين المطيعين ، ويعاقب الكافرين العاصين .

[رابعاً] أصل النبوة

وهو قوله تعالى «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» فَإِنَّ عبادته لا تتحقق إلا بمعرفة النبي الذي يعلم الناس كيف يعبدونه تعالى ، وبدون النبي يستحيل على الناس عبادته ، بل ولا معرفته تعالى ، قال عز وجل «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» والكتاب هو : مجموع العبادات التي أنزلها الله تعالى على النبي الذي «يُعَلِّمُهُمُ» عبادته ، وهو أصل النبوة .

ثم :

إِنَّ السُّورَةَ خَتَمَتِ الْأَصُولَ الْأَرْبَعَةَ بِأَصْلِ الْإِمَامَةِ ، وقرنت الهداية بالإمامة دون باقي الأصول ، ليكون دليلاً على أَنَّ الهداية إلى تلك الأصول لا تتحقق إلا

بهذا الأصل الأخير وهو الإمامة، وأنها هي المُتَمِّمة لتلك الأصول الأربعة، وبدونها لا أثر لتلك الأصول، ممّا يدلّ بصراحة على أنّ كمال الدّين والإيمان هو الإقرار بإمامة الأئمة الطاهرين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأنّ التوحيد وباقي الأصول لا تكتمل إلّا بالإقرار بالإمام الذي يقيم تلك الأصول الأربعة، وهو معنى قوله تعالى ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهو يوم عقد إمامة عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يوم غدیر خمّ، وإليك بيانها :

[خامساً] أصل الإمامة

قال تعالى ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وبيانه :

[١]

إنّ وصف الله تعالى لهذه الطائفة بـ «الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» صريح في أنّهم مع الحقّ والحقّ معهم، لا يحدون عنه، ولا يحد عنهم، لأنّهم لو حادوا عن الحقّ لحظة لما وصفهم الله تعالى بالصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، فيكون هذا الوصف دالاً على عصمتهم لامحالة، ومن كان كذلك فقد وجب اتّباعه تحصيلاً للهداية، فثبتت إمامتهم بنبوت عصمتهم .

وممّا يؤيد، بل يدلّ على عصمة هذه الطائفة :

أ - طلب المؤمنين من الله تعالى أن يهديهم إلى طريق هؤلاء الموصوفين بالصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، فلو لم يكن هؤلاء معصومين لما صحّ طلب المؤمنين الاقتداء بهديهم، ولما قرّر الله سبحانه ذلك منهم، فإنّ الآية وردت مورد المدح لهؤلاء الدّاعين، بل حثّهم على الاقتداء بهذه الطائفة، فلا مناص من عصمتهم وطهارتهم .

ب - إِنَّ الآيَةَ حَكَتْ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ «إِهْدِنَا» مِمَّا يَدُلُّ أَنَّ اتِّبَاعَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ مُوجِبٌ لِلْهُدَى وَالنَّجَاةِ ، وَهَذَا لَا يَتِمُّ إِلَّا إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ مَعْصُومَةً مِنَ الذُّنُوبِ ، مُطَهَّرَةً مِنَ الْعُيُوبِ ، لِأَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَكُونُوا مَعْصُومِينَ لَمَا عَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ اتِّبَاعِهِمْ بِالْهُدَى «إِهْدِنَا» .

ج - إِنَّ الآيَةَ الْكَرِيمَةَ وَصَفَتِ الدِّينَ كُلَّهُ بِالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، قَالَ تَعَالَى «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ» فَلَمَّا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الطَّائِفَةَ بِالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ أُمَّةُ الدِّينِ ، وَخُلَفَاءُ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا مُحَالَةَ .

[٢]

إِنَّ وَصْفَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ «أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» مُشْعِرٌ بِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّمَا هُمْ طَائِفَةٌ خَصَّصَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَزَايَا حَمِيدَةٍ ، وَمَقَامَاتٍ فَرِيدَةٍ ، تَنَاسَبَ مَقَامُ الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إِذْ لَيْسَ هُنَاكَ نِعْمَةٌ وَلَا مَزِيَّةٌ وَلَا مَقَامٌ أَشْرَفُ بَعْدَ النَّبُوَّةِ مِنْ نِعْمَةٍ وَمَقَامِ الْإِمَامَةِ .

[٣]

إِنَّ الآيَةَ وَصَفَتِ هَذِهِ الطَّائِفَةَ بِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا مِنَ الضَّالِّينَ ، وَلَا زَمَ كَوْنُهُمْ كَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَرْتَكِبُوا ذُنُوبًا وَلَا مَعْصِيَةَ طَوِيلَةَ حَيَاتِهِمْ ، لِأَنَّ الذَّنْبَ وَالْمَعْصِيَةَ يُوجِبَانِ الضَّلَالَاتِ وَغَضَبَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَإِنَّ مَنْ ارْتَكَبَ ذَنْبًا صَارَ مَغْضُوبًا عَلَيْهِ وَضَالًّا حَالِ ارْتِكَابِهِ الذَّنْبِ ، وَحَيْثُ إِنَّ الآيَةَ الْكَرِيمَةَ وَصَفَتِ هَذِهِ الطَّائِفَةَ بِأَنَّهُمْ لَيْسَتْ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا مِنَ الضَّالِّينَ ، فَإِنَّهَا تَدُلُّ - لَا مُحَالَةَ - عَلَى أَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الذُّنُوبِ ، مُطَهَّرُونَ مِنَ الرَّجْسِ وَالْعُيُوبِ ، لَمْ يَرْتَكِبُوا حَتَّى صَغَائِرَ الْقَبَائِحِ ، وَلَيْسَ هَذَا إِلَّا لِأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الضَّلَالِ وَالْإِضْلَالِ ، وَهَذِهِ شَهَادَةُ

قرآنية بعصمتهم وطهارتهم .

وإذا ثبتت عصمتهم فقد ثبتت إمامتهم ، لوجوب إتباع المعصوم وإطاعته ، لأنّ في اتّباعه وإطاعته الهدى والنجاة ، فتكون الآية نصّا على إمامتهم .

[٤]

إنّ أمر الله تعالى الأئمة باتّباعهم والإقتداء بهم في قوله تعالى ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ دليل آخر على عصمتهم وإمامتهم أيضاً ، لأنّهم لو لم يكونوا أئمة معصومين لما أمر الله سبحانه باتّباعهم والإقتداء بهم ، فإنّ الله تعالى لا يأمر الخلق باتّباع غير الأنبياء والأئمة الأوصياء الذين عبّر عنهم بـ «أولى الأمر» .

وبهذا الأصل - الإمامة - تحققت الهداية التامة ، حيث جعل تعالى كمال الهداية باتّباع هؤلاء الأئمة ، الذين بهم ظهرت آثار التوحيد وباقي الاصول .

فمن هم أصحاب الصراط المستقيم الذين شهد الله لهم بالعصمة والاستقامة

ومن هم هؤلاء الأئمة الذين أمر الله الأئمة باتّباعهم ؟؟

وجعل صراطهم صراط الهدى والنجاة ؟؟

[إنهم آل محمد (صلى الله عليه وآله) وعترته الطاهرون]

الذين سلّم الله عليهم في محكم الكتاب ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ وأمر الأئمة بالصلاة عليهم في تشهد الصلوات الواجبات والمستحبات ، وليس هذا إلّا لأنّهم معصومون من الزلّل ، مفطومون من الخلل ، مطهرون من كلّ عيب ، منزّهون من كلّ ريب ، ويدلّ عليه :

[١]

لا يوجد في الأمة مَنْ تُدعى له العصمة إلا هؤلاء الأئمة الاثني عشر ، فإنك لا تجد مذهباً في الإسلام يقول بعصمة أحدٍ بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا مذهب الشيعة الإمامية الذين قالوا بعصمة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) ، أولهم أمير المؤمنين ثم الحسن ثم الحسين ثم التسعة من ولد الحسين (عليهم السلام) ، وهذا هو الموافق لمنطوق سورة الحمد الشريفة التي صرّحت بوجود طائفة من هذه الأمة لم يصدر منهم ما يوجب دخولهم في زمرة المغضوب عليهم ولا الضالين ، وهذا تعبير صريح عن عصمتهم وطهارتهم ، وليس هم إلا أهل البيت الأئمة الاثني عشر ، فثبتت إمامتهم على الأمة أجمعين .

ثم أوجبت السورة إتباعهم والافتداء بهم ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وهو صراط هؤلاء المعصومين الذين لم يرتكبوا ما يوجب دخولهم في زمرة المغضوب عليهم والضالين ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وهذا أيضاً تعبير آخر عن إمامتهم وولايتهم ، فثبتت إمامتهم .

[٢]

إن آية التطهير - الآتية مفصلاً - صرّحت بعصمة أهل البيت الذين أجمعت الأمة على نزول الآية فيهم ، وهذا دليل أنهم هم المعنيون بسورة الفاتحة التي صرّحت بعصمتهم كما تقدّم ، فثبتت إمامتهم .

[٣]

إن حديث الثقلين - الآتي مفصلاً - الذي استخلف العترة الطاهرة وهم الأئمة الاثنا عشر ، وأمر جميع الأمة باتّباعهم ، صرّح بعصمتهم من الخطأ والزّيغ ، فيدل

أنهم هم المعنيون بسورة الفاتحة ، فثبتت إمامتهم .

والحاصل :

إنَّ سورة الفاتحة قرنت الإمامة بأصول الدِّين الأربعة ، أفلا يكون هذا دليلاً على أنَّ الإمامة من أصول الدِّين ؟ كما أنَّ التَّوحيد والنُّبوة كذلك ؟؟؟ هذا ، ويؤيِّده الأحاديث الشَّريفة المروية من الفريقين :

(١)

روى العلامة الطُّبرسي (ت : ٥٤٨ هـ) بسنده ، قول النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في خطبته يوم الغدير ، بعد إعلان إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) :
« معاشر النَّاس أنا صراطُ اللَّهِ المستقيم الذي أُمِرْتُم بِاتِّبَاعِهِ ، ثُمَّ عَلَيَّ مِنْ بَعْدِي ، ثُمَّ وُلْدِي مِنْ صُلْبِهِ ، أُمَّةٌ يَهْدُونَ إِلَى الْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ » .
ثم قرأ سورة الحمد إلى آخرها ، ثم قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) :
« فِيَّ نَزَلَتْ ، وَفِيهِمْ نَزَلَتْ ، وَلَهُمْ عَمَّتْ ، وَإِيَّاهُمْ خَصَّتْ » (١) .

(٢)

أخرج الحاكم الحسكاني بسنده إلى أبي بريدة ، في قوله تعالى ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال : « صِرَاطُ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ » (٢) .

(٣)

وأخرج عن ابن عباس قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لعليٍّ (عَلَيْهِ السَّلَام) :

(١) الاحتجاج : ١ / ٧٨ ، أنظر تمام الخطبة الشريفة في الجزء الثاني .

(٢) شواهد التنزيل : ١ / ٧٤ .

« أنت الطريق الواضح ، وأنت الصراط المستقيم ، وأنت يعسوب المؤمنين »
(١)

(٤)

روى الشيخ الصدوق بسنده ، بعدة طرق عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام :
« الصراط المستقيم هو أمير المؤمنين علي عليه السلام » (٢) .

(٥)

و أخرج الشيخ الصدوق عن جملة من الأئمة (عليهم السلام) ما حاصله: إنَّ الصَّراط صراطان: صراط في الدُّنيا، و صراط في الآخرة، فأما الذي في الدُّنيا فهو أمير المؤمنين عليه السَّلام، فمن اهتدى إلى ولايته في الدُّنيا جاز على الصَّراط في الآخرة ، ومن لم يهتد إلى ولايته في الدُّنيا لم يجز على الصَّراط في الآخرة (٣)

(٦)

وأخرج الصدوق ، بسنده عن الإمامين الصادق والرَّضا عليهما السَّلام ، في تفسير قوله تعالى «وإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينَا لَعَلِّيَّ حَكِيمٌ» إنَّ المراد بالعليِّ الحَكِيم هو أمير المؤمنين علي (عليه السَّلام) في أُمِّ الْكِتَابِ «إِهْدِنَا الصَّراطَ الْمُسْتَقِيمَ» (٤) .

(٧)

وأخرج الشيخ المجلسي قول صعصعة بن صوحان لأَمير المؤمنين عليه السلام : والله

(١) شواهد التنزيل : ١ / ٧٦ .

(٢) معاني الاخبار : ١٣٢ .

(٣) معاني الاخبار : ٣٢ .

(٤) معاني الاخبار : ٣٢ .

يا أمير المؤمنين ما علمتك إلا بالله لعليم ، وإنك في كتاب الله لعليّ حكيم (١) .

(٨)

وأخرج الصفار بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال :
« أوحى الله تعالى إلى نبيّه » فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم » قال : إنك على ولاية عليّ ، وعليّ هو الصراط المستقيم (٢) .

(٩)

وأخرج الصدوق بسنده ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :
« يا عليّ ، أنت النّبأ العظيم ، وأنت الصراط المستقيم » (٣) .

(١٠)

أخرج ابن شهر آشوب ، عن الصادق عليه السلام ، عن أبيه ، عن جدّه ، عليهم السلام قال :

قال (الثاني) يوما لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنك لاتزال تقول لعليّ « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى » فقد ذكر الله هارون في القرآن ولم يذكر عليّا ، فقال (صلى الله عليه وآله) : ...أما سمعت الله يقول : « هذا صراط عليّ مستقيما » (٤)

(١) بحار الانوار : ٢٣ / ٢١١ .

(٢) بصائر الدرجات : ٩١ ، الكافي الشريف : ١ / ٤١٦ .

(٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) : ١ / ٩ .

(٤) المناقب : ٢ / ٣٠٢ .

(١١)

وأخرج ابن شهر آشوب عن زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام ، في تفسير قوله تعالى ﴿والله يدعوا إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ يعني به ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام ^(١) .

(١٢)

وأخرج عن جابر بن عبد الله الانصاري ، أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) هيئاً أصحابه عنده ، إذ قال وأشار بيده إلى عليّ : « هذا صراطٌ مستقيماً فاتبعوه » .

ومع كلّ هذه النصوص الصريحة كيف لا تكون الإمامة من أصول الدين ،
وحالها في الدين ما عرفت ؟؟؟

ثانياً

[آية التطهير المباركة]

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١).

أجمع المفسرون والمؤرخون من الفريقين على أنها نزلت في الخمسة الطيبة : رسول الله ، وعليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين عليهم السلام ^(٢) . ولم يخالف في ذلك أحد من الأئمة ، بل رواه جمع من الصحابة ، وأمّا الأزواج فلم يدّع أحد دخولهنّ في النزول ، وإنّما ادّعوا دخولهنّ في السياق - وهو القراءة - كما ستعرف تفصيله إن شاء الله تعالى .
فلنشرع في بيان نزول الآية الكريمة :

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) مسند أحمد: ١/٣٣١، ٤/١٠٧، ٦/٢٩٢، ٤/٣٠٤، صحيح مسلم: ٧/١٣٠، سنن الترمذي: ٥/٣٠، ٣٢٨، ٣٦١، المستدرک علی الصحیحین: ٢/٤١٦، ٣/١٤٧، ١٤٨، السنن الكبرى: ٢/١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، مجمع الزوائد: ٧/٩١، ٩/١١٩، ١٦٧، صحيح ابن حبان: ١٥/٤٣٣، المعجم الصغير: ١٣٥١، المعجم الأوسط: ٢/٢٢٩، المعجم الكبير: ٣/٥٤، تفسير ابن كثير: ٣/٤٩٢، ٤٩٣، الدر المنثور: ١٩٨٥، البداية والنهاية: ٧/٣٧٤.

(١)

رواة الصحابة الذين شهدوا نزول الآية وواقعة الكساء

[أم سلمة رضوان الله عليها]

حيث كان نزول الآية في بيتها، روى عنها جماعة منهم:

الإمام علي بن الحسين عليه السلام كما في (أمالى الشيخ الطوسي) وحكيم بن سعيد
كما في (تفسير الطبري وشواهد التنزيل والمناقب لابن المغازلي) وعبدالله بن
ربيعة مولى أم سلمة، وعبدالله بن وهب بن زمعة، وعطاء بن يسار، وأبو سعيد
الخدري، وأبو هريرة، وغيرهم.

هؤلاء كلهم رووا الحديث عن أم سلمة، فرحم الله أم المؤمنين وجزاها خيراً،
حيث اهتمت بنشر هذه الفضيلة الجليلة، إخلاصاً لله تعالى.

ففي مسند أحمد وشواهد التنزيل: عن أم سلمة:

أن النبي ﷺ كان في بيتها، فأنته فاطمة ببرمة فيها خزيرة، فدخلت بها عليه،
فقال لها: ادعي زوجك وابنيك، فجاء علي والحسن والحسين، فدخلوا عليه،
فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو على منامة له، على دكان تحته كساء له
خيبري.

قالت: وأنا أصلي في الحجرة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قالت: فأخذ فضل الكساء
فغشاهم به، ثم أخرج يده، ثم ألوى بها إلى السماء، ثم قال:

« أَللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً، أَللَّهُمَّ

هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال:

«إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ»^(١).

وروي أيضاً عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: اتيني بزواجك

وابنيك، فجاءت بهم، فالتقى عليهم كساءً فذكياً ثم وضع عليهم يده ثم قال:

«اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ آلَ مُحَمَّدٍ فَاجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ

إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ».

قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم، ف جذبته من يدي وقال:

«إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ»^(٢).

[عائشة بنت أبي بكر]

ففي صحيح مسلم: في باب فضائل أهل البيت ﷺ بسنده عن صفية بنت شيبة

قالت: قالت عائشة:

خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحل^(٣) من شعر أسود، فجاء الحسن

بن عليٍّ فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء

عليٌّ فأدخله، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيراً * وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى»^(٤).

(١) مسند أحمد: ٢٩٢/٦، شواهد التنزيل: ١٢٨/٢.

(٢) مسند أحمد: ٣٢٣/٦.

(٣) المرط: كساء من صوف، والمرحل: المنقوش عليه.

(٤) صحيح مسلم: ١٣٠/٧، ورواه الترمذي والحاكم النيسابوري وقال: هذا حديث صحيح

على شرط الشيخين.

وفي لفظ ابن كثير وغيره ، قالت عائشة : فدنوت منهم فقلت : يا رسول الله وأنا من أهل بيتك ؟ فقال ﷺ : « تنحّي فإنك على خير »^(١).

[زينب بنت جحش]^(٢)

وأما زينب : فقد روى الحاكم الحسكاني (ت: ق / ٥) ، عن علي بن أحمد ، قال :

أخبرنا أحمد بن عبيد ، قال : حدّثنا إسماعيل بن الفضل ، قال : حدّثنا يحيى بن يعلى ، قال : حدّثنا أبو بكر بن شيبة - من رجال البخاري والنسائي - قال : حدّثنا ابن أبي فديك ، عن موسى بن يعقوب ، قال : حدّثني ابن مليكة - من رجال الصحاح الست - عن إسماعيل بن عبدالله بن جعفر الطيّار ، عن أبيه قال :

لَمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَبْرِئِيلَ هَابِطاً مِنَ السَّمَاءِ ، قَالَ :

« مَنْ يَدْعُو لِي ؟ مَنْ يَدْعُو لِي ؟ »

فَقَالَتْ زَيْنَبُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَقَالَ : « أَدْعِي لِي عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَحَسَناً وَحُسَيْناً ».

فَجَعَلَ حَسَناً عَنْ يَمِينِهِ ، وَحُسَيْناً عَنْ شِمَالِهِ ، وَعَلِيّاً وَفَاطِمَةَ تَجَاهَهُ ، ثُمَّ غَشَّاهُمْ بِكَسَاءٍ خَيْرِي ، وَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ نَبِيّاً أَهْلاً ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي ».

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » . فَقَالَتْ زَيْنَبُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَدْخُلُ مَعَكُمْ ؟ فَقَالَ : « مَكَانِكَ فَإِنَّكَ عَلَى

(١) تفسير ابن كثير : ٤٩٤/٣ ، شواهد التنزيل ٦٢/٢ .

(٢) زوجة النبي ﷺ وابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، زوجها من زيد بن حارثة ثم طلقها ثم زوجها الله تعالى منه ﷺ .

خير إن شاء الله»^(١). وزينب هذه بنت أُميمة عمة النَّبِيِّ ﷺ.

[صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ]^(٢)

ففي مستدرك الصحيحين: روى بسنده عن جعفر بن أبي طالب، قال: لما نظر رسول الله ﷺ إلى الرحمة هابطة قال: «أدعوا لي، أدعوا لي». فقالت صفية: مَنْ يا رسول الله؟

قال: «أهل بيتي، علي وفاطمة والحسن والحسين».

فجاء بهم، فألقى عليهم النَّبِيُّ ﷺ كساءه، ثم رفع يديه، ثم قال:

«اللهم هؤلاء ألي فصل على محمد وعلى آل محمد».

وأَنزل الله عزَّ وجلَّ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» قال: هذا حديث صحيح الإسناد^(٣).

وظاهر رواية هذه الأزواج (أم سلمة وعائشة وزينب وصفية) أَنَّ الآية الكريمة نزلت في بيوتهن جميعاً، أي نزلت مكرراً.

ولسائل أن يسأل:

إذا كانت الآية نزلت في الخمسة الطيبة فقط، دون الأزواج، فلماذا نزلت في بيوت الأزواج؟؟؟

قلت: ليكون خروج الأزواج من الآية أكد وأدل، حيث نزلت الآية في بيوتهن ولم يدخلن فيها، فيستبين فضل الخمسة الطيبة الطاهرة.

(١) شواهد التنزيل: ٥٣/٢.

(٢) من صفايا معركة خيبر، أعتقها النَّبِيُّ ﷺ وتزوجها وجعل عتقها صداقها.

(٣) مستدرك الصحيحين: ١٤٨/٣.

[الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام]

فإنها روت نزول الآية المباركة ، وحدث واقعة الكساء في بيتها .
وذلك بصورة مفصلة معروفة عند الشيعة الإمامية ، بإسم (حديث الكساء)
يتبركون بذكره في محافلهم ، ويتوسلون به إلى الله تعالى في حوائجهم
وشدائدهم .

وقد رواه : الثقة الجليل الشيخ عبدالله البحراني في كتابه (عوالم العلوم) بسندٍ
صحيح متصل معتبر غاية الاعتبار ، عن ثلة جليلة من أكابر علماء الطائفة المحقة
إلى : الشيخ الكليني ، معنعناً عن جابر بن عبدالله الأنصاري ، عن الصديقة الكبرى
فاطمة الزهراء عليها السلام وإليك نصّه :

قال الشيخ عبدالله البحراني صاحب العوالم : رأيت بخط الشيخ الجليل السيّد
هاشم البحراني ، عن شيخه الجليل السيّد ماجد البحراني ، عن الشيخ الحسن بن
زين الدّين الشهيد الثاني ، عن شيخه المقدس الأردبيلي ، عن شيخه عليّ بن
عبدالعالي الكركي ، عن الشيخ عليّ بن هلال الجزائري ، عن الشيخ أحمد بن فهد
الحلي ، عن الشيخ عليّ بن الخازن الحائري ، عن الشيخ ضياء الدّين عليّ ابن
الشهيد الأول ، عن أبيه ، عن فخر المحققين ، عن شيخه ووالده العلامة الحلي ، عن
شيخه المحقق ، عن شيخه ابن نما الحلي ، عن شيخ محمد بن إدريس الحلي ، عن
ابن حمزة الطوسي صاحب (ثاقب المناقب) ، عن الشيخ الجليل محمد بن شهر
آشوب ، عن الطبرسي صاحب (الاحتجاج) ، عن شيخه الجليل الحسن بن محمد
بن الحسن الطوسي ، عن أبيه شيخ الطائفة الحقّة ، عن شيخه المفيد ، عن شيخه ابن

قولويه القمي ، عن شيخه الكليني ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه إبراهيم بن هاشم ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي ، عن قاسم بن يحيى الجلاء الكوفي ، عن أبي بصير ، عن أبان بن تغلب ، عن جابر بن يزيد الجعفي ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، رحمة الله عليهم أجمعين ، أنّه قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

(سمعت فاطمة الزهراء عليها سلام الله بنت رسول الله ﷺ أنّها قالت :

« دخل عليّ أبي رسول الله ﷺ في بعض الأيام .

فقال : السّلام عليك يا فاطمة .

فقلت : وعليك السّلام يا أبتاه .

فقال : إنّني لأجد في بدني ضعفاً .

فقلت له : اعيزك بالله يا أبتاه من الضّعف .

فقال : يا فاطمة إيتيني بالكساء اليماني وغطيني به .

فأتيته وغطيته به ، وصرت أنظر إليه ، فإذا وجهه يتلأأ كأنه البدر في ليلة تمامه

وكماله.....» الحديث .

وممن نقل الحديث الشريف :

العلامة الثّقة الجليل فخر الدّين الطّريحي في كتابه (المنتخب الكبير) والعلامة

الجليل الديلمي في كتابه (الغرر والدرر) والتستري في (إحقاق الحق) رضوان الله

عليهم أجمعين .

قال السيّد عبدالرسول الشريعتمداري : وعلى كلّ فصرّيح هذه الأخبار أنّ هذه

القضية وقعت في بيت فاطمة عليها السلام، فهي غير ما وقع في بيت أم سلمة ^(١).

[واثلة بن الأسقع] ^(٢)

روى أحمد بن حنبل بإسناده عن شداد قال:

دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا علياً عليه السلام فلما قاموا قال لي:

ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ؟

قلت: بلى.

قال: أتيت فاطمة أسألها عن علي. قالت: توجه إلى رسول الله ﷺ.

فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله ﷺ ومعه عليّ والحسن والحسين عليهم السلام أخذ كلّ منهما بيده حتى دخل، فأدنى علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه، ثم لفّ عليهم ثوبه أو قال: كساء، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق ^(٣).

وفيه يقول أبو عبد الله الدامغاني:

(١) نخبه البيان في تفضيل سيّدة النسوان: ١٨٧.

(٢) واثلة بن الأسقع بن عبد العزى، يظهر أنّه كان صغيراً عند حدوث هذه الواقعة، قال ابن عبد البر في الاستيعاب: ١٥٦٣/٤: أنّه أسلم والنبي ﷺ يتجهّز إلى تبوك ويقال: أنّه خدم النبي ﷺ ثلاث سنين وكان من أهل الصّفة، يقال أنّه نزل البصرة؛ ثمّ سكن الشام؛ ثمّ تحوّل إلى بيت المقدس ومات بها وهو ابن مائة سنة.

(٣) مسند أحمد: ١٠٧/٤.

إِنَّ يَوْمَ الظُّهُورِ يَوْمٌ عَظِيمٌ فَارَ بِالْفَضْلِ فِيهِ أَهْلُ الْكِسَاءِ
 قَالَ يَا رَبِّ إِنَّهُمْ أَهْلُ بَيْتِي فَاسْتَجِبْ مِنْهُمْ إِلَهِي دُعَائِي
 أَذْهَبِ الرِّجْسَ عَنْهُمْ وَعَنْ أَلِئِ بَنَاءٍ مِنْهُمْ وَعَنْ بَنِي الْأَبْنَاءِ
 رَحْمَةً اللَّهُ وَالسَّلَامَ عَلَيْكُمْ وَصَلَاةُ الْأَبْرَارِ وَالْأَتَقِيَاءِ^(١)

(٢)

تعدد نزول آية التطهير وواقعة الكساء

ممّا تقدّم يتضح تعدد نزول آية التطهير وواقعة الكساء مراراً كثيرة .
 فقد استظهر محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى) والسيّد ابن طاوس في
 (الطرائف)^(٢): أنّ الآية نزلت في بيت أم سلمة مكرراً ، ولذلك تعددت كيفية
 الرواية حتى عن أم سلمة نفسها ، ممّا يدلّ على تعدّد الواقعة في بيتها أيضاً ؛
 ففي بعضها أنّ النبي ﷺ كان في بيتها ، فأمرها باحضار أولئك الأربعة الطيبة .
 وفي بعضها أنّ فاطمة عليها السلام جاءت بطعام إلى النبي ﷺ في بيت أم سلمة فأمرها
 باحضار زوجها وولديها ؛

بل يظهر أنّ الآية نزلت في بيوت أزواجه الآخر أيضاً .
 ويشهد له : رواية أم سلمة تارة ، ورواية عائشة أخرى ، ورواية زينب ثالثة ،
 ورواية صفية رابعة ، ورواية فاطمة الزهراء عليها السلام ، وذلك في حديث الكساء الشهير
 المتقدم ، الذي يرويه جابر بن عبد الله الأنصاري ، عن فاطمة الزهراء عليها السلام ،

(١) الذريعة: ٢٥٦/١٢ .

(٢) أنظر الطرائف: ١٢٣ .

فإنها عليها السلام تصرّح بنزول الآية وحدث الواقعة في بيتها وليس في بيوت أزواجه ، ممّا يدلّ على تعدّد الواقعة كرّاراً .

بل يظهر من رواية واثلة بن الاسقع أنّ الواقعة تعدّدت في بيت فاطمة عليها السلام أيضاً ، فإنّه رواها عياناً غير رواية فاطمة عليها السلام المتقدمة ، فراجع .

وممّا يشهد لتعدّد واقعة الكساء ونزول الآية الشريفة : إختلاف أسماء الكساء : ففي بعضها أنّه كساء خيريّ ؛ وفي بعضها أنّه كساء فدكيّ ؛ وفي بعضها أنّه كساء يمانيّ ، كما في رواية مولانا فاطمة الزهراء عليها السلام .

وكذلك الإختلاف في كيفية حضور الأربعة الطيّبة عند رسول الله صلّى الله عليه وآله :

ففي بعضها أنّه صلّى الله عليه وآله هو الذي دعاهم ، وفي بعضها أمر نساءه أن تدعوهم ، وفي بعضها أنّهم جاءوا إليه واحداً بعد الآخر ، كما في حديث فاطمة عليها السلام ، وإختلاف النصوص في مكان إجتماعهم ، وكيفية إجتماعهم ، وفي كون الكساء خيريّ أو فدكيّ أو يمانيّ دليل على تعدّد الواقعة مرات كثيرة .

ولا بُدّ فيه ، إذ كانت القضية مهمة جداً ، زيادة في تطهيرهم ، وإظهاراً لمقامهم ، وقرب منزلتهم عند الله عزّ وجلّ .

شأنها شأن الآيات الأخر التي تكرر نزولها مرات عديدة .

وكذلك آية التطهير ، نزلت مرّات عديدة ، تأكيداً لشأنهم ومقامهم عند الله سبحانه وتعالى ، وزيادة في طهارتهم وعصمتهم .

(٣)

إختصاص الآية بالخمسة الطيبة أصحاب الكساء

لقد اتّضح جلياً ممّا تقدّم أنّ الآية نزلت في الخمسة أصحاب الكساء خاصة ، بل ورد التصريح بذلك في حديث أمّ سلمة وزينب وحتى عائشة كما سيأتي . حيث امتنع النبي ﷺ من دخول أزواجه معه تحت الكساء . بل في باقي الاحاديث لم يكن في البيت غير هؤلاء الخمسة ، ولم يدخل تحت الكساء غيرهم ، فدلّ ذلك على اختصاص الآية بهم فقط . وممّا يدلّ على حصر الآية بأصحاب الكساء :

ما رواه الهيثمي ، والطبري ، وابن كثير ، والحاكم الحسكاني ، وغيرهم :
 أنّ رسول الله ﷺ صرّح بنزولها في أصحاب الكساء خاصّة ، دون غيرهم .
 فعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ :
 « نزلت هذه الآية » إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً « في خمسة : فيّ وفي عليّ وفاطمة والحسن والحسين » (١) .
 وتصريح النبي ﷺ بنزول الآية في هؤلاء الخمسة الطاهرة دليل على خروج من عداهم ، وإلاّ لم يصحّ التخصيص .

وروا عن أبي سعيد الخدري قال : أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فعدهم في يده فقال : خمسة : رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة

(١) مجمع الزوائد : ١٦٧/٩ ، جامع البيان : ٨/٢٢ ، شواهد التنزيل : ٤٥/٢ ، تفسير ابن كثير :

٤٩٤/٣ ، الدر المنثور : ١٩٨/٥ .

والحسن والحسين^(١).

وهو كذلك ظاهر بل صريح في تخصيص الآية بالخمس أصحاب الكساء، وعدم شمولها لمن سواهم.

وروى الواحدي النيسابوري بسنده، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» نزلت في خمسة: في النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين^(٢).

(٤)

دلالة الآية على عصمتهم وطهارة طينتهم فطرةً وتكويناً

ولقد كان في تعبير الآية «لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ» دورٌ كبيرٌ في إثبات عصمة الخمسة الطيبة تكويناً، وطهارة طينتهم ذاتاً وفطرةً.
أولاً: معنى الرِّجْسَ:

أمّا في القرآن الكريم، فقد أطلق الرِّجْسَ على أمور:

- ١ - «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ»^(٣).
- ٢ - «إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْقَلُ أُوْ دَمَاسٍ مُّسْفُوحاً أَوْ لَحْمِ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ»^(٤).
- ٣ - «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ»^(٥) وهو الشرك بالله تعالى.

(١) مجمع الزوائد: ١٦٧/٩، المعجم الأوسط: ٢٢٩/٢، شواهد التنزيل ٤٠/٢.

(٢) أسباب النزول: ٢٣٩.

(٣) سورة المائدة: ٩٠.

(٤) سورة الأنعام: ١٤٥.

(٥) سورة الحج: ٣٠.

وأما في العرف:

فيطلق الرّجس على كلّ عملٍ مستقذر قبيح ، سواء كان إثماً أو فعلاً قبيحاً .
قال النووي (ت : ٦٧٦هـ) في تفسير الرّجس : قيل هو الإثم ، قال الأزهرى :
الرّجس إسْمٌ لكلّ مستقذر من عمل^(١) .

وأظهر ذلك : الذنوب والمعاصي ، بل حتى القبائح التي هي أعم من المعاصي .
كلّ هذه المعاني طهر الله أهل البيت عليهم السلام منها ، فيكون التطهير دالاً على عصمتهم
وطهارتهم من كلّ ذنب وقبيح .
ثانياً : صيغة «لِيُذْهِبَ» .

فإنّ لهذه الصيغة دوراً عظيماً في معنى العصمة ، حيث أنّها دلّت على أنّ الله
تعالى أذهب عنهم الرّجس قبل تعلّقه بهم ، بل منعه من التعلّق بهم والإقتراب منهم ،
وهو المسمّى (بالدفع) وهو الإزالة قبل الثبوت .

ثمّ أكّد ذلك بلام التأكيد «لِيُذْهِبَ» وصيغة المضارع «يُذْهِبُ» الدالة على
الاستمرار ، ممّا يدلّ على طهارتهم أبداً دائماً .

ولو قال تعالى : (يذهبكم عن الرّجس) للزم أن يكون فيهم اقتضاء الرّجس ،
ثمّ الله تعالى يذهب عنهم ، إلّا أنّ تعبير الآية صريح في عدم اقتراب الرّجس منهم ،
وابعاده ودفعه عنهم قبل تعلّقه بهم ممّا يدلّ على طهارة أصولهم وذواتهم من الأزل
وإلى الأبد ، وأنّهم في ذلك كرّسوا الله صلّى الله عليه وآله .

ويدلّ عليه :

دخول النّبي صلّى الله عليه وآله معهم في خطاب الآيّة ، فإنّ الله تعالى قرن نبيّه بأهل بيته في

(١) شرح مسلم للنوي : ١٥ / ١٩٦ .

الطهارة ، وأشركه معهم في الخطاب ، فما ثبت له ثبت لهم .
فتكون عصمة علي وفاطمة والحسن والحسين كعصمة رسول الله ﷺ ، وهذه
مرتبة لم ينالها أحدٌ غيرهم ، من النبيين فمن دونهم ، فصلّى الله عليهم ما كرّر
الجديدان ، وتعاقب الفرقدان .

ويدلّ عليه أيضاً :

روايات الفريقين في أنّ الله تعالى خلقهم أنواراً قبل أن يخلقهم بشراً .
ففي (الرياض النضرة) و(تاريخ مدينة دمشق) بسنده عن سلمان قال : سمعت
رسول الله ﷺ يقول :

« كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام
، فلما خلق الله آدم ﷺ قسم ذلك النور جزءين ، فجزء أنا وجزء علي »^(١) .

وفي مجمع الزوائد في حديث بريدة قال رسول الله ﷺ :
« إنّ علياً مني وأنا منه خلق من طينتي وخُلقت من طينة إبراهيم ، وأنا أفضل من
إبراهيم »^(٢) .

ورواه المعتزلي (ت: ٦٥٦هـ) في شرح نهج البلاغة قال : رواه أحمد في المسند
وفي كتاب فضائل علي ﷺ وذكره صاحب الفردوس وزاد فيه : « ثم انتقلنا حتى
صرنا في عبد المطلب فكان لي النبوة وعلي الوصية »^(٣) .

وفي الدرّ المنثور عن ابن عباس ، وكنز العمال عن علي ﷺ ، واللفظ للاول في

(١) الرياض النضرة : ١٦٤/٢ ، تاريخ مدينة دمشق : ٦٧/٤٢ .

(٢) مجمع الزوائد : ١٢٨/٩ .

(٣) شرح نهج البلاغة : ١٧١/٩ .

تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ (١).

سألت رسول الله ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ، فتاب عليه قال :
« سأل الله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي ، فتاب الله عليه » (٢).

فلو لم يكونوا طاهرين من الأزل ، مطهرين بالقول والعمل ، لما خلق الله أنوارهم قبل الخليقة ، ولما علم الله آدم أسمائهم ، ولما تاب عليه بشفاعتهم ، فصلّى الله عليهم ما تعاقبت الليالي والايام ، وتمادت السنين والاعوام .

[شهادة سيرتهم على عصمتهم]

وقد أثبت التاريخ أن أهل البيت ﷺ لم يقترفوا قبيحاً قطّ كرّسول الله ﷺ .
ولو كانوا يخطئون ، لما قرنهم الله بنبيّه ، ولما أشركهم معه في خطابه .
فهاهو التاريخ يشهد : أن عليّاً عليه السلام الذي أدرك الجاهلية لم يكفر بالله تعالى طرفة عين ، ولم يسجد لصنم ، ولا عبد وثناً ، فقد كرم الله وجهه بالوحدانية ، ونزّه قلبه من الشرك والوثنية ، فعبد الله صغيراً وكبيراً ، وهو القائل :
« صليت قبل الناس بسبع سنين » (٣) .

بل لم يعص الله تعالى طرفة عين ، ولا خالف رسول الله ﷺ قط .
كيف وقد كفّله رسول الله ﷺ صغيراً ، وربّاه في حجره غلاماً وكبيراً ، فنشأ

(١) سورة البقرة : ٣٧ .

(٢) الدر المنثور : ٦٠ / ١ ، كنز العمال : ٢٣٤ / ١ .

(٣) ميزان الاعتدال : ٣٦٨ / ٢ : تاريخ الطبري : ٥٦ / ٢ .

على تعاليم النبوة، وتأدّب بآداب الوحي والرسالة، فكان لرسول الله ﷺ كالولد البار، فكيف يشرك بالله وهو في حجر رسول الله ﷺ، يهتدي بهديه ويمتثل أمره ونهيه ويحذو مثاله، ويقتدي بقوله وأفعاله.

وكان هو ﷺ وخديجة سلام الله عليها، يتعبدان مع رسول الله ﷺ في غار حراء، ولم يكن على وجه الأرض أحد يعبد الله غيرهم، كما قال ﷺ: «ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام، غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة.

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ (١) فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال ﷺ: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك لوزير وإنك لعلی خير». وقد أبان للأمة قربته من رسول الله ﷺ وشدة ملازمته له، واقتدائه به، واختلاطه معه، قال ﷺ:

«ولقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقراة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويؤمّني جسده، ويؤمّني عُرْفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمّني» (٢).

(١) وهذه الكلمة الشريفة تدلّ على أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان مع النبي (صلّى الله عليه وآله) في الغار عند نزول الوحي عليه، فيكون هو أوّل من أسلم من هذه الأمة.

(٢) ورد في الأخبار: أن رسول الله ﷺ كان يمضغ اللحم والتمرّة حتّى تلين ثم يضعها في فم عليّ ﷺ وهو صغير، حتّى نشأ من ريق رسول الله ﷺ وعلى يده المباركة (أنظر: شرح ابن أبي الحديد: ٢٠٠/١٣).

وما وجد لي كذبة في قول ، ولا خَطلة في فعل ، ولقد قرن الله به ﷺ من لدُن كان فطيماً أعظم مَلَكٍ من ملائكته يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره ، ولقد كنتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الفصيل إثر أُمِّه ، يرفع لي في كلِّ يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالإقتداء به»^(١).

ومن دلائل طاعته لله تعالى ورسوله ﷺ: ما رواه أحمد بن حنبل (ت : ٢٤١ هـ) ومسلم (ت : ٢٦١ هـ) ، والنسائي (ت : ٣٠٣ هـ) :

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لما أعطى الراية لعلِّي ﷺ يوم خيبر قال له : « اذهب ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك... ». فمشى عليّ ، ثم وقف ولم يلتفت - طاعة لرسول الله ﷺ - وصرخ : « على ماذا أقاتلهم ؟ »

قال ﷺ : « قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله »^(٢). فانظر إلى شدة طاعته لله تعالى ورسوله الكريم ﷺ حينما قال له : لا تلتفت ، فوقف وصرخ ولم يلتفت .

وهاك شاهداً آخر ، رواه ابن أبي الحديد المعتزلي (ت : ٦٥٦ هـ) ، وغيره ، عن الفضل بن العباس بن عبدالمطلب ، قال :

« سألت أبي عن ولد رسول الله ﷺ الذكور ، أيهم كان رسول الله ﷺ أشدَّ حباً له ؟ » فقال : « عليّ بن أبي طالب ﷺ » ، فقلت له : « سألتك عن بنيه » .

فقال : « إِنَّ عَلِيّاً كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَنِيهِ جَمِيعاً وَأَرْأَفَ ، مَا رَأَيْتُ مِنْهُ زَايِلَهُ يَوْمًا مِنْ الدَّهْرِ مِنْذُ كَانَ طِفْلاً ، وَمَا رَأَيْتُ أَبَا أَرْبَابٍ مِنْهُ لِعَلِّي ، وَلَا إِنَاءً أَطْوَعَ »

(١) نهج البلاغة : الخطبة : ١٩٢ (القاصعة) .

(٢) مسند أحمد : ٣٨٤/٢ ، صحيح مسلم : ١٢١/٧ ، سنن النسائي : ١١١/٥ .

لأب من عليٍّ له»^(١).

وروى ابن عساكر بسنده عن عائشة قالت «ما خلق الله خلقاً كان أحبَّ إلى رسول الله من عليٍّ»^(٢)

ومع كلِّ هذا: كيف يمكن لعليٍّ عليه السلام أن يشرك بالله ، وقد رباه سيّد المرسلين ، وأفضل المخلوقين ، وخاتم النبيين ، ومن هو على خلقٍ عظيم .
إنَّ مَنْ كان كذلك في التربية والنشأة ، لجدير بأن يتولّى الإمامة والخلافة والزعامة ، لأنّه من رسول الله ﷺ نسباً ، وأصلاً وحسباً .

ولأنَّ كان بعض الصحابة قد تقدّسوا بصحبته لرسول الله ﷺ أيّاماً ، فأولى بعليٍّ عليه السلام أن يكون إمامهم وسيّدهم حيث تربّى في حجر رسول الله ﷺ صغيراً ، ولازمه كبيراً ، ولم يفارقه في ليله ونهاره ، وحلّه وترحاله ، وسليمه وحروبه .
وكان رسول الله ﷺ يُطلع عليّاً عليه السلام على علومه وأسراره ، وما يحدث له في ليله ونهاره ، حتّى بُعث ﷺ فكان موضع علمه وعيبة فهمه وباب مدينته ومستودع حكمته ، حتّى :

« كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي ليلاً لم يُصبح حتّى يُخبر به عليّاً ، وإذا نزل عليه الوحي نهاراً لم يمس حتّى يُخبر به عليّاً »^(٣) .
وحتّى شهد له رسول الله ﷺ فيما رواه الفريقان :

(١) شرح نهج البلاغة : ١٣/٢٠٠ ، بحار الأنوار : ٣٨/٣٢٣ .

(٢) تاريخ دمشق : ٤٥ / ١٩٧ .

(٣) الصراط المستقيم : ١/٢١٧ ، روضة الواعظين : ١١١ .

«أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها»^(١).

وقال ﷺ: «أنا دار الحكمة وعلي بابها»^(٢).

قال المناوي (ت: ١٠٣١) أي: علي بن أبي طالب هو الباب الذي يدخل منه إلى الحكمة، فناهيك بهذه المرتبة ما أسناها، وهذه المنقبة ما أعلاها، ومن زعم أن المراد بقوله: «علي بابها» أنه مرتفع من العلو وهو الارتفاع، فقد تنحل لغرضه الفاسد بما لا يجزيه، ولا يسمنه ولا يغنيه^(٣).

وروى أحمد بن حنبل، عن عبيد الله الحضرمي، عن أبيه قال: قال لي علي عليه السلام:

(١) رواه الحاكم النيسابوري في المستدرک بعدة أسانيد: ١٢٦/٣ وقال: هذا حديث صحيح الاسناد، وأبو الصلت ثقة مأمون صدوق، المعجم الكبير: ٥٥/١١، مجمع الزوائد: ١١٤/٩، الجامع الصغير: ١ / ٤١٥، كنز العمال: ١٣/١٤٨، فيض القدير: ٤٩/١، و: ٦٠/٣. قال المناوي (ت: ١٠٣١ هـ): إن المصطفى ﷺ المدينة الجامعة لمعاني الديانات كلها، ولا بد للمدينة من باب، فأخبر أن بابها هو علي كرم الله وجهه فمن أخذ طريقه دخل المدينة، ومن أخطأه أخطأ طريق الهدى، وقد شهد له بالأعلمية الموافق والمخالف والمعادي والمخالف، وخرج الكلاباذي أن رجلاً سأل معاوية عن مسألة فقال: سل علياً هو أعلم مني، فقال: أريد جوابك، قال: ويحك كرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يغره بالعلم غراً، وقد كان أكابر الصحب يعترفون له بذلك؛ وكان عمر يسأله عما أشكل عليه؛ جاءه رجل فسأله فقال: ها هنا علي فأسأله؛ فقال: أريد أسمع منك يا أمير المؤمنين، قال: فلا أقام الله رجلك، ومحي اسمه من الديوان.

وصح عنه أنه كان يتعوذ من قوم ليس هو - يعني علياً - فيهم حتى أمسكه عنده ولم يولّه شيئاً من البعوث لمشاورته في المشكل.

(٢) الجامع الصغير: ١ / ٤١٥، كنز العمال: ١١ / ٦٠٠، تاريخ مدينة دمشق: ٣٧٨/٤٢، مسند

أبي يعلى: ٥٨/٢، فيض القدير: ٦٠/٣.

(٣) فيض القدير: ٦٠/٣.

«كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة لم تكن لأحد من الخلائق ، إني كنت آتيه كلَّ سَحَر ، فأُسَلِّم عليه حتَّى يتنحج»^(١).

وروى عن عبد الله بن نجبي ، قال : قال عليُّ ﷺ : «كان لي من رسول الله ﷺ مدخلان بالليل والنهار ، وكنت إذا دخلت عليه وهو يصلي تنحج لي»^(٢).

وروى الهيثمي عن قيس بن أبي حازم ، قال : قلنا لعليٍّ ﷺ : حدِّثنا عن نفسك . قال : «مهلاً نهى الله عن التزكية» فقال له رجل : فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»^(٣) قال : «فإني أحدث بنعمة ربِّي : كنت إذا سألتُ أعطيت ، وإذا سكَّتُ ابتُديتُ»^(٤).

ومَن كانت هذه حاله مع رسول الله ﷺ كان أولى بالإمامة ممَّن مكث في الشرك دهوراً ، وسجد للأصنام عصوراً ، كيف ! وعليَّ مَن قد عرف الأولون والآخرون علمه ، وسابقته ، وتقواه ، وإيمانه ، وجهاده ، وشجاعته ، وكرمه ، وسبقه إلى كلِّ مكرمة ، وهو القائل :

«أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب، صليت قبل الناس بسبع سنين ، قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة»^(٥).

فهل تجد لأحد بعد هذا فضلاً ، وشرفاً ونُبلاً ، ومقاماً ومحلًّا ؟

(١) مسند أحمد : ٨٥/١ ، سنن النسائي : ١٢/٣ ، صحيح ابن خزيمة : ٥٤/٢ .

(٢) مسند أحمد : ٨٠/١ ، سنن ابن ماجه : ١٢٢٢/٢ ، السنن الكبرى : ١٤١/٥ .

(٣) سورة الضحى : ١١ .

(٤) مجمع الزوائد : ١٥٨/٩ ، السنن الكبرى للنسائي : ١٤٢/٥ ، الدر المنثور : ٣٦٣/٦ .

(٥) المستدرک على الصحيحين : ١١٢/٣ ، السنن الكبرى للنسائي : ١٠٦/٥ ، تاريخ مدينة

دمشق : ٣٨/٤٢ ، تاريخ الطبري : ٥٦/٢ .

(٥)

عموم الآية للأئمة الإثني عشر عليهم السلام

وظاهر الأخبار أنَّ معنى الآية عام للأئمة الإثني عشر، وإن كان مورد نزولها في الخمسة الطيبة، كما هو الحال في حديث الثقلين.

فعنوان (أهل البيت) يعمُّ الأئمة الإثني عشر عليهم السلام جميعاً.

[١]

ففي كفاية الأثر: بإسناده عن الحسين بن عليّ عن أبيه عليه السلام قال:

«دخلت على رسول الله ﷺ في بيت أم سلمة وقد نزلت عليه الآية الكريمة
 ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.
 فقال: يا عليّ هذه الآية نزلت فيك وفي سبطي والأئمة من ولدك»^(١).

[٢]

وروى الكليني (ت: ٣٢٩ هـ) في الكافي الشريف، بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. يعني الأئمة وولايتهم، من دخل فيها دخل في بيت النبي ﷺ^(٢).

[٣]

وفي تفسير الطبري: قال الإمام زين العابدين للرجل الشامي حينما دخل إلى الشام: «أما قرأت في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

(١) كفاية الأثر: ١٥٦.

(٢) الكافي الشريف: ٤٢٣/١.

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»؟

قال الشامي: ولأنتم هم، قال: «نعم»^(١).

[٤]

وفي زيارة الجامعة الكبيرة، عن الإمام الهادي عليه السلام:

«عصمكم الله من الزلل، وأمنكم من الفتن، وطهركم من الدنس
وأذهب عنكم الرجس، وطهركم تطهيراً»^(٢).

(٦)

عدم دخول الأزواج في الآية الكريمة

وعنوان «أهل البيت» وإن كان يعم الأزواج لغةً وعرفاً، قال تعالى: «رَحِمْتُ
اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ»^(٣) وهم إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة.
«فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ» أي زوجته «آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ
نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ»^(٤) أي لزوجته.

لأن معنى الأهل هو: كل من سكن مع الإنسان واستأنس به في البيت، قال
تعالى حكاية عن أخت موسى عليه السلام لما التقطه آل فرعون وامتنع من الرضاع
«فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ» والمقصود من أهل بيت: أم موسى عليه السلام.

(١) جامع البيان: ١٢/٢٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٦١١/٢.

(٣) سورة هود: ٧٣.

(٤) سورة القصص: ٢٩.

إِلَّا أَنَّ الْآيَةَ اشْتَمَلَتْ عَلَى قُرَّائِنٍ صَرِيحَةٍ فِي خُرُوجِ الْأَزْوَاجِ مِنْهَا ،
وَإِخْتِصَاصِهَا بِأَصْحَابِ الْكِسَاءِ الْخَمْسَةِ الطَّيِّبَةِ الطَّاهِرَةِ :

[الأولى]

قَرِينَةُ الضَّمِيرِ فِي الْآيَةِ نَفْسُهَا ، فَإِنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿عَنْكُمْ﴾
و﴿يُطَهَّرُكُمْ﴾ وَرَدَ مُذَكَّرًا ، وَالضَّمِيرُ إِنَّمَا يَتَّبِعُ الْأَكْثَرَ فِي التَّذْكِيرِ وَالتَّنْأِيثِ ، فَإِنْ كَانَ
أَكْثَرُ الْمَخَاطِبِينَ ذَكَورًا وَجِبَ تَذْكِيرُ الضَّمِيرِ ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ إُنْثَاءً وَجِبَ تَأْنِيثُهُ .
وَلَا يَجُوزُ تَذْكِيرُهُ مَعَ غَلْبَةِ الْإِنْثَاءِ ، وَلَا يَجُوزُ تَأْنِيثُهُ مَعَ غَلْبَةِ الذَّكَورِ ، بَلْ يَجِبُ
مُطَابَقَتُهُ لِلْأَكْثَرِ الْأَغْلَبِ .

وَحَيْثُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي الْآيَةِ وَرَدَ مُذَكَّرًا ، فَإِنَّهُ يَكْشِفُ عَنْ كَوْنِ الذَّكَورِ فِي الْآيَةِ
أَكْثَرَ مِنَ الْإِنْثَاءِ ، وَهَذَا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِحَمْلِ الْآيَةِ عَلَى أَصْحَابِ الْكِسَاءِ خَاصَّةً (مُحَمَّدٌ
وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهم السلام) لِيَصِحَّ تَذْكِيرُ الضَّمِيرِ تَبَعًا لِلْأَكْثَرِ (مُحَمَّدٌ
وَعَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهم السلام) عَلَى الْأَقْلِ (فَاطِمَةُ) .

وَهَذَا شَاهِدٌ صَرِيحٌ عَلَى عَدَمِ دُخُولِ الْأَزْوَاجِ فِي الْآيَةِ ، إِذْ لَوْ كَانَتْ الْأَزْوَاجُ
دَاخِلَاتٍ لَكَانَ الْإِنْثَاءُ أَكْثَرَ مِنَ الذَّكَورِ ، وَمَعَهُ يَجِبُ تَأْنِيثُ الضَّمِيرِ هَكَذَا (عَنْكُمْ)
(يُطَهَّرُكُمْ) .

وَحَيْثُ أَنَّ الضَّمِيرَ وَرَدَ مُذَكَّرًا ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى خُرُوجِ الْأَزْوَاجِ مِنَ الْآيَةِ ، لِمَا
عُرِفَتْ مِنْ مَنَافَةِ دُخُولِهِنَّ لِتَذْكِيرِ الضَّمِيرِ .

وَدَعَوَى :

أَنَّ تَذْكِيرَ الضَّمِيرِ إِنَّمَا جَاءَ كَرَامَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مُرَدُّدَةً بِأَنَّهُ : لَوْ صَحَّ هَذَا

لوجب تذكير الضمير في الآيات اللاحقة : «وَأَذْكُرَنَّ مَا يُثْلَى» (١) ولقال تعالى بلفظ الجمع : واذكروا ما يتلى ، بل لو صح ما زعموه لكان تذكير الضمير هنا أولى .

[الثانية]

إن الآية الشريفة نطقت بطهارة كل من تناولته ، من الذنوب والمعاصي ، صغيرها وكبيرها ، ولازمه عدم صدور الذنب منهم .

وقد صرح القرآن الكريم بصدور الذنب والمعصية من بعض أزواج النبي ﷺ فقال تعالى : «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» (٢) .

فقد روى أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ) ، والبخاري (ت: ٢٥٦ هـ) ، ومسلم النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ) ، عن عمر بن الخطاب : أنها نزلت في عائشة وحفصة (٣) والتوبة فرع الذنب والمعصية ، ولازمه عدم طهارتهن من المعصية .

بل هددهم بمضاعفة العقاب والعذاب على الفاحشة ، قال تعالى : «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ» (٤) .
بل هددهم بالطلاق أيضاً ، قال تعالى : «عَسَى رَبُّهُ أَنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ

(١) سورة الأحزاب : ٣٤ .

(٢) سورة التحريم : ٤ .

(٣) أنظر : مسند أحمد : ٣٣/١ ، صحيح البخاري : ١٠٣/٣ ، ٧٠/٦ ، صحيح مسلم : ١٩٢/٤ .

(٤) سورة الأحزاب : ٣٠ .

وَأَبْكَارًا»^(١).

ووصفُ البديلات بهذه الصفات الحميدة مشعرٌ بعدم وجود هذه الصفات في المخاطبات ، فكلّ صفة وصف الله تعالى بها البديلات صريحة في انتفاءها من النساء المخاطبات ، وأنّ فيهنّ مَنْ لم يكتمل إيمانها وعبادتها وتوبتها وطاعتها لله ولرسوله ﷺ .

بل قوله تعالى : «تَائِبَاتٍ» مشعر بعدم توبة من نزلت فيها الآية الكريمة ، فكيف يدخلن في آية التطهير وحالهنّ في ذلك ما قد عرفت ؟
وقوله تعالى : «خَيْرًا مِنْكُنَّ» دليل على وجود نساءٍ أفضلُ منهنّ وأطهر وأزكى ، فكيف يكنّ مطّهّرات وغيرهنّ أفضل وأطهر منهنّ .
كلّ ذلك يدلّ على عدم دخول الأزواج في آية التطهير .
فلا يبقى في الآية إلّا الخمسة الطيبة أصحاب الكساء ، الذين نطق الرسول بعصمتهم وطهارتهم ، كقوله ﷺ في عليّ عليه السلام :

«عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ»^(٢).

وفي فاطمة عليها السلام : «يرضى الله لرضاها ويعضب لغضبها»^(٣).

وفي الحسن والحسين عليهما السلام : «سيّدا شباب أهل الجنة»^(٤).

(١) سورة التحريم : ٥ .

(٢) تاريخ بغداد : ١٤ / ٣٢٢ ، تاريخ دمشق : ٤٢ / ٤٤٩ .

(٣) الاحتجاج : ٢ / ١٠٣ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل : ٣ / ٣ ، ٦٤ .

[الثالثة]

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قد خَصَّ هذا العنوان « أَهْلَ الْبَيْتِ » بالخمس الطيبة أصحاب الكساء خاصة وهم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام.

فقد اشتملت هذه الواقعة على شواهد قولية وعملية من النبي ﷺ دلّت على عدم دخول الأزواج تبعداً، واختصاص الآية بأصحاب الكساء:

١ - قوله ﷺ عند نزول الآية مشيراً إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين ، وبعد أن جلّلهم بالكساء: « اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي فَأَذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً »^(١).

فقوله ﷺ « هَؤُلَاءِ » حصرٌ فيهم ، إذ لم يقل ذلك في غيرهم مع وجود أزواجه مثل أمّ سلمة وعائشة وزينب ، وباقي عشيرته .

٢ - امتناعه من إدخال أزواجه: عائشة وأمّ سلمة وزينب ، تحت الكساء ، بعد سؤالهم ذلك معللاً ومصرّحاً بأنهنّ لسن من أهل بيته :
أَمَّا عَائِشَةُ :

فقد روى ابن كثير وغيره أنّها أقرّت بأنها ليست من أهل بيت النبي ﷺ .
فعن محمد بن يزيد ، عن العوّام ، عن ابن عمّ له ، قال : « دخلت مع أبي عليّ عائشة ، فسألتها عن عليّ عليه السلام .

فقلت : تسألني عن رجل كان من أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ وكانت

(١) مسند أحمد : ١٠٧/٤ ، ٢٩٢/٦ ، سنن الترمذي : ٣١/٥ ، مستدرک الصحيحين : ٤١٦/٢ ،

السنن الكبرى : ٢٦/١ ، مجمع الزوائد : ١٦٧/٩ ، فتح الباري : ١٠٤/٧ .

تحتة ابنته وأحبّ الناس إليه ، لقد رأيت رسول الله ﷺ دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً (رضي الله عنهم) فألقى عليهم ثوباً، فقال:

«اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

قالت: فدنوت منهم ، فقلت:

يا رسول الله وأنا من أهل بيتك؟

فقال ﷺ: «تنحّي، فإنك على خير»^(١).

وأما أمّ سلمة:

فقالت: «قلت: يا رسول الله ألسْتُ من أهل بيتك؟ فقال ﷺ: «أنتِ إلى

خير»^(٢) ولم يقل أنت منهم.

وفي لفظ الحاكم الحسكاني (ت: ق / ٥): «أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لأمّ سلمة: «أنتِ

ممن أنت من»^(٣) أي من أيّك وليس من أهل بيتي.

وروى الطبراني وغيره: أنَّ أمّ سلمة قالت: «فرغت الكساء لأدخل معهم ،

فجذبه رسول الله ﷺ من يدي وقال: «إِنَّكَ إِلَى خَيْر»^(٤).

وفي لفظ ابن عساكر: «قالت أمّ سلمة: فذهبت لأدخل رأسي، فدفعني

النبي ﷺ، فقلت يا رسول الله ألسْتُ من أهلك؟

قال: إِنَّكَ عَلَى خَيْر»^(٥).

(١) تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٣، شواهد التنزيل: ٦٢/٢.

(٢) شواهد التنزيل: ٨٥/٢، أسد الغابة: ١٢/٢.

(٣) شواهد التنزيل: ٥٢/٢.

(٤) المعجم الكبير: ٥٣/٣، مسند أبي يعلى: ٣٤٤/١٢، كنز العمال: ٦٤٥/١٣.

(٥) تاريخ مدينة دمشق: ٢٦١/٤٢.

وروى الطبري: أنها قالت: «وأنا معهم يا رسول الله». قال ﷺ: «أنت زوج النبي ﷺ وإلى خير»^(١). ولم يقل أنت من أهل البيت. وهذا نص في أن الأزواج ليست من أهل البيت في خصوص الآية الكريمة، وإلا لما فرّق النبي بينهما.

وفي خبر آخر قالت: قلت: يا رسول الله وأنا؟ قالت: فوالله ما أنعم. وقال: «إِنَّكَ إِلَى خَيْر»^(٢). وعن أبي سعيد الخدري: قالت أم سلمة: «أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي بَيْتِي «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» وفي البيت: رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، وأنا جالسة على باب البيت، فقلت: يا رسول الله ألسْتُ من أهل البيت؟ قال: «أنت من أزواج رسول الله»^(٣)، ولم يقل إِنَّكَ من أهل البيت». وفي لفظ ابن عساكر: قالت أم سلمة: «فقلت يا رسول الله وأنا معهم؟ قال: «لا، وأنت على خير»^(٤).

وروى الحاكم الحسكاني (ت: ق / ٥)، عن الأعمش، عن بعض أشياخه، عن أم سلمة قالت:

«قلت: يا رسول الله وأنا معهم؟ فوالله ما قال وأنت معهم، ولكنه قال: «إِنَّكَ

(١) جامع البيان: ١٢/٢٢، تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٣، المعجم الكبير: ٢٨١/٢٣.

(٢) جامع البيان: ١٣/٢٢، تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٣.

(٣) الدر المنثور: ١٩٨/٥، تفسير الثعالبي: ٣٤٦/٤، جامع البيان: ١١/٢٢، شواهد التنزيل:

٨٢/٢، ٨٥، تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٣.

(٤) تاريخ مدينة دمشق: ٢٠٦/١٣، وترجمة الإمام الحسن: ٧٠.

على خير»^(١).

وروى الطبراني، وابن أبي شيبة، والمتقي الهندي، والحاكم الحسكاني، عن أمّ سلمة: «أنّ النبي ﷺ كان عندها ذات يوم، وفي بيتها، فجاءت الخادم فقالت: إنّ علياً وفاطمة بالسدة.

فقال ﷺ: «تنحّي لي عن أهل بيتي».

فتنحّيت في ناحية البيت، وجاء عليّ وفاطمة وحسن وحسين وهما صبيان صغيران، فأخذ حسناً وحسيناً ووضعهما في حجره، وأخذ علياً بإحدى يديه فضمّه إليه، وغدق عليهم قطيفة سوداء، ثمّ قال: «اللهم إيك لا إلى النار أنا وأهل بيتي».

فناديته فقلت: وأنا يا رسول الله؟ قال: وأنت^(٢)، أي لا إلى النار».

وأما زينب:

فقد مرّ عليك قوله ﷺ لها: مكانك فإنّك على خير إن شاء الله. ومع كونها من قرباه، إلّا أنّه لم يدخلها في أهل بيته، ممّا يدلّ على اختصاص عنوان (أهل البيت) بعليّ وفاطمة والحسن والحسين. وكلّ هذه شواهد محكمة، وأدلة صريحة على عدم دخول الأزواج في الآية الكريمة.

(١) شواهد التنزيل: ١٣٤/٢.

(٢) المعجم الكبير: ٣٩٣/٢٣، المصنّف لابن أبي شيبة: ٥٠١/٧، كنز العمال: ٦٤٤/١٣، شواهد التنزيل: ٨٩/٢. وفي لفظ أبي يعلى في المسند: ٣١٣/٢: «لما قالت أمّ سلمة: يا رسول الله وأنا منهم؟ قال النبي ﷺ: لا، وأنت على خير».

وأصرحها قوله ﷺ لعائشة: «تنحّي» ولأُمّ سلمة: «تنحّي عن أهل بيتي». فإنّه صريح بأنّ الأزواج ليست من أهل البيت، وإلاّ لما أمرها رسول الله ﷺ بالتنحّي عن أهل بيته، وكذا قوله ﷺ لأُمّ سلمة: «أنت من أزواج رسول الله». وإقرار أُمّ سلمة أنّه ﷺ لم يُنعم لها بكونها من أهل بيته.

ولا يخفى أنّ خروج الأزواج من أهل بيت النبي ﷺ - هنا - إنّما هو من باب التعبّد شرعاً، لا عرفاً، وذلك بفعل رسول الله ﷺ كما تقدّم، وسببه: دلالة الآية الكريمة على عصمتهم وإمامتهم.

٣ - ما رواه أحمد بن حنبل في (المسند) والمتقي الهندي في (كنز العمال) وغيرهما، عن أنس بن مالك قال:

«إنّ النبي ﷺ كان يمرّ ببیت فاطمة ستّة أشهر إذا خرج إلى الفجر فيقول: «الصلاة يا أهل البيت» إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» (١).

وروى الحاكم الحسكاني (ت: ق / ٥)، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال:

«لما نزلت هذه الآية: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ» (٢) كان يجيء النبي ﷺ إلى باب عليّ تسعة أشهر كل صلاة غداة ويقول:

«الصلاة يرحمكم الله» إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم

(١) مسند أحمد: ٢/٢٥٩، كنز العمال: ١٣/٦٤٦، ميزان الاعتدال: ٢/٣٨١.

(٢) سورة طه: ١٣٢.

تَطْهِيراً» (١).

وروى عن أبي الحميراء خادم النبي ﷺ قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (٢) كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي بَابَ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ كُلِّ صَلَاةٍ فَيَقُولُ: «الصَّلَاةُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (٣).

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ يَذْهَبُ كُلَّ صَبَاحٍ إِلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ وَعَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَيَقُولُ: «الصَّلَاةُ» (٤).

وقال جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ): أخرج ابن مردويه، وابن عساكر، وابن النجار، عن أبي سعيد الخدري قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجِيءُ إِلَى بَابِ عَلِيٍّ صَلَاةَ الْغَدَاةِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ يَقُولُ: «الصَّلَاةُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (٥).

ومثله رواه الشوكاني والخوارزمي، والقندوزي الحنفي (٦). وهذا أبلغ وأكد في تخصيص معنى الأهل بأصحاب الكساء، حيث أن

(١) شواهد التنزيل: ٤٧/٢.

(٢) سورة طه: ١٣٢.

(٣) شواهد التنزيل: ٤٩٧/١.

(٤) تفسير القرطبي: ٢٦٣/١١.

(٥) الدر المنثور: ٣١٣/٤، تاريخ مدينة دمشق: ١٣٦/٤٢.

(٦) فتح القدير: ٣٩٦/٣، مناقب الخوارزمي: ٦٠، ينابيع المودة: ٣٦٨/٣.

النَّبِيِّ ﷺ وقف على باب عليّ وفاطمة ﷺ وأمرهما بالصلاة ، ولم يأمر سواهما من أزواجه وأقرباءه ، ممّا يدلّ أنّ كلمة (الأهل) و(أهل البيت) في الآيتين خاصّة بعليّ وفاطمة وابنيهما ﷺ . فلو كانت عامّة ، لأمر أزواجه أيضاً بالصلاة كما أمر عليّاً وفاطمة ﷺ .

[الرابعة]

ولم تدّع أحد من النّساء دخولها في آية التطهير ، حتى عائشة التي زعمت لنفسها فضائل ، لكنّها لم تدّع دخولها في آية التطهير ، بل اقترت بعدم دخولها في الآية كما عرفت ، بل صرّحت بنزولها في الخمسة الطيبة فقط ، مع ما كان في نفسها من الهنات عليهم .

[الخامسة]

قرائن أخرى :

١- وروى الهيثمي ، وغيره ، عن أبي جميلة : « أنّ الحسن بن عليّ ﷺ حين قتل عليّ ﷺ ، استخلف ، فبينما هو يصلّي بالناس ، إذ وثب إليه رجل فطعنه بخنجر في وركه ، فتمرّض منها شهراً ، ثمّ قام فخطب على المنبر وقال :

« يا أهل العراق اتّقوا الله فينا ، فإنّا أمراؤكم وضيّفانكم ، ونحن أهل البيت الذين قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ » (١) .

٢- وروى مسلم في صحيحه ، وابن كثير وغيرهما عن جماعة قالوا لزيد بن

(١) مجمع الزوائد : ١٧٢/٩ ، المعجم الكبير : ٩٣/٣ ، تفسير ابن كثير : ٤٩٥/٣ ، أسد الغابة :

أرقم: من أهل بيته؟ نساؤه؟

قال: «لا، وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده»^(١).

وفي (فيض القدير) قال المناوي (ت: ١٠٣١هـ):

قل لزيد: أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال: «ليس نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده»^(٢).

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم: «المعروف في معظم الروايات في غير مسلم أنه قال: نساؤه لسن من أهل بيته»^(٣).

ومعنى هذا: أن زيد بن أرقم يرى أن لفظ (أهل البيت) لا يصدق - بحكم الشرع - إلا على من لا يمكن زوال الوصف عنه وهم الأولاد، أمّا من يمكن زوال الوصف عنه كالأزواج إذا طُلّقن، فلا يصدق عليهنّ.

ويؤيده قوله ﷺ لأُمّ سلمة حينما أرادت الدخول معهم، فمنعها، فقالت: ألسنتُ من أهل بيتك؟ فقال ﷺ:

«أنتِ ممّن أنتِ منه» أي من أهلك، وليس منّي.

فيدلّ أن لفظ (أهل البيت) شرعاً خاصّ بالقراة النسبية، دون السببية.

٣ - ومما يدلّ على خروج الأزواج من عنوان (أهل البيت):

أنّ النبي ﷺ استخلف أهل بيته على الأمة في حديث الثقلين حتّى قيام

(١) صحيح مسلم: ١٢٣/٧، تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٣، تاريخ مدينة دمشق: ١٩/٤١.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٢٢٠/٢.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨٠/١٥.

الساعة ، ولم يدّع أحد من المسلمين أنه ﷺ استخلف أزواجه ، ممّا يدلّ على خروجهنّ من كلمة (أهل البيت).

وأيضاً: قد أخبر النبي ﷺ في حديث الثقلين بعدم افتراق أهل بيته عن القرآن حتّى ورود الحوض ، فهما متلازمان في الدنيا وجوداً إلى قيام الساعة ، وقد افتترقت الأزواج بموتهنّ ، فیدلّ أنّهنّ لسن من أهل البيت.

٤ - وقد صرّح رسول الله ﷺ بعصمة أهل آية التطهير من الذنوب ، وطهارتهم من المعاصي والعيوب ، حينما فسّر الآية الكريمة بعصمته وعصمة أهل بيته ، وذلك فيما رواه السيوطي ، والشوكاني ، وابن كثير وغيرهم : عن ابن عباس قال :
« قال رسول الله ﷺ : قوله تعالى : «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» . «فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب»^(١).

وروى الحاكم الحسكاني (ت: ق / ٥) ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ في قول الله عزّ وجلّ : «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» قال ﷺ : «أهل بيتي مطهرون من الذنوب»^(٢).

ولم يدّع أحد عصمة نساء النبي ﷺ من الذنوب ، بل نطق القرآن الكريم بعصيان بعض نساء النبي ﷺ ممّا يدلّ على خروجهنّ من الآية الشريفة ، واختصاصها بأصحاب الكساء الخمسة ، وعدم دخولهنّ في (أهل البيت) شرعاً وتعبداً.

(١) الدرّ المنثور: ١٩٩/٥ ، فتح القدير: ٢٨٠/٤ ، البداية والنهاية: ٣١٦/٢ ، السيرة النبوية: ١٩٣/١ .

(٢) شواهد التنزيل: ٤٨/٢ .

٥ - ومما يدلّ على ذلك :

أنّ الآية ساوت من تناولته برسول الله ﷺ في الطهارة ، ولم يقل أحد بمساواة الأزواج للنبي ﷺ في ذلك ، فيبقى في الآية أصحاب الكساء فقط ، وبهذا أقرّ كبار الجمهور : فقد أورد الزرندي الحنفي ، والمناوي ، والقندوزي ، عن فخر الدّين الرازي قال :

« جعل الله أهل بيت النبي ﷺ مساوين له في خمسة أشياء :

أحدها - المحبة ، قال تعالى : ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ ^(١) . وقال في أهل بيته : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ^(٢) ^(٣) .

والثانية - تحريم الصدقة ، قال ﷺ : « لا تحل الصدقة لمحمد ولا لآل محمد ، إنما هي أوساخ الناس » .

والثالثة - الطهارة ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ ^(٤) أي : يا طاهر ، وقال في أهل بيته : ﴿ وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

والرابعة - في السلام ، قال : السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته . وقال لأهل بيته : ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ^(٥) ^(٦) .

(١) سورة آل عمران : ٣١ .

(٢) سورة الأنعام : ٩٠ .

(٣) قال أمير المؤمنين عليه السلام :

« فينا في آل (حم) آية لا يحفظ مودتنا إلا كلّ مؤمن » . ثم قرأ ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ نظم درر السمطين : ٢٣٩ .

(٤) سورة طه : ١ - ٢ .

(٥) سورة الصافات : ١٣٠ .

والخامسة - في الصلاة على النبي ﷺ وعلى آل في التشهد» (٧).
بل وفي غير التشهد أيضاً ، حيث نهى النبي ﷺ عن الصلاة عليه بدون ذكر
أهل بيته، وعدّها بترأء ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الفصل السابع ، القسم
الثاني.

فهذه خمسة ، أشركهم الله تعالى مع رسوله الكريم ، ولم يقع هذا لغيرهم قط ،
مما يدل على اختصاص الآية بأصحاب الكساء ، وعدم دخول الأزواج .

كذب عكرمة مولى عبد الله بن عباس :

وقد زعم عكرمة - كذباً وزوراً^(٨) - نزول الآية في الأزواج ، وفيه:

١ - إنّه مخالف لإجماع الفريقين على نزولها في الخمسة الطيبة ، وقد مرّ عليك
إقرار الأزواج بذلك : أم سلمة ، وعائشة ، وزينب ، وصفية ، فمن قال بغير هذا فقد
تجاهر بالكذب والتدليس .

٢ - إنّ عكرمة كان متجاهراً يبغض أمير المؤمنين عليه السلام فهو معدود من المنافقين ،
لقول النبي ﷺ «يا علي لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق» (٩).

وقد صرح بهذا جملة من العامة ، منهم : ابن أبي الحديد المعتزلي ، قال :
ومن المشهورين برأي الخوارج الذين تمّ بهم صدق قول أمير المؤمنين عليه السلام

(٦) وقرأ ابن عامر ، ونافع ، ورويس ، عن يعقوب : «آل ياسين» وهم آل محمد ﷺ على
القرائتين ، لأنّ (ياسين) من أسماء رسول الله ﷺ .

(٧) نظم درر السمطين : ٢٣٩ ، فيض القدير : ٢ / ٢٢٠ ، ينابيع المودة : ١ / ١٣٠ .

(٨) تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٩١ .

(٩) مسند أحمد بن حنبل : ١ / ٩٥ ، صحيح مسلم : ١ / ٦٠ .

أنهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء : عكرمة مولى ابن عباس^(١) ،
 ٣ - بل صرّح جملة من علماء الجمهور بأن عكرمة متّهم بالكذب والوضع ، فقد
 أورده العقيلي في الضعفاء برقم (١٤١٣) وقال : قال يحيى بن سعيد : كان كذاباً^(٢)
 ، وبمثله رواه الذهبي^(٣) ، وروى الذهبي أيضاً عن عبد الله بن الحارث قال :
 دخلت على عليّ بن عبد الله بن عباس ، فإذا عكرمة في وثاق عند باب الحش ،
 فقلت له : ألا تتقي الله في هذا ؟ فقال : إنّ هذا الخبيث يكذب على أبي^(٤) .
 ٤ - وقال المرحوم الشيخ النمازي : نقل عن وفيات الأعيان ، وميزان
 الاعتدال ، وتذكرة الحفاظ ، وغيرها من رجال العامة : أنّ عكرمة كذاب وضّاع
 وزنديق.... وهو أوّل من نشر رأي الخوارج في المغرب^(٥) .
 فكيف يُركن إلى قول هذا الرجل ، مع ما فيه من الكذب والنفاق ورأي الخوارج
 الموجب للخروج من الدّين والملة؟؟

(١) شرح نهج البلاغة: ٥ / ٧٦.

(٢) كتاب الضعفاء: ٣ / ٣٧٣.

(٣) ميزان الاعتدال: ٣ / ٩٤.

(٤) ميزان الاعتدال: ٣ / ٩٤.

(٥) مستدركات علم الرجال: ٥ / ٢٦١.

(٧)

التحقيقُ المُنير في سياق آية التطهير

ممّا تقدّم يتضح أنّ آية التطهير نزلت منحازة عمّا قبلها وبعدها من آيات النساء، وذلك لأنّها نزلت في الخمسة الطيبة الطاهرة، في واقعة الكساء، وفي بيت أم سلمة وغيرها.

وأما آيات النساء فإنّها نزلت في مشاجرة وقعت بين النبي ﷺ وبين بعض أزواجه، فهجرهن شهراً^(١).

ولكن يبقى الكلام في السياق الموجود بينها وبين آيات النساء، أي وضعها مع آيات النساء: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»^(٢) مع اجماع أهل القبله على نزول: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» منحازة عمّا قبلها وبعدها من آيات النساء.

فمن الذي وضع آية التطهير مع آيات النساء؟!

وهل يكون هذا السياق دليلاً على دخول النساء في آية التطهير، مع كونها نزلت منحازة عن آيات النساء، أم لا؟

وفي الجواب نقول:

إنّ السياق لا يخلو من أحد أمرين:

(١) أنظر: جامع البيان للطبري: ٢١ / ٨٩، تفسير الثعلبي: ٣١ / ٨، أسباب النزول: ٢٤٠.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

الأول: إمّا أن يكون من فعل الصحابة الذين جمعوا القرآن بعد رسول الله ﷺ ووضعوا آية التطهير ضمن آيات النساء، فلا يكون هذا السياق حجة ولا يصح الاستدلال به، لأنّه ليس من الشرع.

الثاني: وإمّا أن يكون بأمر النبي ﷺ، وهو الذي عليه جمهور العامة وأكثر الإمامية، فإنّهم قالوا: إنّ ترتيب الآيات ووضع كلّ ما نزل منها في مواضعها الموجودة بأيدينا كان بأمر رسول الله ﷺ لكتاب الوحي (١).

وبناء على هذا نقول: إنّ السياق إنّما يكون حجة إذا لم ترد قرينة - من القرآن أو السنّة أو اللغة - على خلافه، ومع ورود القرينة يسقط السياق عن الحجية، لأنّ القرينة نصّ، والسياق ظاهر، والنصّ مقدّم على الظاهر.

وأمثله في القرآن كثيرة جداً، حيث اشتمل القرآن الكريم على كثير من الآيات التي تحدثت عن موضوع معيّن، ثم تتوسطها آية تتحدث عن موضوع آخر، فتخرج بذلك عن السياق (٢).

(١) مثل ما روي عن ابن عباس - كما في تفسير الخازن والكشاف - عند قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُزْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٨١): «أنّها آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ، فقال جبرئيل عليه السلام: ضعها على رأسي مأتين وثمانين من سورة البقرة».

وحكى السيوطي في الاتقان: ١ / ١٦٧، ١٦٩، في مسألة جمع القرآن الاجماع على أن ترتيب الآيات توقيفي من النبي ﷺ، ثم ذكر روايات في ذلك.

(٢) كما في سورة البقرة حيث اشتملت على عدة مقاطع من الآيات المتتالية، لكنّها مختلفة في السياق منها: آيات الطلاق التي جاءت في الآية: ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢، ثم خرج السياق إلى موضوع الرضاع وعدّة الوفاة وخطبة النساء، ثم رجع السياق إلى موضوع الطلاق في الآية ٢٣٦ و ٢٣٧، ثم خرج السياق إلى الصلوات اليومية في الآية ٢٣٨ لله

وكذلك آية التطهير: فإنها وإن توسطت آيات النساء إلا إنه قد مرّت عليك القرائن الكثيرة على نزولها منحاذاة عن آيات النساء، واختصاصها بالخمس الطيبة الطاهرة فقط، وتواتر نصوص الفريقين في أنّ النبي ﷺ جمع علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً تحت الكساء وخصهم بآية التطهير، ومنع أزواجه من الدخول معهم في الكساء.

فيكون فعله ﷺ قرينة على خروج الآية من السياق واختصاصها بالخمس الطيبة فقط، فيسقط السياق عن الحجية ولا يجوز الاحتجاج به. هذا فضلاً عن إقرار الأزواج -أنفسهن- بعدم دخولهن في الآية. ولذا لم تدع أحد من أزواجه دخولها في آية التطهير، مع كونها في سياق الآيات الواردة في شؤونهن.

فلو لم يكن اختصاصها بأولئك الخمسة الطيبة معلوماً مسلماً لكان لعائشة حيث ادّعت لنفسها فضائل - مثل أنّ الوحي ينزل على رسول الله ﷺ في لحافها

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾؛ ثم رجع السياق إلى موضوع الطلاق في الآية ٢٤١.

وكقوله تعالى في سورة ص: ٣٩: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ فإنها توسطت عشرات الآيات التي تحدثت عن النبي داود وسليمان علي نبينا وآله وعليهم الصلاة والسلام إلا هذه الآية فإنها خرجت من السياق وتحدثت عن القرآن الكريم وخاطبت نبينا ﷺ ثم رجع السياق إلى ما كان عليه.

وقد يكون اختلاف السياق في الآية الواحدة كقوله تعالى في بيان مواقيت الصلاة: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (الروم: ١٧-١٨) فجملة ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ معترضة خارجة عن سياق المواقيت وكآية التطهير، وآية كمال الدين، وغيرها.

دون سائر أزواجه ، وأنها كانت تسابق النَّبِيَّ ﷺ فتسبقه ، وغير ذلك - أن تذكر أيضاً من فضائلها هذه الآية ، ولكنّها ذكرتْها في فضائل هؤلاء الخمسة الطَّيِّبة ، مع ما كان في نفسها عليهم من الهنات والهفوات .
وهذا شاهد صريح على اختصاص الآية بالخمسة الطَّيِّبة من حيث النزول ، وعدم دخول الأزواج فيها .

[مناقشة دعوى دخول الأزواج في سياق آية التطهير]

قد عرفت ممّا تقدّم اجماع أهل القبلة على نزول آية التطهير في الخمسة الطيبة فقط ، وأنها نزلت منحازة عن آيات النساء .

ولكن لو ادّعى البعض دخولهن في السياق - وهو القراءة - ، كما هو رأي الرّمخسري (ت: ٥٣٨ هـ) والفخر الرّازي (ت: ٦٠٦ هـ) حيث أعرضوا عن مفاد النصوص المتقدمة في نزولها بالخمسة الطيبة ، ونظروا إلى نفس الآية من جهة السياق واللغة ، لا من جهة النزول ، فزعموا أنّها عامّة لنسائه وسائر أقربائه الأقربين من جهة السياق فقط .

فنقول في ردّهم فضلاً عمّا تقدّم :

إنّ السياق أيضاً يأبى دخول الأزواج في آية التطهير ، وذلك :

لأنّ آيات النساء التي سبقت آية التطهير فرضت عليهنّ تسعة فرائض وهي :

١ - ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ .

٢ - ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ .

٣ - ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ .

٤ - ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ .

٥ - ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .

٦ - ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾ .

٧ - ﴿وَاتِينَ الزَّكَاةَ﴾ .

٨ - ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ﴾ .

٩- ﴿وَرَسُولُهُ﴾ (١).

ثم جاءت آية التطهير بعد هذه الفرائض التسعة: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

فلو سلمنا دخول النساء في سياق آية التطهير، فإن الآية لا تدل على طهارتهن مطلقاً بدون شرط، وإنما تدل على طهارتهن معلقة على أدائهن تلك الفرائض التسعة التي سبقت آية التطهير، أي إن الآية جعلت تفضيلهن وطهارتهن مشروطة بإتيان تلك الفرائض التسعة.

ويدل عليه: قوله تعالى: «لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ» أي: إن أتيتن بتلك الفرائض التسعة، فإن إتيانكن يصير سبباً لطهارتكن وتفضيلكن، ومع عدم إتيانكن تلك الفرائض فلا طهارة لكن ولا فضل.

فصار تفضيلهن وطهارتهن معلقاً على إتيانهن تلك التكاليف. ولازم هذا: إن طهارتهن وتفضيلهن ليست ذاتية، وإنما هي عرضية إكتسابية، لأنها ناشئة من فعلهن وأدائهن تلك الفرائض التسعة، وليس من الله عز وجل، وإنما أراد الله تبارك وتعالى من إيجابه تلك الفرائض عليهن أن يكون فعلهن سبباً لطهارتهن، أي إن طهارتهن ناشئة من فعلهن تلك الفرائض.

وعليه: لما كانت طهارتهن ناشئة من فعلهن دل على أنها إكتسابية على نحو طهارة المتوضي والمتميم، فإن المتوضي إنما يكتسب الطهارة من فعله الوضوء وليس من الله تعالى، فتصير طهارته إكتسابية وليست ذاتية، لأنها ناشئة من فعله الوضوء، بحيث لو ترك الوضوء فلا طهارة له، وإليه يشير قوله تعالى: «وَيُحِبُّ

الْمُطَهَّرِينَ»^(١) حيث نسب الطهارة إلى نفس المتوضئ (المتطهرين) وليس إليه عز وجل.

وكذلك نساء النبي ﷺ: فإنه تعالى لما فرض عليهن تلك الفرائض التسعة، دلّ أنّ المراد من تطهيرهنّ هو: أنّ أدائهنّ تلك الفرائض سبب طهارتهنّ، ومع عدم أدائهنّ فلا طهارة لهنّ.

فيكون معنى الآية: إنّ من أتت منكّن بتلك الفرائض التسعة فإنّه لا محالة يصير إتيانكّن لتلك الفرائض سبباً لطهارتهنّ، فتصير طهارتهنّ ناشئة من فعلهنّ وأدائهنّ تلك الفرائض، وليس من الله عز وجل، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَقَيْنَنَّ﴾ أي: إن فعلتنّ تلك الفرائض التي توجب طهارتهنّ.

ومع هذا: تصير طهارتهنّ عرضيّة وليست ذاتية، لأنّها ناشئة من فعلهنّ، وليس في هذا مزية، إلّا مزية الطاعة التي يشترك فيها غيرهنّ.

وهذا بخلاف طهارة الخمسة الطيبة أصحاب الكساء عليهم السلام، فإنّ الله تعالى لما أطلق طهارتهم، ولم يعلّقها على شيء من التكاليف، ولا اشترط عليهم شيء، دلّ على أنّ طهارتهم تكوينيّة، فطريّة، ذاتيّة، من الله تعالى.

وعلى هذا يجوز أن يراد بالطهارة في آية التطهير كلا المعنيين:

الاول: طهارة الخمسة الطيبة ذاتاً وتكويناً وفطرةً.

الثاني: طهارة النساء عرضاً وتعليقاً على أدائهنّ التكاليف^(٢).

(١) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٢) إقتبسنا هذه الفائدة من كتاب (نخبة البيان في تفضيل سيّدة النسوان) للسيّد عبدالرسول

[دلالة كلمة « يُريد » في الآية الكريمة]

ويشهد له كلمة « يُريد » في الآية الكريمة ، فإنَّ الإرادة إذا كانت مقرونة بحكمٍ تشريعيٍّ تكليفيٍّ ، دلَّت على أنَّها تشريعيةٌ أيضاً ، بمعنى أنَّ تحقُّقها معلَّق على فعل المكلَّف لذلك الحكم ، كقوله تعالى في آية الوضوء ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ أي يطهِّرُكم بإتيانكم الوضوء والتميم ، لأنَّ الطَّهارة معلَّقة على الوضوء ، فتكون الطهارة ناشئة من فعل المكلَّف للوضوء ، فتصير الطهارة تشريعيةً وليست تكوينيةً ويدلُّ عليه إنتفاء الطَّهارة عند انتفاء الوضوء ، فكذلك طهارة النساء بلا فرق . وإن كانت الإرادة مطلقة غير مقرونة بشيٍّ من التَّكليف ، دلَّت على أنَّها تكوينية فطرية ذاتية ، كقوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾ ^(١) فإنَّ الدِّين بذاته يُسر ، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ ^(٢) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ ^(٣) . وكذلك طهارة الخمسة الطَّيِّبة ، فإنَّ إرادة الله تعالى طهارتهم غير معلَّقة على

هم الشرعيات .

وأما دعوى عدم جواز استعمال اللَّفْظ في أكثر من معنى ، فمحلَّ خلاف ، والحقُّ جوازه ، خصوصاً في القرآن الكريم الذي بُنِيَ إعجازه على تعدُّد معنى الآية الواحدة في التفسير والتأويل والباطن وغيرها ، ولولا هذا التعدُّد لبطل الإعجاز كما قال الإمام الباقر عليه السلام : إِنَّ الآية ينزل أولها في شيء ، وأوسطها في شيء ، وآخرها في شيء .

على أنَّ آية التطهير - عندنا - ناظرة إلى معنى واحد وهو : طهارة الخمسة الطَّيِّبة فقط ، وأما الأزواج فهو مدَّعى الخصم من السِّياق لا من النَّزول ، وقد أبطلناه أيضاً .

(١) سورة البقرة : ١٨٥ .

(٢) سورة النساء : ٢٨ .

(٣) سورة الانفال : ٧ .

شيء من التكليف ، فتدلّ على أنّ طهارتهم ذاتيّة فطريّة تكوينيّة ، وهذا أقوى دليل على عصمتهم فطرةً وتكويناً .

ومن كان كذلك كان - لا محالة - إماماً وحجّةً ، لأنّ العصمة لم تثبت إلّا للحجج وهم : الأنبياء والأوصياء ، فتدلّ الآية على أنّهم أوصياء رسول الله ﷺ ، فتكون نصّاً على إمامتهم .

هذا كلّ بناءً على أنّ ترتيب الآيات بأمر رسول الله ﷺ وهو الحقّ .
وأما على القول بأنّ الترتيب من الصحابة الذين جمعوا القرآن بعد رسول الله ﷺ فلا حجّة لهذا السياق ، ولا يصحّ الاحتجاج به ، بل لا يجوز ، فتبقى الآية خاصّة بالخمسة الطيبة الطاهرة فقط .

والحاصل : إنّ طهارة الخمسة الطيبة ثابتة بنزول الآية فيهم إجماعاً ، لكونهم هم المخاطبون بالآية فقط دون غيرهم ، وبما أنّ الآية أطلقت طهارتهم ولم تعلقها على شيء من التكليف ، فإنّها تدلّ لا محالة على أنّهم مجبولون على الطهارة ، مفطورون على الطاعة ، فتكون طهارتهم تكوينية فطرية ، من الله عزّ وجلّ ، كاشفة عن عصمتهم الموجهة لإمامتهم وخلافتهم .

وهذا بخلاف الأزواج ، فإنّه بعد ثبوت عدم دخولهنّ في نزول الآية - إجماعاً - وثبوت تكليفهنّ بالفرائض التسعة المتقدّمة ، فإنّه لا محالة تصير طهارتهنّ مشروطة معلّقة على إتيانهنّ لتلك الفرائض التسعة ، ومع إتيانهنّ تلك الفرائض ، تكون طهارتهنّ إكتسابية ، ناشئة من فعلهنّ تلك الفرائض ، لا من الله عزّ وجلّ ، وهذا دليل على أنّ طهارتهنّ عرضيّة لا ذاتيّة ، لأنّها ناشئة من فعلهنّ .

ولازمه : عدم طهارتهنّ عند عدم إتيانهنّ تلك الفرائض التسعة .

بل إنّ الحديث عن طهارتهنّ إنّما نشأ ببركة الخمسة الطيّبة الطاهرة ، حيث وُضعت آية التطهير في سياق آيات النساء ، وإلاّ لما أمكن الحديث عن طهارتهن .

[علّة وضعها مع سياق آيات النساء]

ويحتمل قوياً : إنّ النبي ﷺ إنّما وضع آية التطهير في سياق آيات النساء صوناً لها من تحريف الظالمين من بني أمية وأشياعهم ، لعلمه بتسلّطهم على جميع شؤون الإسلام والمسلمين ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ (١) .

فلو أمر بوضعها في مكان مستقل خاص بأهل بيته ، بحيث يستفاد منها اختصاصها بالخمسة الطيّبة الطاهرة ، لأسقطوها من الكتاب ، كما أسقطوا فضائل أمير المؤمنين عليه السلام .

وكما أسقطوا أحاديث الوصيّة والإمامة ، وحرّفوها بشتى أنواع التحريف . وحملوا الناس على البراءة منه ، وسبّه على منابر المسلمين .

وكما جاهدوا في قتله وقتل أولاده الطاهرين ، مع علمهم بوجوب مودّتهم في الكتاب ، ووصيّة النبي ﷺ بهم في بدء الدّعوة وختامها .

فكان وضع آية التطهير في هذا الموضع مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢) .

حيث إنّ حفظه وإن كان بعناية الله تعالى ، لكنّه عزّ وجلّ أجراه بأسبابه العاديّة

(١) سورة الإسراء : ٦٠ .

(٢) سورة الحجر : ٩ .

أيضاً ، كما إنَّ حفظ النَّبِيِّ ﷺ من اليهود والمنافقين كان بعناية الله ، لكنَّه (عزَّ وجلَّ) أجراه بأسبابه العادية أيضاً من قبيل: تحذُّره ﷺ وحراسة أصحابه .
وكذلك حفظ الإسلام من معرَّات المنافقين كان بأسباب أخرى : كصبر أمير المؤمنين (عليه السلام) ومصالحة الحسن (عليه السلام) وجهاد سيد الشهداء الإمام الحسين (صلوات الله عليه) ، وهو معنى الحديث :
«أَبَى اللَّهُ أَنْ يَجْرِيَ الْأَشْيَاءُ إِلَّا بِأَسْبَابٍ»^(١).

وكذلك آية التطهير : حيث جعل تعالى حفظها بسبب وضعها مع آيات النساء ، مع كونها نزلت منحازة عنها، وهذا كقوله تعالى : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»^(٢).

فإنَّه بمقتضى النصوص المستفيضة نزلت يوم الغدير في ولاية أمير المؤمنين ﷺ ولكنها وضعت بين تحریم الميتة وتحليلها للمضطر .

وكذا آية المودة وآيات الأبرار في سورة «هَلْ أَتَى» فإنَّ مقتضى النصوص أنَّها مدنية نزلت في (عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين ﷺ) ولكنها وضعت في الآيات المكيَّة صوناً لها من التحريف^(٣).

ويحتمل قوياً أيضاً : إنَّ النَّبِيَّ ﷺ إنما وضع آية التطهير في سياق آيات النساء ليبيِّن للأمة فضل هؤلاء الأربعة الطيبة: عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين ﷺ واصطفاء الله تعالى لهم ، وتمييزهم عن غيرهم ، بإفرادهم في

(١) مستدرک سفينة البحار: ٤ / ٤٢٤.

(٢) سورة المائدة: ٣.

(٣) نخبة البيان في تفضيل سيِّدة النسوان .

خطابه ، وتطهيرهم في كتابه ، وقرنهم بنبيه ﷺ ، حيث أدخل نفس نبيه المقدسة في أنفسهم بقوله تعالى: ﴿عَنْكُمْ... وَ... يُطَهَّرْكُمْ﴾

فكان هذا دليلاً على علو درجتهم ، وعظيم منزلتهم ، ومساواتهم لجدهم في هذه الفضيلة الجليلة ، إذ عدل من ضمير التأنيث في مخاطبة الأزواج إلى ضمير التذكير في مخاطبة الخمسة الطيبة .

ولو وضعها في مكان مستقل يختص بالأربعة الطيبة فقط ، لم يتبين فضلهم من فضل الأزواج ، فصلى الله عليهم ما جنّ ليل داج ، وقامت سماء ذات أبراج ، وقرت أرض ذات فجاج ، إلى قيام يوم الاحتجاج .

(٨)

احتجاج أمير المؤمنين ﷺ بالآية في مواقف شتى

ومما يشهد على نزولها في أصحاب الكساء خاصة:

احتجاج أمير المؤمنين ﷺ بالآية على الصحابة في مواقف شتى ، فلم ينكر عليه أحد منهم ، مما يدل أنهم فهموا نزولها في أصحاب الكساء خاصة .

١ - روى الشيخ الصدوق (ت: ٣٢٩هـ) عليه الرحمة في كتابه الخصال ، أنه ﷺ قال لأبي بكر: أنشدك بالله ألي ولأهلي ولولدي آية التطهير من الرجس أم لك ولأهل بيتك .

قال أبو بكر: بل لك ولأهل بيتك .

قال ﷺ: فأنشدك بالله أنا صاحب دعوة رسول الله ﷺ وأهلي ولولدي يوم الكساء: «اللهم هؤلاء أهلي إليك لا إلى النار» أم أنت .

قال: بل أنت وأهلك وولدك.

٢ - وقال ﷺ لأبي بكر حينما انتزع فداً من فاطمة ؓ: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فيمن نزلت، فينا أم في غيرنا؟

قال أبو بكر: بل فيكم.

فقال ﷺ: فلو أن شاهدين شهدا على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعاً.

قال: أقيم عليها الحد كما أقيم على سائر المسلمين.

قال ﷺ: كنت إذاً عند الله من الكافرين، لأنك رددت شهادة الله لها بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم الله ورسوله أن جعل لها فداً وقبضته^(١).

٣ - واحتج بها يوم الشورى على أصحابها، كما روى الشيخ الصدوق في خصاله بإسناده عن عامر بن واثلة قال:

كنت في البيت يوم الشورى فسمعت علياً ﷺ يقول: ... نشدتكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير، فأخذ رسول الله ﷺ ساء خبيراً فضمني فيه وفاطمة والحسن والحسين ﷺ ثم قال: «يا رب هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

قالوا: اللهم لا.

٤ - وروى الحافظ الحنفي الخوارزمي في مناقبه في الفصل التاسع عشر عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال:

(١) الاحتجاج للشيخ الطبري، العلل للشيخ الصدوق.

«كنت مع علي عليه السلام في البيت يوم الشورى وسمعته يقول لهم:
 «لاحتجن عليكم بما لا يستطيع عربكم ولا عجمكم تغيير ذلك»، الى أن قال:
 «فأنشدكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير غيري».
 قالوا: اللهم لا (١).

٥ - ومن المواقف أيام خلافة عثمان وقد اجتمع كثير من المهاجرين والأنصار
 في المسجد وتذاكروا فضلهم، فقال عليه السلام:
 «أيها الناس أتعلمون أن الله عز وجل أنزل في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
 عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فجمعني وفاطمة وابني حسناً وحسيناً
 ثم ألقى علينا كساءً فديكياً وقال:

اللهم هؤلاء أهل بيتي ولحمتي يؤلمني ما يؤلمهم وبجرحني ما يجرحهم فأذهب
 عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله؟
 فقال: «أنت الى خير»، إنما أنزلت فيّ وفي أخي وابنتي فاطمة وابني وتسعة من
 ولد الحسين خاصة وليس معنا أحد غيرنا.
 ٦ - وفي أيام صفين.

٧ - وروى السيّد ابن طاوس عليه السلام في كتاب اليقين الباب الثاني والعشرين بعد
 المائة بالإسناد، قال ابن عباس:

«كتب الى أمير المؤمنين عليه السلام بعض شيعته من الشام: أن معاوية وعمرو بن
 العاص واضرابهما اجتمعوا فذكروه وعابوه قال: فدخلت عليه بالكوفة ليلاً

(١) منهاج الكرامة: ٩٢، شرح احقاق الحق: ٥ / ٢٦.

فقال ﷺ كلاماً:

«والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد قرنت برسول الله ﷺ حيث يقول عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾» (١) وغيرها من المواقف.

فهذا دليل صريح على علم الصحابة باختصاص آية التطهير في الخمسة الطيبة الطاهرة، حيث أقرّوا به ولم ينكروا عليه بشيء.

(١) أليقين: ٣٢٣.

ثالثاً

[آية المباهلة المباركة]

قال تعالى :

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١).
وقد أجمع أهل التفسير والتاريخ على أنّ هذه الآية الشريفة نزلت يوم المباهلة
في السنة التاسعة للهجرة ، حينما أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يخرج بأبناءه ونساءه
ونفسه ، فيباهل بهم نصارى نجران^(٢) ، فخرج بعليّ وفاطمة والحسن والحسين ،
ولم يخرج بغيرهم ممّا يدلّ على اصطفاء الله لهم .

وهي واقعة تاريخية عظيمة ، جرت بين رسول الله ﷺ وبين عظماء النصارى .
وذلك حينما كتب ﷺ إلى أهل نجران يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب ،
فأقبل وفد نجران إلى المدينة ، لينظروا رسول الله ﷺ في الإسلام .

وبعد حوار طويل طلبوا منه المباهلة والملاعنة بين يدي الله تعالى ، ليجعل
لعنته وعذابه على الكاذب ، فأمر الله تعالى هذه الآية : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا

(١) سورة آل عمران : ٦١ .

(٢) نجران : منطقة على حدود اليمن ، كانت معقلاً للمسيحية في الحجاز .

وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلُ فَتَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ».

فتلا عليهم رسول الله ﷺ ما أنزله الله عليه ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَصِيرَ إِلَى مَلْتَمِسِكُمْ إِنْ أَقَمْتُمْ عَلَى قَوْلِكُمْ ».

وَاتَّفَقُوا عَلَى يَوْمِ غَدٍ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا ، فَلَمْ تَبْقَ بَكَرٌ لَمْ تَرَ الشَّمْسَ إِلَّا خَرَجَتْ (١).

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَكْرَمِ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ ، وَأَعَزَّهُمْ عَلَى قَلْبِهِ ، خَرَجَ بَعْلِي سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ ، وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَمْرُهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا عَلَى دَعَائِهِ ، لِعَظِيمِ مَنْزِلَتِهِمْ ، وَجَلِيلِ قَدْرِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَتَرَكَ عَمَّهُ الْعَبَّاسَ وَأَزْوَاجَهُ وَأَصْحَابَهُ .

وَخَرَجَ وَفَدَ نَجْرَانَ عَلَيْهِمُ الْحَلِيَّ وَالْحَلِلَ ، وَتَجَمَّعَ النَّاسُ ، وَظَنَّ النَّصَارَى أَنَّ الرُّسُولَ ﷺ سَيُخْرِجُ بِأَصْحَابِهِ ، فَقَالُوا :

أَنْظَرُوا إِنْ خَرَجَ مُحَمَّدٌ ﷺ فِي عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَبَاهِلُوهُ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ ، وَإِنْ خَرَجَ فِي خَاصَّةٍ مِنْ أَهْلِهِ فَلَا تَبَاهِلُوهُ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ (٢).

فَمَا رَاعَهُمْ إِلَّا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ خَرَجَ بِصِيبِينَ وَرَجُلٍ وَامْرَأَةٍ ، خَرَجَ بِأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَقْرَبِينَ ، وَتَرَكَ أَصْحَابَهُ وَأَزْوَاجَهُ .

قال الموفق الخوارزمي (ت: ٥٦٨هـ):

« خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلِيٌّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالْحَسَنُ عَنْ يَمِينِهِ قَابِضاً يَدَهُ ، وَالْحُسَيْنُ عَنْ شِمَالِهِ ، وَفَاطِمَةُ خَلْفَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

(١) المناقب للموفق الخوارزمي : ١٦٠ .

(٢) المناقب للموفق الخوارزمي : ١٥٩ .

«هَلِّمُوا فَهَؤُلَاءِ أَبْنَاؤُنَا (الحسن والحسين)، وهَؤُلَاءِ أَنْفُسُنَا (عليّ)، وهذه نِسَاؤُنَا (فاطمة)»^(١).

وروى القرطبي والسيوطي: «خرج النَّبِيُّ ﷺ بالحسن والحسين وفاطمة تمشي خلفه وعليّ خلفها وهو يقول: «إِن أَنَا دَعَوْتُ فَأَمَّنُوا»^(٢). وفي جامع البيان للطبري: «غدا النَّبِيُّ ﷺ محتضناً حسيناً، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وقال لعليّ: اتبعنا»^(٣). ثم أخذ الرسول ﷺ بيد أخيه وابن عمّه عليّ وفاطمة وحسن وحسين وقال: «هَؤُلَاءِ أَبْنَاؤُنَا وَنِسَاؤُنَا وَأَنْفُسُنَا»^(٤).

ثم وقف للمباهلة قائلاً: «أَللّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي»^(٥). فلَمَّا رَأَى وفد نجران ذلك، امتلأت قلوبهم رُعباً، هيبَةً وجلالة من أهل بيته وعترته، فجعلوا يستترون بالأساطين، ويستتر بعضهم ببعض تخوفاً من أن يبدأهم رسول الله ﷺ بالملاعنة والمباهلة. فلَمَّا جثا رسول الله ﷺ للمباهلة، ولاحت علامات حلول العذاب بالنصارى،

(١) المصدر، روى ابن كثير في التفسير: ٣٧٩/١، والشوكاني في فتح القدير: ٣٤٧/١، عن جابر قال: (أنفسنا وأنفسكم) رسول الله ﷺ وعليّ بن أبي طالب، (وأبناءنا) الحسن والحسين، (ونساءنا) فاطمة صلوات الله عليهم.

(٢) تفسير القرطبي: ١٠٤/٤، الدر المنثور: ٣٩/٢.

(٣) جامع البيان: ٣٠٧/٣.

(٤) شواهد التنزيل: ١٦٤/١.

(٥) مسند أحمد: ١٨٥/١، صحيح مسلم: ١٢١/٧، سنن الترمذي: ٢٩٣/٤، ٣٠٢، السنن الكبرى: ٦٣٧، فتح الباري: ٦٠/٧، الدر المنثور: ٣٩/٢، أسد الغابة: ٢٦/٤، تفسير القرطبي: ١٠٣/٤.

وأيقنوا بالهلاك ، تقدّم إليه السيّد والعاقب وقالوا :

« يا أبا القاسم بمن تباهلنا ؟! »

قال ﷺ : « أباهلكم بخير أهل الأرض ، وأكرمهم على الله » وأشار إلى عليّ وفاطمة والحسين .

قالا : فما نراك جئت لمباهلتنا بأهل الكبر والكثرة ولا أهل الشارة ممّن نرى ممّن آمن بك واتّبعك ؟ وما نرى هاهنا معك إلّا هذا الشاب والمرأة والصبيين ؟ أفبهؤلاء تباهلنا ؟!

قال ﷺ : « أجل ، أباهلكم بهؤلاء ، خير أهل الأرض وأفضل الخلق » .

فذهلوا ، ورجعوا إلى الأسقف زعيمهم ، فقال لهم : « إنّي أرى وجوهاً لو سأل الله بها أحد أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله... وحقّ المسيح إن نطق محمّد بكلمة لا نرجع إلى أهل ولا مال ... ألا ترون الشمس قد تغيّر لونها ، والريح تهبّ هائجة سوداء ، حمراء ، وهذه الجبال يتصاعد منها الدخان ، لقد أطلّ علينا العذاب ... » .

ثمّ أقبلوا إلى الرسول ﷺ وقالوا :

يا أبا القاسم أقلنا أقال الله عثرتك ،

فقال ﷺ : « والذي نفسي بيده إنّ العذاب تدلّى على أهل نجران ، ولو لاعنوا لمسخوا قردهً وخنازير ، ولأضطرم عليهم الوادي ناراً ، ولأستأصل الله نجران وأهله ، حتّى الطير على الشجر ، وما حال الحول على النصارى كلّهم »^(١) .

« والذي بعثني بالحقّ لو فعلوا لأمطر الوادي عليهم ناراً »^(٢) .

(١) إقبال الأعمال : ٣٤٥/٢ ، بحار الأنوار : ٣٢١/٢١ ، حياة الإمام الحسين : ٧١/١ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣٧٩/١ ، زاد المسير : ٣٣٩/١ ، فتح القدير : ٣٤٧/١ .

ثمّ صالحوه على ألفي حلّة في كلّ عام ، وكتب الكتاب عليّ بن أبي طالب عليه السلام (١) (٢).

(١) جامع البيان : ٤٠٧/٣ ، البداية والنهاية : ٦٦/٥ ، تاريخ يعقوبي : ٨٣/٢ .

(٢) ولا يخفى أنّ قبول النبي صلّى الله عليه وآله مصالحتهم ، وإجابته لرغبتهم في عدم المباحلة ، وعدم دعاءه عليهم بالهلاك ونزول العذاب ، دليلٌ على سعة رحمة نبيّنا الأكرم صلّى الله عليه وآله التي فاضت ؛ ثمّ فاضت على أعداء الإسلام (نصارى نجران) ، وكان باستطاعة النبي صلّى الله عليه وآله أن يدعوا الله تعالى عليهم ؛ فيبيدهم من جديد الأرض ، ويمحو آثارهم ، ويهلك حرثهم ، ويستأصل صغيرهم ، ولكنّ رحمته أبت إلا أن يسعهم لطفاً وحناناً . وبهذه الواقعة المهمّة تتجلّى روعة الإسلام ورحمة سيّد الأنام ، على نصارى نجران ، ممّا يدلّ على أنّ هذا الدّين هو دين الرحمة والشفقة والإنسانية ، لا كما يزعمه ساسة كنائس الفاتيكان من أنّ الإسلام قام بالسيف والقوّة !

فهل استعمل النبي صلّى الله عليه وآله السيف والقوّة في نصارى نجران لمّا أتوا إليه معاندين ؛ ثمّ لمّا وقفوا للمباحلة وطلبوا منه أن يقيّلهم ويرحمهم ويعفو عنهم ؟ !

أم هل أكرههم على قبول دين الإسلام ونبذ النصرانية ؟ !

أم هل دعا دينٌ من الأديان الإلهية إلى الرحمة والعفو كما دعا إليه دين الإسلام الحنيف ؟ ؛ بل إنّ الإسلام أوّل مَنْ سَنَّ قانون الرحمة ، فقد بُعث رسول الله محمد صلّى الله عليه وآله حاملاً قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ وقول رسول الله صلّى الله عليه وآله : « إنّ الله رحيمٌ يحبّ كلّ رحيم يضع

يده على كلّ رحيم » و « الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة » ؛

بل أنّ رحمة الإسلام فاضت حتّى على الحيوانات ، وذلك حينما يقول صلّى الله عليه وآله : « مَنْ قَتَلَ عصفوراً بغير حقّ جاء العصفور إلى الله يوم القيامة تشخب أوداجه دماً وهو يقول : إلهي سل هذا فيمّ قتلني ؟ لا هو انتفع بريشي ولحمي ، ولا هو تركني آكل من حشائش الأرض » .

وقال صلّى الله عليه وآله - وقد مرّ على جماعة جلسوا على دوابهم يتحدّثون - : « لا تجعلوا مجالسكم على ظهور دوابكم » .

وقال صلّى الله عليه وآله : « إنّ الله عذّب امرأة في هرّة حبستها حتّى ماتت ، لا هي أطعمتها ولا هي

والسؤال الذي يطرح نفسه

لماذا خرج النبي ﷺ بعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام؟

ولم يخرج بأزواجه؟

ولم يخرج بأُمَّته؟

ولم يخرج بأصحابه؟

ولم يخرج بأقربائه؟!

ألم تكن أمّ سلمة، وزينب، وعائشة، وحفصة... أزواجه ونسائه؟!

ألم تكن بنات أعمامه وعمّاته، من نساءه وحرمه؟!

ألم يكن العباس وبنوه وباقي بني هاشم، أرحامه وأقربائه؟!

ألم يكن أبناء بني هاشم كأبناءه وأولاده؟!

﴿تركتها﴾. فأَيُّ دينٍ دعا إلى الرحمة والصفح كالدين الإسلامي؟! وأيُّ نبيٍّ جسّد الرحمة والصفح بأعداءه كرسول الله محمد ﷺ حينما عفا عن نصارى نجران، وأهل مكّة عام الفتح... وغيرها من المواقف الكثيرة.

ولا ندري أيُّ الأديان دعى إلى السيف والقتل؟ هل دين الإسلام الحنيف الذي ترك اليهود والنصارى يعيشون في بلاده بأمانٍ وسلامٍ وطمأنينة؟! وبينون الكنائس التي بلغ عددها في العراق أكثر من (٤٠٠) كنيسة أم دين النصرانية - اليوم - الذي أحدث الحروب الصليبية، وقتل المسلمين وهدم مساجدهم ونهب حقوقهم وحرّض على قتلهم وإبادتهم، ودعا إلى التفرقة وتمزيق صفوف المسلمين وهاهو تاريخهم - إلى اليوم - مليء بالمجازر والحروب والويلات، وإثارة النعرات والحزازات.

وممّا يدلّ على أنّ الدين الإسلامي هو دين السلم والسلام أنّ القرآن الكريم اشتمل على (١١٤) سورة وأكثر من (٦٠٠) آية ومع ذلك لم ترد فيه كلمة السيف ولا مرّة واحدة ولكنّها وردت في الكتاب المقدّس أكثر من (٤٠٠) مرّة بمشتقّاتها.

ألم يكن سلمان وأبو ذرّ والمقداد وعمّار ... وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير... أصحابه وأُمّته؟!

ألم يكن لهؤلاء قدرٌ ومنزلةٌ عند الله عزّ وجلّ؟! أو عند رسول الله ﷺ .
فلماذا لم يخرج رسول الله ﷺ بهؤلاء ، وقد حضروا كلّهم ، وجميع أهل المدينة براياتهم وشاراتهم ... فتركهم وخرج بخاصّته وحامّته وعترته: عليّ وفاطمة والحسن والحسين ﷺ .

أجل ، إنّما خرج بهؤلاء فقط لأسباب :

١ - قوله ﷺ حينما خرج بهم : « اللهم هؤلاء أهلي - أو - أهل بيتي »^(١) ؛

ومعناه: أنّهم أقرب الخلق إليه ، وأعزّهم عليه ، وأحبّهم لديه .

فلو كان غيرهم كذلك لخرج بهم ، وإذ لم يخرج بغيرهم ، فإنّه يدلّ على اختصاص قوله : « أهلي » بعليّ وفاطمة والحسن والحسين ﷺ ، دون نساءه وأقربائه^(٢) ؛

وبهذا تستحقّ الإمامة والخلافة ، وكفاه دليلاً على طهارتهم وعصمتهم .

٢ - أنّه علّل خروجه بهم بقوله :

(١) مسند أحمد : ١/١٨٥ ، صحيح مسلم : ٧/١٢١ ، مستدرک الحاكم : ٣/١٤٧ ، الدرر المنثور : ٢/٣٩ ، ابن حجر في الإصابة : ٤/٤٦٨ .

(٢) قال القرطبي في (التفسير) : ٤/١٠٤ ، والجصاص في (أحكام القرآن) : ٢/١٨ : أنّ قوله تعالى : ﴿ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا ﴾ دليل على أنّ أبناء البنات يسمّون أبناء ، وذلك أنّ النبي ﷺ جاء بالحسن والحسين وفاطمة تمشي خلفهم ، وعليّ خلفها وهو يقول : (إن أنا دعوت فأمنوا) . وقال الشوكاني في (فتح القدير) : ١/٣٤٧ : وفيه دليل على أنّ أبناء البنات يُسمّون أبناء ، لكونه ﷺ أراد بالأبناء الحسينين .

«هؤلاء خير أهل الأرض، وأكرمهم على الله، وأفضل الخلق».

ولا زمه عدم وجود من هو مثلهم في أمته، لا من أزواجه، ولا من أقربائه، ولا من غيرهم.

ولو وجد من هو أكرم منهم أو مثلهم، لخرج به، وإذ لم يخرج بغيرهم، فإنه يدل على أنهم أفضل الخلق وأكرمهم على الله تعالى.

وبهذا تستحق الإمامة والخلافة، وكفاه دليلاً على طهارتهم وعصمتهم.

٣ - قوله لهم حينما خرج بهم: «إِذَا أَنَا دَعَوْتُ فَأَمَّنُوا»^(١).

فجعل تأمينهم على دعائه سبباً متمماً لدعائه، والتأمين لا يصح إلا من المساوي للداعي.

وفي هذا أعظم برهان على أن لعلي وفاطمة والحسن والحسين ما لرسول الله من الفضل والمقام عند الله تعالى، سوى النبوة التي استثنائها وختمها.

ويشهد لذلك قوله تعالى في آية التطهير: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

حيث أشركهم مع النبي ﷺ في الطهارة، التي جمعت كل الكمالات الخلقية والدينية والعقلية.

ولو وجد في أمته من يقبل الله تأمينه على دعائه، لوجب على النبي ﷺ إخراجه للمباهلة، استتماماً لسبب الدعاء.

فلما لم يخرج غيرهم دل على أنهم الأفضل والأكمل والأكرم على الله تبارك

(١) تفسير القرطبي: ١٠٤/٤، تفسير الجلالين: ٧٥، شواهد التنزيل: ١/١٦٦، الدر المنثور:

وتعالى ، وبهذا تستحق الإمامة والخلافة، وكفاه دليلاً على طهارتهم وعصمتهم.

عليّ نفس رسول الله ﷺ

وفي هذه الآية دلالة صريحة على أنّ الله سبحانه وتعالى قرن عليّاً ﷺ برسول الله ﷺ وجعله نفسه .

ولم يكن الله تعالى ليقرن بنبيّه رجلاً يعصيه ولو طرفة عين ، بل لم يكن يقرن بنبيّه إلّا مَنْ كان بمرتبة في الإيمان والتقوى .

وفي هذا نصّ صريح على عصمة عليّ ﷺ وطهارته كرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

ولو لم يكن عليّ ﷺ طاهراً من الذنوب، نقيّاً من العيوب ، لما قرنه الله بنبيّه ، بل إنّ الله تعالى ذكر في كتابه المجيد، أنبياءه الكرام ورسله العظام ولم يقرن أحداً منهم برسوله الكريم ، ولا غيرهم من المؤمنين والصحابة، إلّا عليّاً وولده الطاهرين ﷺ ، كما في آية التطهير ، وآية المباهلة ، وغيرهما، ممّا يدلّ على اشتراكهم مع رسول الله ﷺ في جميع الكمالات، سوى النبوة، لقوله ﷺ : « لا نبي بعدي » .

وقد عُدّت هذه المنقبة أعظم وأجلّ ما سجّله القرآن الكريم لعليّ بن أبي طالب ﷺ ، إذ ليس فوق رسول الله ﷺ شرف ولا مجد ، وقد حاز ذلك أمير المؤمنين عليّ ﷺ ، حينما جعله الله تعالى نفس رسول الكريم ، وهي أعزّ الأنفس وأحبّها إلى الله جلّ جلاله .

وإلى هذه المنقبة الجليلة أشار الإمام عليّ بن موسى الرضا ﷺ ، فيما رواه

الشيخ المفيد رحمه الله :

قال المؤمن يوماً للإمام الرضا عليه السلام: «أخبرني بأكبر فضيلة لأمر المؤمنين عليه السلام يدل عليها القرآن.

فقال له الإمام الرضا عليه السلام:

«فضيلته في المباهلة، قال الله جلّ جلاله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾»^(١).

فدعا رسول الله ﷺ الحسن والحسين عليهما السلام فكانا ابنيه ودعا فاطمة عليها السلام فكانت نساءه ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم الله عز وجل.

وقد ثبت أنه ليس أحد من خلق الله سبحانه أجل من رسول الله ﷺ وأفضل منه، فوجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله ﷺ بحكم الله عز وجل. فقال المؤمن: أليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع، وإنما دعا رسول الله ﷺ ابنيه خاصة، وذكر النساء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول الله ﷺ ابنته وحدها، فلم لا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه، ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره فلا يكون أمير المؤمنين عليه السلام ما ذكرت من الفضل.

فقال له الإمام الرضا عليه السلام: «ليس بصحيح ما ذكرت، لأن الداعي إنما يكون داعياً لغيره، كما يكون الأمر أمراً لغيره، ولا يصح أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة كما لا يكون أمراً لنفسه في الحقيقة، وإذا لم يدع رسول الله ﷺ رجلاً في المباهلة إلا أمير المؤمنين عليه السلام فقد ثبت أنه نفسه التي عناها الله تعالى في كتابه وجعل حكمه ذلك في تنزيله».

(١) سورة آل عمران: ٦١.

فقال المأمون: «إذا ورد الجواب سقط السؤال»^(١).

قال العلامة الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ):

«وفيه - أي المباهلة بعلي عليه السلام - دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليه السلام».

وفيه برهان على صحة نبوة النبي ﷺ، لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك»^(٢).

وقال القندوزي الحنفي (ينابيع المودة):

«فمن هذه الدلائل ثبت أنه ﷺ أدخل نفسه المقدسة المكرمة المباركة في آله، فمن صلى أو سلم على آله كآله صلى وسلم عليه، لأنه منهم وهم منه، ومن صلى أو سلم عليه بضم آله فقد أكمل الصلاة والسلام عليه»^(٣).

مواطن أخرى

وقد صرح بذلك رسول الله ﷺ في مواطن شتى، مؤكداً ما جاء به الكتاب العزيز، ومبيناً لأصحابه وللأمة منزلة عليّ منه.

فقد روى أكابر العامة ومحدثوهم أحاديثاً صحيحة في أن رسول الله ﷺ صرح بأن علياً منه كنفسه

(١) الفصول المختارة: ٣٨.

(٢) الكشف: ١/٣٦٨ - ٣٧٠، عنه الطرائف: ٤٣.

(٣) ينابيع المودة: ٤٣/١.

منها :

ما رواه الحاكم النيسابوري والزمخشري والنسائي والهيثمي وابن عبد البر وغيرهم، أن رسول الله ﷺ قال :

«لبنتهين بنو وليعة ، أو لأبعثن عليهم رجالاً كنفسي ، ينفذ فيهم أمري ، فيقتل المقاتلة ، ويسبي الذرية ، وهو هذا، ثم ضرب بيده على كتف علي بن أبي طالب»^(١).

ومنها :

ما رواه المتقي الهندي ، عن عمرو بن العاص، قال :
«لما قدمت من غزوة ذات السلاسل ، وكنت أظن أن ليس أحد أحب إلي رسول الله ﷺ مني .

فقلت : يا رسول الله أي الناس أحب إليك ؟ - فذكر في كثر العمال أناساً إلى أن قال - قال عمرو بن العاص : فقلت يا رسول الله فأين علي ؟
فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه وقال :
«إن هذا يسألني عن النفس»^(٢).

وعن عائشة ، قالت : من خير الناس بعدك يا رسول الله ؟
قال ﷺ : «علي بن أبي طالب، هو نفسي وأنا نفسه»^(٣).

(١) المستدرك على الصحيحين : ١٢٠/٢ ، مجمع الزوائد : ١١٠/٧ ، المصنف لابن أبي شيبة : ٥٠٦/٧ ، المعجم الأوسط : ١٣٣/٤ ، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام : ٨٩ ، السنن الكبرى : ١٢٧/٥ ، كنز العمال : ٤٤١/٤ ، ينابيع المودة : ٤٢/١ .

(٢) كنز العمال : ١٤٣/١٣ ، المناقب للموفق الخوارزمي : ١٤٨ .

(٣) المناقب للموفق الخوارزمي : ١٤٨ .

وروى المحبّ الطبري ، عن أنس ، قال : « قال رسول الله ﷺ : « ما من نبي إلا وله نظير في أمته ، وعليّ نظيري »^(١) .

وكلّ هذه تدلّ على أنّ عليّ عليه السلام ما لرسول الله ﷺ من : العصمة والولاية والإمامة ، والتقدمة على الأمة في أمور الدّين والدّنيا ، إلّا ما استثناه رسول الله ﷺ من النبوة .

(١) الرياض النضرة : ١٣٥/٣ ، ذخائر العقبى : ٦٤ ، جواهر المطالب : ٦١/١ ، ينابيع المودة :

[ثانياً]

النصوص النبوية على عصمتهم

فقد بلغت في الكثرة حدّاً أنّك لا تجد حديثاً
 في فضائلهم ومناقبهم إلّا وفيه دلالة على عصمتهم
 إمّا بلفظ العصمة، أو بلفظ الهداية، أو بلفظ الطّهارة
 أو بجعل الهدى في اتّباعهم والتّمسك بهم، وكلّها صريحة
 في عصمتهم ووجوب اتّباعهم صلوات الله وسلامه عليهم .

[١]

حديث الثقلين العظيمين

«إني تارك فيكم ما إن أخذتم به ، تمسكتم به لن تضلّوا بعدي^(١): الثقلين أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض فيه الهدى والنور ، وعترتي أهل بيتي ، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، فانظروني كيف تخلفوني فيهما ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي»^(٢).

وهذا من أصرح الأحاديث ، وأصحّ الأخبار عند الفريقين ، الدالة على عصمة العترة الطاهرة ، أهل بيت الرسول الأكرم ﷺ ، أولهم أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام . فهو المنتمي إلى رسول الله ﷺ بسببين :
الأول : النسب الطاهر .

والثاني : المصاهرة الميمونة .

فهو أوّل أهل بيت رسول الله ﷺ دخولاً في حديث الثقلين ، وهو سيّد العترة وأبوها .

وبه أقرّ ابن حجر الهيتمي في صواعقه على ما سيأتي إن شاء الله تعالى .

(١) وردت هذه الفقرات في : مسند أحمد بن حنبل : ٥٩/٣ ، المعجم الصغير : ١٣٥/١ ، المعجم الأوسط : ٨٩/٥ ، المعجم الكبير : ٦٥/٣ ، سنن الترمذي : ٣٢٨/٥ ، ٣٢٩ ، تفسير ابن كثير : ١٢٣/٤ ، الدر المنثور : ٦٠/٢ ، أسد الغابة : ١٢/٢ وغيرها .

(٢) ستأتي مصادر هذا الحديث الشريف بالفاظه الكثيرة المتعددة في الفصل السادس إن شاء الله تعالى .

دلالات حديث الثقلين

- ودلالة هذا الحديث الشريف على عصمة أهل البيت عليهم السلام أوضح من أن تُذكر :
- ١ - فإنَّ الرسول الكريم ﷺ عطف العترة الطاهرة على الكتاب العزيز ، ولا شكَّ أنَّ الكتاب العزيز طاهر من كلِّ عيب وريب ، فكذلك عليٌّ عليه السلام وباقي العترة .
- ٢ - وكذلك الإخبار بعدم افتراق العترة عن الكتاب ، دالٌّ على عصمة العترة الطاهرة ، لأنَّها لو كانت تعصي وتخطأ ، لأفترقت عن الكتاب ، وما كانت معه .
- وحيث أنَّ النَّبي ﷺ أخبر بعدم افتراقهما إلى ورود الحوض ، فإنَّه يدلُّ على عصمة العترة من الذنوب وطهارتها من العيوب ، كما أنَّ الكتاب العزيز كذلك .
- ٣ - وأصرح من كلِّ ذلك قوله ﷺ : « ما إن أخذتم به وتمسكتم به لن تضلوا بعدي » حيث جعل التمسك بالعترة هُدى من الضلال ، وأماناً من الانحراف كما أنَّ التمسك بالكتاب العزيز كذلك .
- وهذا نصٌّ صريحٌ في كون العترة معصومةً من الذنوب والخطأ والضلال .
- ولو لم تكن كذلك لم يكن التمسك بها عاصماً من الضلال ، بل كان مؤدياً إلى الضلال ، وهو خلفٌ .
- ٤ - بل : إنَّ أمر النَّبي ﷺ بالتمسك بالعترة والأخذ بها ، كافٍ وحده في ثبوت العصمة لهم ، لأنَّه ﷺ لا يأمر بالتمسك بمن يُحتمل منه الضلال ، بل يأمر بالتمسك بمقطوع الهدى والنَّجاة ، وهذا لم يثبت إلَّا في آل محمد ﷺ ، وهم أهل بيت العصمة والطهارة ، أولهم أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام وبهذا ومثله ثبتت عصمته وعصمة أولاده الأئمة الطاهرين .
- وستأتي باقي دلالات هذا الحديث الشريف مفصلاً في محله إن شاء الله تعالى .

[٢]

روى الشيخ الصدوق (ت: ٣٢٩هـ) بسنده عن الأصبع بن نباتة عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين

مطهرون معصومون »^(١).

ورواه الخزاز القمي، والقندوزي الحنفي، وقال: أخرجه الحموي^(٢). وهذا نصّ على عصمتهم وطهارتهم من كلّ رجس وذنوب وقبيح.

[٣]

وروى الخزاز القمي (ت: ٤٠٠هـ) بسنده إلى طاووس اليماني، عن ابن عباس قال: دخلت على رسول الله ﷺ.... فقلت: يا رسول الله فكم الأئمة بعدك؟

قال: « بعدد حوارى عيسى، وأسباط موسى، ونقباء بني إسرائيل ».

قلت: يا رسول الله فكم كانوا؟

قال: « كانوا اثني عشر، والأئمة بعدي اثنا عشر:

أولهم عليّ بن أبي طالب .

وبعده سبطاي الحسن والحسين .

فإذا انقضى الحسين فابنه علي .

فإذا انقضى عليّ فابنه محمد .

فإذا انقضى محمد فابنه جعفر .

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٦٥/٢، كمال الدين وتمام النعمة: ٢٨٠.

(٢) ينابيع المودة: ١١٦/٢، و: ٢٩١/٣، كفاية الأثر: ١٩.

فإذا انقضى جعفر فابنه موسى .

فإذا انقضى موسى فابنه علي .

فإذا انقضى علي فابنه محمد .

فإذا انقضى محمد فابنه علي .

فإذا انقضى علي فابنه الحسن .

فإذا انقضى الحسن فابنه الحجة .»

قال ابن عباس : يا رسول الله أسامي لم أسمع بهنّ ؟

فقال لي : « يا ابن عباس هم الأئمة بعدي ، أمناء معصومون نجباء أخيار »^(١).

[٤]

وروى الخزّاز القميّ بسنده عن محمد بن ليث قال :

لما قبض رسول الله ﷺ كانت فاطمة تأتي إلى قبور الشهداء وتأتي قبر حمزة رضي الله عنه وتبكي هناك ، فلما كان بعض الأيام أتيت قبر حمزة رضي الله عنه فوجدتها صلوات الله عليها تبكي هناك ، فأمهلتها حتى سكنت ، فأتيتها وسلّمت عليها وقلت لها :

يا سيّدة النّسوان قد قطّعت أنياب قلبي ... إنني أسألك عن مسألة تلجلج في

صدري .

قالت : سل .

قلت لها : هل نصّ رسول الله ﷺ قبل وفاته عليّ بالامامة ؟

قالت : « وا عجابه ؟ أنسيتم يوم غدير خم ؟ »

قلت: قد كان ذلك ولكن أخبريني بما أسر إليك .

قالت: أشهد الله تعالى لقد سمعته يقول :

« عليّ خير من أخلفه فيكم ، وهو الإمام والخليفة بعدي ، وسبطاي وتسعة من صلب الحسين أئمة أبرار ، ولأن اتبعوهم وجد توهم هادين مهدين ، ولأن خالفوهم ليكون الاختلاف فيكم إلى يوم القيامة »^(١).

[٥]

وروى الخزار القمي بإسناده إلى عمّار قال :

لما حضر رسول الله ﷺ الوفاة دعا بعليّ عليه السلام فسار طويلاً ثم قال : « يا عليّ أنت وصيي ووارثي ، قد أعطاك الله علمي وفهمي ، فإذا مت ظهرت لك ضغائن في صدور قوم ، وغضب على حقد ، فبكت فاطمة وبكى الحسن والحسين عليه السلام .

فقال لفاطمة : يا سيّدة النّسوان ممّ بكاؤك ؟

قالت : يا أبه أخشى الضّيعة بعدك .

قال : أبشري يا فاطمة فإنك أول من يلحقني من أهل بيتي ، لا تبكى ولا تحزني فإنك سيّدة نساء أهل الجنة ، وأباك سيّد الأنبياء ، وابن عمّك خير الأوصياء ، وابنك سيّد شباب أهل الجنة ، ومن صلب الحسين يخرج الله الأئمة التسعة مطهرون معصومون ، ومنهم مهديّ هذه الأئمة »^(٢).

[٦]

قال العلامة القندوزي الحنفي (ت: ٢٩٤هـ) في (إعجاز القرآن) ما نصّه :

(١) كفاية الأثر: ١٩٨.

(٢) كفاية الأثر: ١٢٤.

« في الكبريت الأحمر للشيخ علاء الدولة السمناني رحمته الله روى محمد بن عليّ الحكيم الترمذي والطبراني والبيهقي وأبو نعيم الحافظ عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ قَسَمِينَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمَا قِسْماً فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « أَصْحَابُ الْيَمِينِ » « وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ » فَأَنَا مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، وَأَنَا خَيْرُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، ثُمَّ جَعَلَ الْقَسَمِينَ ثَلَاثاً؛ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا ثَلَاثاً، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « أَصْحَابُ الْمِيْمَةِ » « وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ » « وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ » فَأَنَا مِنَ السَّابِقِينَ وَأَنَا خَيْرُ السَّابِقِينَ ، ثُمَّ جَعَلَ ثَلَاثَ قَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا قَبِيلَةً وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » ^(١) فَأَنَا أَتْقَى وَلَدِ آدَمَ وَأَكْرَمِهِمْ عَلَى اللَّهِ وَلَا فَخْرَ ، ثُمَّ جَعَلَ الْقَبَائِلَ بِيَوْتاً فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا بَيْتاً فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » فَأَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي مُطَهَّرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ » ^(٢) .

[٧]

وفي زيارة الجامعة الكبيرة ، عن الإمام الهادي عليه السلام :

« عَصَمَكُمْ اللَّهُ مِنَ الزَّلَلِ ، وَأَمَنَكُمْ مِنَ الْفِتَنِ ، وَطَهَّرَكُمْ مِنَ الدَّنَسِ وَأَذْهَبَ عَنْكُمْ الرَّجْسَ ، وَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً » ^(٣) .

[٨]

وقد صحَّ عن النَّبِيِّ ﷺ قوله في عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) اعجاز القرآن : ١٦٣ .

(٣) من لا يحضره الفقيه : ٦١١/٢ .

« عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ ، يدور معه حيثما دار

لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض يوم القيامة »^(١).

قال ابن أبي الحديد (ت: ٦٥٦ هـ): « ثبت عندي أنّ النبي ﷺ قال:

«إنّه مع الحقّ والحقّ معه يدور معه حيثما دار»^(٢).

وبه قال أحمد بن حنبل ، كما رواه ابن عساكر قال:

حدّثنا أحمد بن عيسى وهو من ثقات شيوخ شيوينا قال: سمعت أحمد بن سعيد الرباطي يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: «لم يزل عليّ بن أبي طالب مع الحقّ والحقّ معه حيث كان»^(٣).

قال الفخر الرازي في تفسيره: وقد ثبت بالتواتر أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالتسمية (أي البسملة) ومن اقتدى بعليّ في دينه فقد اهتدى ، لقوله ﷺ: « اللهم أدرك الحقّ مع عليّ حيث ما دار »^(٤).

دلالة الحديث على عصمته

إنّ الحقّ إذا لازم شخصاً بهذه الملازمة بحيث يدور معه حيث ما دار دل على عصمة ذلك الشخص من الذنوب والقبائح ، لأنّ الحقّ لا يدور ولا يلزم الفاسق

(١) تاريخ بغداد: ٣٢٢/١٤، مجمع الزوائد: ٢٣٥/٧، المعيار والموازنة: ٣٥، ١١٩، ٣٢١،

شرح نهج البلاغة: ٢٩٧/٢، ٧٢/١٨، تاريخ مدينة دمشق: ٤٤٩/٤٢، الإمامة والسياسة:

٩٨/١، البداية والنهاية: ٣٩٨/٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٨٨/٩.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٤١٩/٤٢.

(٤) التفسير الكبير: الجزء الأوّل، تفسير فاتحة الكتاب.

المذنب العاصي ، لأنّ الفسق والذنوب والمعصية من الباطل وهو لا يجتمع مع الحقّ. ولما ثبت على لسان النّبي ﷺ ملازمة الحقّ لشخص عليّ عليه السلام وعدم مفارقتها له وجب أن يكون عليّ معصوماً طاهراً مطهراً طيلة حياته .

وإذا ثبتت عصمة عليّ عليه السلام فقد وجب أن يكون وصياً وإماماً وخليفةً ، لأنّ العصمة لم تثبت إلّا لنبيّ أو وصي ، وحيث لا نبيّ بعد رسول الله ﷺ فيتعيّن أن يكون عليّ عليه السلام وصياً وإماماً بلا فصل .

وأيضاً : مع ثبوت عصمته يكون الاقتداء به موجبا للهدايه وأماناً من الغواية ، فتتعيّن امامته وخلافته ووجوب الاقتداء به .

وفي قوله ﷺ « يدور معه حيث ما دار »؛ دلالة زائدة على عصمته وأحقّيته وهي : أنّ الحقّ لا يعرف إلّا بعليّ عليه السلام . وفيه نصّ صريح على أنّ فعله حجة على غيره ؛ لأنّ كلّ ما يصدر منه يكون حقّاً .

ويؤيّد قوله ﷺ لعنّار : « ياعمّار لو سلك الناس وادياً وسلك عليّ وادياً فاسلك مع عليّ فإنّه لن يُدليك إلّا ضلال ولن يخرجك من هدى » (١).

وهذا نصّ زائد على عصمته وطهارته ووجوب التسليم له والاتباع والاقتداء به .

[٩]

وقوله ﷺ :

« عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض » (٢).

(١) بحار الانوار: ٢٨ / ٦٨ ، مجمع البيان: ٤ / ٤٥٣ .

(٢) المستدرک على الصحيحين: ٣ / ١٢٤ ، مجمع الزوائد: ٩ / ١٣٤ ، المعجم الصغير: ١ / ٢٥٦ ،

المعجم الأوسط: ٥ / ١٣٥ ، كنز العمال: ١١ / ٦٠٣ ، فيض القدير: ٤ / ٤٧٠ .

قال الحاكم النيسابوري (ت: ٤٥٠ هـ): هذا حديث صحيح الإسناد. وهذا الحديث واضح الدلالة على عصمة عليّ سلام الله عليه وذلك لأنّ النبي ﷺ قرنه بالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وحُكْمُ النبي ﷺ بعدم افتراق القرآن عن عليّ عليه السلام دليل على ملازمة القرآن لعليّ طيلة حياته، ومن كان كذلك كان معصوماً من الذنوب طاهراً من العيوب، إذ لو صدر منه ذنب وإن قلّ لم يكن ملازماً للقرآن ولكان مفارقاً له. ومع ثبوت ملازمته للقرآن تثبت عصمته، ومع ثبوت عصمته تثبت إمامته وخلافته، إذ العصمة لا تكون إلاّ للنبيّ أو وصي. وفي الحديث دلالة صريحة على أنّ كلّ من عادا علياً أو فارقه أو خالفه كان معادٍ للقرآن ومفارقاً له.

[١٠ و ١١]

وقوله ﷺ في عليّ عليه السلام يوم خيبر:

«لأُعْطِينَ الرّايَةَ رجلاً يحبّه الله ورسوله، ويحبّ الله ورسوله»

كزار غير فزار، لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه»، فأعطاها علياً عليه السلام^(١).

وقوله ﷺ في حديث الطائر المشوي:

«اللهمّ انتني بأحبّ الخلق إليك يأكل معي هذا الطائر».

فجاء عليّ عليه السلام فأكل معه^(٢).

(١) نيل الأوطار: ٥٥/٨، ذخائر العقبى: ٧٣، فضائل الصحابة: ١٦، مسند أحمد بن حنبل:

٩٩/١، ١٨٥، ٥٢/٤، صحيح البخاري: ٧٦/٥، صحيح مسلم: ١٩٥/٥، ١٢٠/٧، ١٢٢،

سنن الترمذي: ٣٠٢٥.

(٢) سنن الترمذي: ٣٠٠/٥، المستدرک على الصحيحين: ١٣٠/٣، ١٣٢، مجمع الزوائد:

وهذان الحديثان الصحيحان من أصرح الأحاديث الدالة على عصمة أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام ، وبيان ذلك :
إنّ الذنب والمعصية مبعوضة لله تعالى لما فيها من مخالفته والتجرّي عليه تعالى .

وإذا كان الذنب مبعوض لله تعالى فكذلك فاعله .
وحيث أنّ الرسول ﷺ شهد بحبّ الله تعالى لعلي عليه السلام مطلقاً في كلّ أزمان حياته ، بل إنّ علياً عليه السلام أحبّ الخلق إلى الله تعالى ، فإنّه يدلّ على أنّ علياً عليه السلام لم يقترب سيّئة ولا معصية طيلة حياته .
إذ لو علم الله سبحانه من عليّ أنّه ارتكب أو سيرتكب ذنباً أو معصية ، أو أمراً مبعوضاً لله تعالى ، لما أحبه الله تعالى ، ولا رسوله ﷺ ، فضلاً عن أن يكون « أحبّ الخلق إليهما » .

فلا بدّ من القول بأنّ علياً عليه السلام معصومٌ من كلّ ذنب ، نقيّاً من كلّ عيب ، بريئاً من كلّ ريب ، فيكون الحديث نصّاً على عصمته وطهارته .
ومن كان كذلك صار إماماً وخليفة بعد النبي ﷺ بلا فصل ، لأنّ العصمة من صفات الأنبياء والأوصياء خاصّة .
وقد تضمّن حديث الراية معجزةً باهرةً دلّت على إمامة عليّ عليه السلام وذلك : لما قلع باب الحصن في خيبر الذي لم يقوى على حمله سبعون رجلاً وحمله بيده وجعله جسراً عبر عليه المسلمون .

فكانت هذه إحدى دلائل إمامته بل دلائل حُبِّ الله تعالى له ومؤيِّداً لقول النبي ﷺ ، فإنَّ من علامات الإمام إظهار المعجز والكرامة وقد تحقَّق ذلك لعليّ ﷺ في خيبر .

مناظرة الإمام الباقر ﷺ مع ابن الأزرق

وبهذا استدللَّ الإمام الباقر ﷺ على عبدالله بن نافع، فيما رواه ابن شهر آشوب في المناقب، قال :

كان عبدالله بن نافع بن الأزرق يقول : « لو عرفت أنَّ بين قطريها أحداً تبلغني إليه الإبل يخصمني بأنَّ علياً قتل أهل النهروان وهو غير ظالم لرحلتها إليه » .

ف قيل له : إئت ولده محمَّد الباقر . فأتاه ، فسأله . فقال ﷺ بعد كلام : « الحمد لله الذي أكرمنا بنبوته ، واختصنا بولايته ، يامعشر أولاد المهاجرين والأنصار من كان عنده منقبة في أمير المؤمنين فليقم فليحدِّث » .

فقاموا ونشروا من مناقبه ، فلمَّا انتهوا إلى قوله ﷺ : « لأعطين الراية... الخبر » سأله أبو جعفر عن صحَّته .

فقال : هو حقٌّ لا شكَّ فيه ، ولكن علياً أحدث الكفر بعدُ .

فقال أبو جعفر ﷺ : أخبرني عن الله ، أحبَّ عليٍّ بن أبي طالب يوم أحبه وهو يعلم أنَّه يقتل أهل النهروان ، أم لم يعلم ؟ إن قلت لا ، كفرت .

فقال : قد علم .

قال ﷺ : فأحبه علي أن يعمل بطاعته أو على أن يعمل بمعصيته ؟

قال : على أن يعمل بطاعته .

فقال أبو جعفر عليه السلام: قم مخصوماً.

فقام وهو يقول: «حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ» ^(١) «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» ^(٢) ^(٣).

وإذا كان علي عليه السلام كذلك ، فقد صار معصوماً من الزلل ، نقياً من الخلل ، طاهراً من كل عيب ، مفطوماً من كل ريب.

وإذا صار علي معصوماً فقد وجبت له الخلافة والإمامة ، لأنه يكون مأموناً على دينه ودينه ، من الخلل والزلل والخطأ والظلم فيجب الاقتداء به تحصيلاً للهداية ، وهو معنى الإمامة ولم يثبت ذلك في حق غيره من الصحابة .

إلى العشرات من النصوص الدالة على عصمته وطهارته ، على حدّ عصمة رسول الله ﷺ وطهارته ؛ كحديث المؤاخاة الدالّ على مساواته لرسول الله ﷺ في الكمالات الدينية ومنها: العصمة من الذنوب ، وليس المراد من المؤاخاة الأخوة النسبية ، لأنه ابن عمّه .

وكحديث المنزلة الدالّ على مساواته لرسول الله ﷺ في كل شيء عدا النبوة ، كما كان هارون مساوياً لأخيه موسى عليهما السلام في كل شيء .

ولعمري إن من ورد فيه ما ورد ، لجديراً بالإمامة ، والخلافة والزّعامة ، ولهو أولى ممن لم يثبت له عشر معشار ذلك ، بل هو أحقّ ممن لم تثبت له سابقة في الدين ، ولا قدم في الإسلام ، ولا حظ في القرآن ، ولا موقف في حرب .

(١) سورة البقرة: ١٨٧ .

(٢) سورة الأنعام: ١٢٤ .

(٣) المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ٣٣٢ ، بحار الأنوار: ١٠ / ١٥٧ .

عصمتهم في سيرتهم العملية

ومع غضّ النظر عن النصوص القرآنية والنّبويّة على عصمتهم ، فإنّ سيرتهم تشهد بأنّ الله تعالى قد طهّرهم من كلّ عيب ، وعصمهم من كلّ ريب ، ونزّههم من الخلل ، وأبعدهم من الزّلل .

فها هو التاريخ - الذي كتبه أعداء عليّ عليه السلام (بنو أميّة وبنو العبّاس) قد سجّل لعليّ عليه السلام وأولاده كلّ صغيرة وكبيرة ، منذ صغرهم وحتىّ شهادتهم ، فلم يذكر لهم ذنباً ولا معصيةً ، بل ولا مخالفةً لله ورسوله ﷺ ، ممّا يدلّ على أنّ الله تعالى قد عصمهم من كلّ قبيح طيلة حياتهم .

بل كانوا أسرع الخلق إلى الطاعات ، وأسبقهم إلى المكرمات ، وأبعدهم عن الشبهات .

فهذا عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ! قد كفله رسول الله ﷺ صغيراً ، واصطحبه كبيراً ، وأدّبه بآدابه ، وخلّقه بأخلاقه ، وزوّجه حبيبته ، واستودعه سرّه ، وآخاه من بين أصحابه ، واستوزره على أمّته ، فكان عليّ عليه السلام يتبعه « أتباع الفصيل اثر أمّه... » كما قال هو عليه السلام : « يرفع لي في كلّ يوم علماً من أخلاقه » .

شدة طاعته للنبي ﷺ :

وكان أطوع الصحابة لرسول الله ﷺ .

فقد روى مسلم النيسابوري في صحيحه ، عن أبي هريرة قال :

« لما أعطى رسول الله ﷺ الراية لعليّ يوم خيبر ، قال له : « إمّش ولا تلتفت حتىّ يفتح الله عليك » ، فسار عليّ قليلاً ، ثمّ وقف ولم يلتفت - خشية أن يعصي رسول الله صلى الله عليه وآله - فصرخ : « يا رسول الله على ماذا أقاتلهم ؟ »

قال ﷺ: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»^(١).
فانظر إلى شدة طاعته لرسول الله ﷺ حيث لم يلتفت بوجهه خشية أن يعصي
النبي ﷺ.

شهادة القرآن الكريم لعلي عليه السلام

وقد شهد الله تعالى له بالإيمان والتقوى في قوله تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ
كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ»^(٢).
فقد روى الواحدي، والطبري، قالوا: «نزلت بالمدينة في علي بن أبي طالب
والوليد بن عقبة بن أبي معيط».
كان بين علي عليه السلام والوليد كلام.
فقال الوليد: أنا أبسط منك لساناً، وأحد سناناً، وأردى للكتيبة.
فقال علي عليه السلام: أسكت، فإنك فاسق.
فأنزل الله: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ»^(٣).
قال أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨ هـ):
«فشهد الله جلّ وعزّ علي بن أبي طالب بالإيمان والجنة»^(٤).
وهذه الشهادة بالإيمان المطلق لعلي عليه السلام وحده لا تصحّ إلا إذا كان معصوماً

(١) صحيح مسلم: ١٢١/٧.

(٢) سورة السجدة: ١٨.

(٣) تفسير الطبري: ١٢٩/٢١، أسباب النزول: ٢٣٥.

(٤) معاني القرآن: ٣٠٧/٥.

طاهراً ، لأنّه لو كان ممّن يعصي ولو طرفة عين لم يصفه الله بالمؤمن ، كما لم يصف الوليد بذلك لعصيانه وفسقه .

والحاصل :

أنّ التاريخ نزّه عليّاً وأولاده (عليهم السلام) من كلّ ذنب ومعصية ، فلم يذكر لهم هفوة ولا زلّة ، وكفى به دليلاً على أنّ الله قد عصمهم من الرجس ، وطهرهم تطهيراً ، فصلوات الله وسلامه عليهم أبداً كثيراً .

والحمد لله ربّ العالمين

وصلّى الله على نبينا محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين

فهرس المواضيع

٧	الإهداء
٨	المقدمة

الفصلُ الأولُ تعريفُ الإمامةِ

٢١	١ - الإمامةُ في اللغةِ
٢٣	٢ - الإمامةُ في الاصطلاحِ
٢٧	٣ - وُجوبُ عَقْدِ الإمامةِ
٣٠	[أَدَلَّةُ الموجِبِينَ للإمامةِ]
٣٠	القسم الأول
٣٠	١ - الإمامية
٣١	٢ - المعتزلة البغداديون والجاحظ - من معتزلة البصرة -
٣٢	القسم الثاني : العامة وباقي المعتزلة

الفصل الثاني

ضرورة الإمامة

- ١ - الإمامة سنة إلهية ٤١
- شهادة الأحاديث الشريفة ٤٢
- التصوُّص على أسماء الأوصياء الماضين ٤٥
- أمرُ الله تعالى نبيِّنا ﷺ بالإقتداء بالأنبياء السابقين ٥٩
- مع الفخر الرازي (ت: ٧٠٧ هـ) ٥٩
- أولوية الوصيَّة والخلافة في الدين الإسلامي ٦٢
- إختصاص الخلافة بأهل بيت الانبياء ٦٣
- ٢ - الإمامة سنة طبيعية ٦٥
- في الأفلاك ٦٥
- في المعادن ٦٦
- في الحيوانات ٦٦
- من عجيب ما وقع للحيوانات ٦٧
- مناظرة هشام بن الحكم (ت: ١٩٧ هـ) ٧٠
- ٣ - الإمامة سنة بشرية ٧٤
- أمَّا أبو بكر ٧٧
- وأمَّا عمر بن الخطاب ٧٩
- بل وحتى أبو بكر ؟ ٨١
- وغيرهم أيضاً ٨٢

- ٨٤ إحتجاج الشيخ الصدوق عليه السلام (ت: ٣٨١ هـ)
- ٨٦ إحتجاج المأمون العباسي (ت: ٢١٨ هـ)

الفصل الثالث

مقاصد الإمامة

- ٩١ [مقاصد الإمامة]
- ٩٥ الأول: من أسباب إقامة الدين
- ٩٥ [الحفاظ على القرآن الكريم والسنة الشريفة]
- ٩٦ [١] جهود أمير المؤمنين علي عليه السلام في الحفاظ على القرآن الكريم
- ٩٦ ١ - قرائته وروايته للأمة
- ١٠٢ ٢ - دور الإمام علي عليه السلام في جمع القرآن الكريم
- ١٠٤ ٣ - دور أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم في تفسير القرآن الكريم
- ١١١ جهود أخرى
- ١١٥ [٢] جهود أهل البيت عليهم السلام في حفظ السنة النبوية الشريفة
- ١١٦ أئمة أهل البيت: أول من كتب الحديث في الإسلام
- ١١٧ ٧٧ - صحيفة علي عليه السلام
- ١١٩ ٧٨ - كتاب علي عليه السلام
- ١٢٨ ٧٩ - نهج البلاغة
- ١٢٨ ٨٠ - عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشر النخعي
- ١٢٩ ٨١ - كتاب في أبواب الفقه

- ٨٢ - كتاب في زكاة الغنم ١٢٩
- ٨٣ - وصيته لمحمد بن الحنفية ١٢٩
- ٨٤ - كتاب عجائب أحكامه ١٢٩
- ٨٥ - دعاء الصباح ١٣٠
- ٨٦ - دعاء كميل ١٣٠
- ٨٧ - دعاء السيفي ١٣٠
- ٨٨ - ديوان الإمام عليّ عليه السلام ١٣٠
- ٨٩ - عهد الإمام عليّ عليه السلام للمجوسي ١٣٠
- ٩٠ - المناجاة الإلهية ١٣١
- ٩١ - نثر اللثالي من كلام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ١٣١
- ٩٢ - مائة كلمة للإمام علي عليه السلام ١٣١
- أمير المؤمنين عليه السلام أول من ألف في الإسلام ١٣١
- كذب وتزوير! ١٣٣
- ٩٣ - كتاب فاطمة عليها السلام ١٣٥
- ٩٤ - خطبة الزهراء عليها السلام ١٣٧
- ٩٥ - بلاغة الإمام الحسن عليه السلام ١٣٧
- ٩٦ - كلمة الإمام الحسن عليه السلام ١٣٧
- ٩٧ - مكاتيب الإمام الحسن عليه السلام ١٣٨
- ٩٨ - خطب الإمام سيّد الشهداء الحسين عليه السلام ووصاياه ١٣٨
- ٩٩ - دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام ١٣٨

- ١٠٠ - خطبة الحوراء زينب عليها السلام في الشام ١٣٨
- ١٠١ - خطبة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة ١٣٩
- ١٠٢ - خطبة فاطمة الصغرى بنت الإمام الحسين عليه السلام في الكوفة ١٣٩
- ١٠٣ - الصحيفة السجّادية ١٣٩
- ١٠٤ - خطبة الامام زين العابدين عليه السلام في الكوفة ١٣٩
- ١٠٥ - خطبة الامام زين العابدين عليه السلام في الشام ١٤٠
- ١٠٦ - رسالة الحقوق ١٤٠
- ١٠٧ - مناسك الحج ١٤٠
- ١٠٨ - صحيفة الزهد ١٤٠
- ١٠٩ - تفسير القرآن ١٤٠
- ١١٠ - أدعية السّر ١٤١
- ١١١ - رسالة إلى سعد الخير ١٤١
- ١١٢ - المجموع ١٤١
- ١١٣ - غريب القرآن ١٤١
- ١١٤ - مناسك آل محمد صلوات الله عليهم ١٤١
- ١١٥ - مسند الإمام زيد ١٤١
- ١١٦ - رسالة الإمام زيد إلى علماء الأمة ١٤١
- ١١٧ - التوحيد ١٤١
- ١١٨ - الإهليلجة في التوحيد ١٤٢
- ١١٩ - الجعفریات ١٤٢

- ١٢٠ - كتاب الحج ١٤٢
- ١٢١ - الأصول الأربعمئة ١٤٣
- ١٢٢ - خطب ورسائل الإمام الصادق عليه السلام ١٤٣
- ١٢٣ - تفسير جعفر الصادق عليه السلام ١٤٣
- ١٢٤ - الحكم الجعفرية ١٤٣
- ١٢٥ - خواص القرآن الكريم ١٤٣
- ١٢٦ - قرعة الإمام ١٤٣
- ١٢٧ - الصحيفة الصادقية ١٤٣
- ١٢٨ - مسند الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ١٤٣
- ١٢٩ - مسند الإمام الكاظم عليه السلام لعزير الله العطاردي ١٤٣
- ١٣٠ - مكاتيب الإمام الكاظم عليه السلام ١٤٣
- ١٣١ - وصيته لهشام بن الحكم ١٤٣
- ١٣٢ - مسند الإمام الرضا عليه السلام ١٤٤
- ١٣٣ - رسالة في أصول الدين إلى المأمون العباسي ١٤٤
- ١٣٤ - الرسالة الذهبية ١٤٤
- ١٣٥ - الصحيفة الرضوية ١٤٤
- ١٣٦ - كتاب الاهليلجة ١٤٤
- ١٣٧ - فقه الرضا عليه السلام ١٤٤
- ١٣٨ - القصيدة ١٤٤
- ١٣٩ - مكاتيب الإمام الجواد عليه السلام ١٤٤

- ١٤٠ - الأُمالي في تفسير القرآن ١٤٥
- ١٤١ - كتاب في أحكام الدين ١٤٥
- ١٤٢ - رسالة في الجبر والتفويض ١٤٥
- ١٤٣ - مكاتيب الإمام الهادي عليه السلام ١٤٥
- ١٤٤ - مسائل الرجال ومكاتباتهم ١٤٥
- ١٤٥ - الزيارة الجامعة (المعروف بالجامعة الكبيرة) ١٤٥
- ١٤٦ - تفسير العسكري عليه السلام ١٤٥
- ١٤٧ - مكاتيب الإمام العسكري عليه السلام ١٤٥
- [ما ورد عن الإمام الحجّة بن الحسن المهدي عليه السلام] ١٤٦
- ١٤٨ - دعاء الافتتاح ١٤٦
- ١٤٩ - مكاتيب الإمام المنتظر ١٤٦
- ١٥٠ - كلمة الإمام المهدي ١٤٦
- ١٥١ - المختار من كلمات الإمام المهدي ١٤٦
- ١٥٢ - الروايات والأحاديث الشريفة ١٤٦
- تياراتُ مناهضة! ١٤٩
- أحاديثُ أهل البيت عليه السلام في مصادر الحديث الشيعة ١٥٤
- مصادر الحديث عند الجمهور ١٥٥
- رجالُ الشيعة في كُتُب السُنّة ١٥٦
- إقرار الحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ١٥٧
- رواة أهل السُنّة عن أئمة أهل البيت عليه السلام ١٥٩

- الثاني: من أسباب إقامة الدين ١٦١
- [الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة] ١٦١
- الثالث: من أسباب إقامة الدين [إقامة العدل ورفع الظلم] ١٦٥
- الرابع: من أسباب إقامة الدين [حمل الناس على الجهاد والدفاع] ١٧٣

الفصل الرابع

الإمامة في الدين الإسلامي

- [الإمامة في الدين الإسلامي] ١٧٧
- أولاً: الإمامة تالية النبوة ١٧٨
- ثانياً: الإمامة من الخصائص الإلهية ١٨٢
- إعلان الرسول ﷺ عن ذلك ١٨٢
- أول بيعة في الإسلام ١٨٨
- بنود البيعة ١٨٩
- ثالثاً: الإمامة عهد الله تبارك وتعالى ١٩٢
- رابعاً: الإمامة بعد رسول الله ﷺ ١٩٥
- الحاجة إلى الإمام ١٩٥
- برهان الشيخ الرئيس ابن سينا ١٩٧
- خامساً: الإمامة والعصمة ١٩٩
- إقرار الفخر الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) ٢٠٣
- القرائن على إرادة القدوة والزّعامة المطلقة ٢٠٣

- ٢٠٥ لا سلطان لإبليس على أولياء الله تعالى
- ٢٠٥ حكم العقل بوجوب العصمة
- ٢١٠ سادساً : الإمامة والنص
- ٢١٢ أدلة أخرى
- ٢١٣ النصوص على ضرورة التعيين والنص من الله تعالى
- ٢١٤ إستدلال الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه) على ضرورة النص ...

الفصل الخامس

النصوص القرآنية والنبوية

- ٢١٩ على عصمة الأئمة
- ٢١٩ الإثني عشر من أهل البيت عليهم السلام
- ٢١٩ [أولاً]: النصوص القرآنية على عصمتهم
- ٢٢١ أولاً: سورة الحمد المباركة [فاتحة الكتاب]
- ٢٣١ ثانياً: [آية التطهير]
- ٢٣٢ (١) رواة الصحابة الذين شهدوا نزول الآية وواقعة الكساء
- ٢٣٢ [أم سلمة رضوان الله عليها]
- ٢٣٣ [عائشة بنت أبي بكر]
- ٢٣٤ [زينب بنت جحش]
- ٢٣٥ [صفية بنت حيي بن أخطب]
- ٢٣٦ [الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام]

- ٢٣٨ [وائلة بن الأسقع]
- ٢٣٩ (٢) تعدّد نزول آية التّطهير وواقعة الكساء
- ٢٤١ (٣) إختصاص الآية بالخمس الطيبة أصحاب الكساء
- ٢٤٢ (٤) دلالة الآية على عصمتهم وطهارة طينتهم فطرةً وتكويناً
- ٢٤٥ [شهادة سيرتهم على عصمتهم]
- ٢٥١ (٥) عموم الآية للأئمة الاثني عشر عليهم السلام
- ٢٥٢ (٦) عدم دخول الأزواج في الآية الكريمة
- ٢٦٨ (٧) التحقيق المُنير في سياق آية التطهير
- ٢٧٢ [مناقشة دعوى دخول الأزواج في سياق آية التطهير]
- ٢٧٩ (٨) إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام بالآية في مواقف شتى
- ٢٨٣ ثالثاً: [آية المباهة الشريفة]
- ٢٨٨ السؤال الذي يطرح نفسه
- ٢٩١ عليّ نفسُ رسول الله صلى الله عليه وآله
- ٢٩٣ مواطن أخرى
- ٢٩٧ [ثانياً]: النصوص النبويّة على عصمتهم
- ٣٠٤ دلالة الحديث على عصمته
- ٣٠٨ مناظرة الإمام الباقر عليه السلام مع ابن الأزرق
- ٣١٠ عصمتهم في سيرتهم العملية
- ٣١١ شهادة القرآن الكريم لعلي عليه السلام
- ٣١٣ فهرس المواضع
- ٣٢٣ فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

نهج البلاغة / أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) جمع الشريف الرضي
محمد بن الحسين الموسوي (ت : ٤٠٦ هـج) .

(أ)

- ١ - ألامالي / محمد بن الحسن الطوسي (ت : ٤٦٠ هـج) ط / ١٤١٤ هـج .
- ٢ - ألامالي الصدوق / محمد بن علي الصدوق (ت : ٣٨١ هـج) ط / ١٤١٧ .
- ٣ - الأحتجاج / أحمد بن علي الطبرسي (ت : ٥٤٨ هـج) ط دار النعمان ١٣٨٦
- ٤ - الإرشاد / محمد بن النعمان المفيد (ت : ٤١٣ هـج) مؤسسة آل البيت (عليه السلام) .
- ٥ - إثبات الوصية / علي بن الحسين المسعودي (ت : ٣٤٦ هـج) .
- ٦ - أسد الغابة / علي بن أبي الكرم ابن الاثير (ت : ٦٣٠ هـج) دار الكتاب العربي

- ٧ - أعيان الشيعة / السيد محسن الامين العاملي (ت : ١٣٧١ هـج) / بيروت .
- ٨ - الإقتصاد / محمد بن الحسن الطوسي (ت : ٤٦٠ هـج) ط / ١٤٠٠ .
- ٩ - الإختصاص / محمد بن النعمان المفيد (ت : ٤١٣ هـج) دار المفيد / ط / ١٤١٤ .

- ١٠ - إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات / محمد بن الحسن الحر العاملي (ت : ١١٠٤ هـ) .
- ١١ - الاحكام السلطانية / القاضي أبو يعلي الحنبلي / دار الكتب العلمية .
- ١٢ - الإصابة في تمييز الصحابة / ابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢ هـ) دار الكتب العلمية .
- ١٣ - الإمامة والسياسة / عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت : ٧٢٦ هـ) الشريف الرضي .
- ١٤ - الأوائل / أبو هلال العسكري (ت : ٣٩٥ هـ) دار الكتب العلمية / ط / ١٤٠٧ .
- ١٥ - أسباب النزول / علي بن احمد النيسابوري (ت : ٤٦٨ هـ) ط / الشريف الرضي .
- ١٦ - الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام / محمد بن النعمان المفيد (ت : ٤١٣ هـ) ط / ١٤١٤ .
- ١٧ - الإيضاح / الفضل بن شاذان الازدي (ت : ٢٦٠ هـ) ط / ١٣٦٣ .
- ١٨ - إقبال الأعمال / السيد علي بن موسى ابن طاووس الحلبي (ت : ٦٦٤ هـ) ط / ١٤١٤ .

(ب)

- ١٩ - بحار الأنوار / محمد باقر المجلسي (ت : ١١١٠ هـ) دار احياء التراث العربي / ط / ١٤٠٣ .
- ٢٠ - البداية والنهاية / اسماعيل بن كثير (ت : ٧٧٤ هـ) ط / ١٤٠٨ .

(ت)

- ٢١ - التفسير الكبير / الفخر الرازي (ت : ٦٠٦ هـ) .
- ٢٢ - تفسير فرات / فرات بن ابراهيم الكوفي (ت : ٣٥٢ هـ) ط / ١٤١٠ .
- ٢٣ - تفسير الميزان / السيد محمد حسين الطباطبائي (ت : ١٤١٢ هـ) منشورات جامعة المدرسين .
- ٢٤ - تفسير ابن كثير / اسماعيل ابن كثير (ت : ٧٧٤ هـ) دار المعرفة / ط / ١٤١٢ .
- ٢٥ - تفسير الثعالبي / عبد الرحمن الثعالبي (ت : ٨٧٥ هـ) ط / ١٤١٨ .
- ٢٦ - تفسير القرطبي / محمد بن احمد القرطبي (ت : ٦١٧ هـ) دار احياء التراث العربي .
- ٢٧ - تاريخ مدينة دمشق / علي بن الحسن بن عساكر (ت : ٤٩٩ هـ) دار الفكر .
- ٢٨ - تاريخ الطبري / محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠ هـ) ط / ١٤٠٣ .
- ٢٩ - تاريخ يعقوبي / احمد بن واضح يعقوبي (ت : ٢٨٤ هـ) دار صادر .
- ٣٠ - تاريخ بغداد / احمد بن علي الخطيب البغدادي (ت : ٤٦٣ هـ) ط / ١٤١٧ .
- ٣١ - تاريخ ابن خلدون / عبد الرحمن بن خلدون (ت : ٨٠٨ هـ) دار احياء التراث العربي .
- ٣٢ - تاج العروس / محمد مرتضى الزبيدي (ت : ١٢٠٥ هـ) دار الفكر .
- ٣٣ - تجريد الاعتقاد / نصير الدين الطوسي (ت : ٦٧٢ هـ) .

- ٣٤ - تذكرة الحفاظ / شمس الدين الذهبي (ت : ٧٤٨ هـ) .
 ٣٥ - تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي (ت : ٦٥٤ هـ) .
 ٣٦ - تفسير العياشي / محمد بن مسعود العياشي (ت : ٣٢٠ هـ) .
 ٣٧ - تفسير القمي / علي بن ابراهيم القمي (ت : ٣٢٩ هـ) .
 ٣٨ - تهذيب الاحكام / محمد بن الحسن الطوسي (ت : ٣٦٠ هـ) .
 ٣٩ - تهذيب التهذيب / ابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢ هـ) .
 ٤٠ - تهذيب الكمال / جمال الدين يوسف المزي (ت : ٧٤٢ هـ) ط / ١٤٠٦ .
 ٤١ - تدوين السنة الشريفة / السيد محمد رضا الحسيني الجلاي / ط / ١٤١٨ .

(ج)

- ٤٢ - الجامع الصغير / جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١ هـ) ط / ١٤٠١ .
 ٤٣ - جامع البيان / محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠ هـ) دار الفكر .
 ٤٤ - جواهر المطالب محمد بن احمد الدمشقي (ت : ٨٧١ هـ) ط / ١٤١٥ .

(ح)

- ٤٥ - حلية الأولياء / ابو نعيم الاصفهاني (ت : ٤٣٠ هـ) بيروت .
 ٤٦ - حياة الحيوان الكبرى / كمال الدين الدميري (ت : ٦٨٢ هـ) ط / مصطفى البابلي .

(خ)

- ٤٧ - الخصال / محمد بن علي الصدوق (ت : ٣٨١ هـ) ط / ١٤٠٣ .
 ٤٨ - خصائص امير المؤمنين (عليه السلام) / الشريف الرضي (ت : ٤٠٦ هـ) .

(د)

٤٩ - الدر المنثور / جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١ هـ) دار المعرفة .

(ذ)

٥٠ - الذريعة / أبا بزرگ الطهراني (ت : ١٣٨٩ هـ) ط / ١٤٠٣ .

٥١ - ذخائر العقبى / احمد بن عبد الله المحب الطبري (ت : ٦٩٤ هـ) مكتبة القرشي .

(ر)

٥٢ - الرياض النضرة / احمد بن عبد الله المحب الطبري (ت : ٦٩٤ هـ) .

٥٣ - روح المعاني / ابو الفضل الالوسي (ت : ١٢٧٠ هـ) بيروت .

٥٤ - رجال النجاشي / احمد بن علي النجاشي الكوفي (ت : ٤٥٠ هـ) ط / ١٤١٦ .

٥٥ - رجال الشيعة في الصحاح الستة / جعفر الطبرسي / الطبعة الاولى / المركز الفقهي .

(ز)

٥٦ - زاد المسير / ابو الفرج ابن الجوزي (ت : ٥٩٧ هـ) دار الفكر / ط / ١٤٠٧ .

(س)

٥٧ - سنن النسائي / احمد بن شعيب النسائي (ت : ٣٠٣ هـ) دار الفكر / ط / ١٣٤٨ .

٥٨ - سنن الدارمي / عبد الله بن الفضل الدارمي (ت : ٢٥٥ هـ) ١٣٤٩ .

٥٩ - سنن ابن ماجه / محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (ت : ٢٧٣ هـج) دار الفكر

٦٠ - سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي (ت : ٢٩٧ هـج) دار الفكر / ط / ١٤٠٣ .

٦١ - سنن ابي داود / سلمان بن الاشعث السجستاني (ت : ٢٧٥ هـج) دار الفكر .

٦٢ - سنن البيهقي / احمد بن الحسين البيهقي (ت : ٤٥٨ هـج) دار الفكر .

٦٣ - سير أعلام النبلاء / شمس الدين الذهبي (ت : ٧٤٨ هـج) مؤسسة الرسالة .

٦٤ - سفينة البحار / الشيخ عباس القمي (ت : ١٣٥٨ هـج) .

٦٥ - السيرة النبوية / ابن هشام الحميري (ت : ٢١٨ هـج) ط / ١٣٨٣ .

٦٦ - السرائر / ابن ادريس الحلبي (ت : ٥٩٨ هـج) ط / ١٤١٠ .

(ش)

٦٧ - شواهد التنزيل / عبدالله الحاكم الحسكاني (ت : ق / ٥ هـج) مؤسسة الطبع والنشر .

٦٨ - شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد المعتزلي (ت : ٦٥٦ هـج) دار احياء التراث العربي .

٦٩ - شرح الاخبار / النعمان بن محمد المغربي (ت : ٣٦٣ هـج) مؤسسة النشر الاسلامي .

٧٠ - شرح صحيح مسلم / محيي الدين النووي (ت : ٦٧٦ هـج) ط / ١٤٠٧ .

(ص)

٧١ - الصواعق المحرقة / ابن حجر الهيتمي (ت : ٩٧٣ هـج) .

- ٧٢ - الصراط المستقيم / علي بن يوسف النباطي (ت: ٨٧٧ هـ) ط / ١٣٨٤ .
 ٧٣ - الصحيح / محمد بن اسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦ هـ) ط / ١٤٠١ .
 ٧٤ - صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ) دار الفكر .
 ٧٥ - صحيح ابن حبان / محمد بن حبان بن احمد (ت: ٣٥٤ هـ) مؤسسة الرسالة
 ٧٦ - صحاح الجوهري / إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٢٩٣ هـ) دار العلم
 للملايين .

(ط)

- ٧٧ - الطبقات الكبرى / ابن سعد (ت: ٢٣٠ هـ) دار صادر .
 ٧٨ - الطرائف / رضي الدين علي بن طاووس الحلي (ت: ٦٦٤ هـ) .
 (ع)
 ٧٩ - علل الشرايع / محمد بن علي الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) .
 ٨٠ - عيون اخبار الرضا عليه السلام / محمد بن علي الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) ط / ١٤٠٤ .

- ٨١ - العقد الفريد / ابن عبد ربه الاندلسي (ت: ٣٢٨ هـ)

(غ)

- ٨٢ - الغدير / عبد الحسين الاميني (١٣٩٢ هـ) دار الكتاب العربي .
 ٨٣ - الغيبة / محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) ط / ١٤١١ .

(ف)

- ٨٤ - فذك والعوالي / السيد محمد باقر الحسيني الجلاي .

- ٨٥ - الفصول المهمة / علي بن الصباغ المالكي (ت: ٨٥٥ هـ) .
 ٨٦ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري / ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ) .
 ٨٧ - فرائد السمطين / الحموي الجويني الشافعي .
 ٨٨ - فيض القدير في شرح الجامع الصغير / محمد المناوي (ت: ١٠٣١ هـ) .
 ٨٩ - فهرست ابن النديم / محمد بن النديم البغدادي (ت: ٤٣٨ هـ) .
 ٩٠ - الفهرست / أبو جعفر الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) ط / ١٤١٧ .
 ٩١ - فهرس تراث أهل البيت (عليهم السلام) / السيد محمد حسين الحسيني الجلاي / ط / ١٤٣٦ .

(ك)

- ٩٢ - الكافي / محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٩ هـ) دار الكتب الإسلامية .
 ٩٣ - الكامل في التاريخ / ابن الاثير الجزري (ت: ٦٣٠ هـ) .
 ٩٤ - الكشف / جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ) ط / ١٣٨٥ .
 ٩٥ - كتاب سليم / سليم بن قيس الهلالي (ق / ١ هـ) .
 ٩٦ - كنز العمال / علي المتقي الهندي (ت: ٩٧٥ هـ) مؤسسة الرسالة .
 ٩٧ - كفاية الاثر / علي الخزاز القمي (ت: ٤٠٠ هـ) ط / ١٤١٠ .
 ٩٨ - كفاية الطالب / الكنجي الشافعي (ت: ٦٥٨ هـ) .

(ل)

- ٩٩ - لسان العرب / ابن منظور الأفريقي (ت: ٧١١ هـ) ط / ١٤٠٥ .
 ١٠٠ - لسان الميزان / ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ) مؤسسة العلمية .

(م)

- ١٠١ - المراجعات / السيد شرف الدين الموسوي (ت: ١٣٧٧ هـ) .

- ١٠٢ - المحلي / ابن حزم الاندلسي (ت: ٤٥٦ هـ) دار الفكر .
- ١٠٣ - المستدرک علی الصحیحین / الحاکم النیسابوری (ت : ٤٠٥ هـ) دار المعرفة .
- ١٠٤ - المسند / أحمد بن حنبل (ت : ٢٤١ هـ) دار صادر .
- ١٠٥ - المسند / سليمان بن احمد الطبراني (ت: ٣٦٠ هـ) .
- ١٠٦ - مسند أبي يعلى / احمد بن علي الموصلي (ت: ٣٠٧ هـ) .
- ١٠٧ - مجمع الزوائد / نور الدين علي الهيثمي (ت: ٨٠٧ هـ) ط / ١٤٠٨ .
- ١٠٨ - المصنف / ابن أبي شيبة الكوفي (ت: ٢٣٥ هـ) دار الفكر .
- ١٠٩ - المصنف / عبد الرزاق الصنعاني (ت: ١٢١١ هـ) .
- ١١٠ - الموطأ / مالك بن انس (ت: ١٧٩ هـ) ط / ١٤٠٦ .
- ١١١ - المعجم الكبير / سليمان بن احمد الطبراني (ت: ٣٦٠ هـ) دار احياء التراث العربي .
- ١١٢ - المعجم الصغير / سليمان بن احمد الطبراني (ت: ٣٦٠ هـ) دار الكتب العلمية .
- ١١٣ - المعجم الأوسط / سليمان بن احمد الطبراني (ت: ٣٦٠ هـ) ط / ١٤١٥ .
- ١١٤ - معاني القرآن / ابو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨ هـ) ط / ١٤١٠ .
- ١١٥ - ميزان الاعتدال / شمس الدين محمد الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) دار المعرفة .
- ١١٦ - مناقب آل ابي طالب / محمد بن علي بن شهر آشوب (ت: ٥٨٨ هـ) .
- ١١٧ - مجمع البيان / الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ) .
- ١١٨ - المعيار والموازنة / أبو جعفر الاسكافي (ت: ٢٢٠ هـ) ط / ١٤٠٢ .
- ١١٩ - الملل والنحل / محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ) دار

المعرفة .

- ١٢٠ - المغني / عبد الله بن قدامة (ت: ٦٢٠ هـ) .
 ١٢١ - المناقب / أحمد بن محمد الخوارزمي (ت: ٥٦٨ هـ) .
 ١٢٢ - مروج الذهب / علي بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٦ هـ) .
 ١٢٣ - مستدرك الوسائل / النوري الطبرسي (ت: ١٣٢٠ هـ) .
 ١٢٤ - مستدرك سفينة البحار / علي النمازي الشاهرودي (ت: ١٤٠٥ هـ) .
 ١٢٥ - معالم المدرستين / السيد مرتضى العسكري / ط / ١٤١٠ .
 ١٢٦ - مقاتل الطالبين / أبو الفرج الاصفهاني (ت: ٣٥٦ هـ) .
 ١٢٧ - معجم البلدان / ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦ هـ) دار الوفاء .
 ١٢٨ - مناقب علي بن ابي طالب (عليه السلام) / ابن المغازلي (ت: ١٤٠٢ هـ) / المطبعة الإسلامية .
 ١٢٩ - من لا يحضره الفقيه / محمد بن علي الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) .

(ن)

- ١٣٠ - نظم درر السمطين / جمال الدين الزرندي الحنفي (ت: ٧٥٠ هـ) .
 ١٣١ - نخبة البيان في تفضيل سيدة النسوان / السيد عبد الرسول الشريعتمداري / ط / ١٤١٧ هـ .
 ١٣٢ - نيل الأوطار / محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥ هـ) دار الجيل .
 ١٣٣ - النهاية في غريب الحديث / ابن الاثير (ت: ٦٠٦ هـ) ط / ١٣٦٤ .
 ١٣٤ - الهداية / محمد بن علي الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) ط / ١٣١٨ .

(و)

- ١٣٥ - وسائل الشيعة / محمد بن الحسن الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ) ط /

.١٤١٤

(ي)

١٣٦ - ينابيع المودة / سليمان بن ابراهيم القندوزي (ت: ١٢٩٤ هـ) ط /

.١٤١٦